A-PDF Image To PDF Demo. Purchase from www.A-PDF.com to remove the watermark

١٥٢

تاريخ المصريين

الطبقات الشعبية

في القاهرة المملوكية

(٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م)

د. محاسن محمد الوقاد



الهيئة المصرية
العامة للكتاب

رفع
مكتبة تاريخ وآثار دولة المماليك

تـاريخ المصـريين (١٥٢)

رئيس مجلس الإدارة :

د. سمير سرحان

رئيس التحرير :

د. عبد العظيم رمضان

مدير التحرير :

محمود الجزار

تصدر عن
الهيئة المصرية العامة للكتاب



الطبقات الشعبية
في القاهرة المملوكية

(٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م)

د. محاسن محمد الوقاد

الاشراف الفنى :

محمــود الجــزار

تقـــــديم

يسرنى أن أقدم للقارىء الكريم هذا الكتاب عن « الطبقات الشعبية فى القاهرة المملوكية » الذى كتبته الدكتورة محاســـن الوقاد . والكتاب فى الأصل رسالة علمية حصلت صاحبتها على درجة الماجستير فى التاريخ الاسلامى من كلية الآداب جامعة عين شمس . وقد سبق لهذه السلسلة أن نشرت لنفس المؤلفة رسالتها للدكتوراه عن « اليهود فى مصر المملوكية » . فهى — على هذا النحو — متخصصة فى مصر المملوكية ، واعمالها العلمية فى هذا العصر المملوكى تعد أعمالا موثوقا بها من الناحية العلمية ، كما أن تخصصها فى التاريخ الاجتماعى يعطيها اهمية خاصة .

والكتاب الذى بين أيدينا يتكون من ثلاثة فصـــول ، وقد مهدت له بمدخل استعرضت فيه أوضاع الطبقات الشعبية فى القاهرة فى العصرين الفاطمى والأيوبى ، بعد أن حددت المقصود بالطبقات الشعبية التى تنوى دراستها ، والتى قصـــدت بها مختلف شرائح الحرف والصنائع وصغار التجار والباعة والسوقة والمكاريين ، وصـــولا فى النزول الى الشطار والحـــرافيش والمناسر وغيرهم .

وفى الفصل الأول تناولت تجمعات الطبقات الشعبية بالقاهرة المملوكية ، فتحدثت عن الأسواق والوكالات والمساجد والخانقاوات ومجالس الذكر واحياء الطبقات الشعبية .

أما الفصل الثانى فتناولت فيه الأوضاع الاقتصادية للطبقات الشعبية ، وسياسة الدولة حيالهم ، فتحدثت عن الحرف والصناعات ،و نظام طوائف الحرف ، وصغار التجار ، كما تناولت فئة الشطار من اهل الدعارة والنهب واللصوصية ، والعيارين من باعة الأسواق الفقراء ، والحرافيش الذين هم ادنى طبقات المجتمع ، وهم أصحاب الحركات الشعبية ، واهل الفتوة ، وغيرهم .

أما الفصل الثالث ، فتناولت فيه الدكتورة محاسن الوقاد عادات وتقاليد الطبقات الشعبية فى مصر المملوكية ، فتحدثت عن الاحتفالات والأعياد الدينية للمسلمين والنصارى واليهود ، والمآتم ، ووسائل اللهو والتسلية ، والمتنزهات ، كما تحدثت عن المعتقدات الباطلة فى هذا العصر .

والكتاب بذلك يرسم صورة بانورامية للطبقات الشعبية فى العصر المملوكى ، وأوضاعها الاقتصادية والاجتماعية ، وهو بذلك جدير بالقراءة .

والله الموفق ،،،،

رئيس التحرير

أ . د . عبد العظيم رمضان

المقدمـــة

على الرغم من تقدم الدراسات التاريخية التى تبحث فى عصر ســلاطين المماليك وشمولها لكثير من الموضوعات ذات الجوانب الاجتماعية والاقتصادية ، فان دراسة موضوع الطبقات الشعبية فى القاهرة فى ذلك العصر يكتسب أهميته من عدة اعتبارات يمكن تلخيصها فيما يلى :

أولا : حدوث منعطف تاريخى فى ذلك العصر يتمثل فى انتقال الحكم من الأيوبيين الى المماليك الأمر الذى كان له تأثيره المهم ليس فى التاريخ المصرى فحسب بل فى تاريخ شعوب البحر المتوسط فضلا عن الشرق الاسلامى قاطبة .

ثانيا : بروز الحاجة الماسة لدراسة الطبقات الشعبية فى القاهرة باعتبارها احدى القوى الاجتماعية التى تعرضت للتجاهل من قبل المؤرخين الذين طالما اهتموا بالتاريخ للحكام والسلاطين واهملوا تاريخ هذه الطبقة الذى يشكل عصب الواقع التاريخى للقاهرة فى ذلك العصر .

ثالثا : وقد ترتب على هذا الاهمال من قبل معظم المؤرخين بهذه الطائفة من أهل القاهرة ظهور توجه جديد بين بعض الباحثين

المحدثين لدراسة دور الطبقات الشعبية من الحواضر الاسلامية بما فيها القاهرة ، ويمثل هذا التوجه دراستان :

أولاهما للدكتورة حياة ناصر الحجى التى تناولت بالدراسة موضوع « أحوال العامة فى حكم المماليك »(١) ، والأخرى للأستاذ علاء طه رزق تناول فيها بالدراسة عامة القاهرة فى عصر دولة المماليك(٢) .

الا أن هاتين الدراســـتين أهملتا بعض الأبعاد الاجتماعية والاقتصادية والدينية التى ميزت أوضاع الطبقات الشـعبية فى القاهرة فى عصر دولة سلاطين المماليك ، فضلا عن اغفالهما لبعض الشرائح الاجتماعية الأخرى نحو الشطار والعيارين والحرافيش والزعر والعياق والمناسر التى تدخل ضمن التركيب الاجتماعى لأهل القاهرة فى ذلك العصر ، ومن هنا تأتى أهمية هذه الدراسة التى تستهدف تقديم صورة واضحة لأحوال الطبقات الشعبية فى القاهرة فى الفترة من ٦٤٨ هـ — ٩٢٣ هـ/١٢٥٠ — ١٥١٧ م .

رابعا : ان محاولة دراسة التاريخ الاجتماعى للطبقات الشعبية تعترضها عدة معوقات من اهمها أنه لا يمكن دراســة الوضــع الاجتماعى للعامة بمعزل عن التطور الاقتصادى للمجتمع المصرى بصفة عامة ولأهل القاهرة على وجه الخصوص ، ونحن نعلم مدى ضآلة المعلومات التى تغطى هذين الجانبين معا ، ومن ثم يمكن تجاوز هذه الاشكالية بالرجوع الى كتب الطبقات والرحالة وكتب الحسبة والتراث الشعبى .

وقد لوحظ تناول بعض المصادر التاريخية لبعض أوضــاع الطبقات الشعبية بغير موضوعية ، وقد يرجع السبب الى سياسة القهر وطبيعة الحكم الاستبدادى لمعظم سلاطين المماليك فى تلك

الآونة ، ومن هنا فان التناول الموضوعي لهذه الأوضاع يطرح عدة مباحث مهمة تضفي على الدراسة مزيدا من الاهمية ، خاصة وانه كلما زادت الاشكاليات زادت فرص الباحث في محـــاونة الرصد واقتراح الحلول لها .

وايجاد حلول للاشكاليات المطروحة في مختلف اقسام هذا البحث يستلزم اتباع منهج معين وقد آثرت ان يشتمل هذا المنهج على رصد المعلومات من اجل تكوين هيكل أولي للموضوع يشمل ما يخص الطبقات الشعبية من احوال سياسية واقتصادية واجتماعية ودينية حتى نهاية العصر المملوكي ، ثم اتباع المنهج التاريخي في استقصاء دور الطبقات الشعبية في القاهرة منذ بداية العصـــر المملوكي وحتى نهايته مع توضيح أهم المنعطفات والتحولات التي مرت بها هذه الطبقات .

ومن ثم اخلص الى الاسلوب الوصفي التحليلي في تفسير جوانب الأوضاع السياسية والاقتصـــادية والاجتماعية والدينية للطبقات الشعبية ، وتحديد دورهم في السياق التاريخي المناسب .

وعلى ضوء هذا المنهج قسمت هذه الدراسة الى ثلاثة فصول مسبوقة بمدخل مهدت فيه بدراسة احوال الطبقات الشعبية في القاهرة في العصرين الفاطمي والأيوبي فضلا عن حصـــر اماكن تجمعهم وتتبع ما طرأ على ظروفهم من تغير ابان هذين العصرين .

اما الفصل الاول ، فقد تناولت فيه الدراسة ملامح من حياة الطبقات الشعبية في القاهرة في عصر سلاطين المماليك وذلك من خلال استعراض أماكن تجمعهم في الأسواق للبيع أو الشراء أو التنزه ومشاهدة ما يعرض فيها من بضائع ، وأماكن تجمعهم في الوكالات والفنادق والخانات للعمل كحمالين ، ثم انهيت الفصـــل بدراسة احياء الطبقات الشعبية في القاهرة المملوكية .

واشتمل الفصل الثانى وعنوانه « الحالة الاقتصادية للطبقات الشعبية وسياسة الدولة حيالهم » دراسة حرف الطبقات الشعبية بالاضافة الى صغار التجار ، ثم استعرضت احوال طبقات الشطار والعيارين والحرافيش والزعر والعياق والمناسر وأهل الفتوة ، وانهيت الفصل بالحديث عن المنقطعين للعبادة .

ثم بحثت فى الفصل الثالث « عادات وتقاليد الطبقات الشعبية فى القاهرة المملوكية » واشتمل على الاحتفالات الدينية والأعياد والمناسبات التى كانت تشارك فيها الطبقات الشعبية ، ووضحت تأثير هذه العادات والتقاليد فى الجوانب الاجتماعية والدينيــــة والاقتصادية لهذه الطبقات ، كما تضمن هذا الفصل دراســــة وسائل التسلية لدى الطبقات الشـــعبية فى القاهرة فى ذلك العصر ، وظاهرة الاعتقاد فى الأولياء والمشايخ ، الى جانب بعض المعتقدات الباطلة التى تفشت فى أوساط هذه الطبقات ، وقد انهيت هذه الدراسة بخاتمة اجملت فيها أهم النتائج التى توصلت اليها من خلال دراسة القضايا المطروحة بها .

واشتملت المصادر التى استندت اليها الوثائق والمخطوطات ثم المصادر ذات الصلة بموضوع الرسالة فضلا عن المراجع .. وكما هو واضح فالوثائق تأتى فى المقام الأول بين مصادر التاريخ الاسلامى لأى عصر من العصور ، لأنها تحتوى على مادة تاريخية حية غير قابلة للتحريف(1) ، كما أنها تمثل قيمة تاريخية نادرة يعتمد عليها فى الدراسات التاريخية الاسلامية فهى شـــــاهد عيان ، وتصلنا مباشرة بالعصر واحداثه ، ولذلك فهى ضرورية فى دراسة التاريخ الاسلامى ، ولا يمكن الاستغناء عنها ، وتتمثل أهميتها أيضا فى قرب مؤلفيها من الأحداث ووصفهم بدقة المظاهر الاقتصادية والسياسية والاجتماعية فى عصرهم ، بالاضافة الى مشـــاركتهم فيها بحكم توليهم بعض المناصب الحكومية . » »

واهم الوثائق التى اعتمد عليها البحث وثيقة السلطان بيبرس الجاشنكير ووثيقة السلطان برقوق(٢) .

ومن المخطوطات المتصلة بالعصر المملوكى التى افاد منها البحث ، مخطوط « قطف الازهار من الخطط والآثار » لمحمد بن ابى السرور زين العابدين(٣) ، وهذا المخطوط افدت منه افادة كبيرة فى بعض جوانب البحث وبخاصة فيما يتعلق بوصفه لأسواق القاهرة . ومن الملاحظ على هذا المخطوط التشابه الكبير بين ما تضمنه من معلومات عن طبوغرافية القاهرة وأحيائها وبين الموضوعات التى تناولها المقريزى فى خططه ، الى حد انه يكاد يكون صورة طبق الأصل من كتاب الخطط للمقريزى .

وقد افدت ايضا من بعض المخطوطات التى تناولت موضوع الفتوة ، ومن هذه المؤلفات مخطوط « الحجة والبرهان على فتيان هذا الزمان » لادريس بن بيدكين التركمانى(٤) ، الذى تحدث فيه عن الفتوة واطوارها ، ورسالة فى الفتوة لمجهول ، وغيرها من المخطوطات المذكورة فى اسانيد البحث وفى ثبت المخطوطات والمصادر والمراجع .

ومن ابرز هذه المصادر التاريخية التى اعتمد عليها البحث كتاب صبح الأعشى فى صناعة الانشاء للقلقشندى(٥) ، وهو يعد من ابرز الموسوعات فى العصر المملوكى ، وهذا الكتاب يقع فى اربعة عشر مجلدا فى فنون كثيرة من التاريخ والأدب ووصف البلدان والممالك . وقد افاد منه البحث فى مواضع كثيرة مثل وصف القلقشندى للقاهرة وتدهور مكانتها بفعل ما اصابها من الأوبئة والمجاعات ، ثم اشارته الى الاجراءات التى اتخذها صلاح الدين لتعضيد المذهب السنى والقضاء على المذهب الشيعى ، ثم اشارته

أيضا الى بعض الوظائف فى العصر المملوكى والتى وردت فى البحث مثل وظيفة البابية(٦) والاستادارا(٧) ، كما افاد من حديث مؤلفه أيضا عن أعياد أهل الذمة واحتفالاتهم ، وعن بعض الأحياء التى تواجدت بها الطبقات الشعبية كحى الحسينية وباب اللوق .

ومن اشهر هذه المصادر أيضا « كتاب نهاية الأرب فى فنون الأدب »(٨) للنويرى ، وقد احتوى هذا الكتاب على معلومات وافية أفادت الدراسة وبخاصة فيما يتعلق بأهل الذمة واحتفـــالاتهم بأعيادهم ، وفيما يتصل بحديثه عن بعض وسائل التسلية التى كانت سائدة فى ذلك الوقت مثل الألغاز والأحاجى . »

وهناك مجموعة من المصادر اطلق عليها المصـــادر المتاخرة تناولت العصر المملوكى ، ولا يمكن لدارس تاريخ المماليك الاستغناء عنها . ومعظم هذه المصادر وضعها مؤرخون عاشوا فى عصـــر دولة المماليك الجراكسة (العصر الثانى) أى فى القرن التاسع الهجرى (الخامس عشر الميلادى) . وهؤلاء المؤرخون اعتبروا العصر الأول رمزا للازدهار والتقدم والرقى فى شتى المجالات على حين رأوا فى العصر الثانى عصر المماليك الجراكسة صـــــورة للاضمحال والفساد الذى اســـــتشرى فى مختلف أوجه الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية . »

والحقيقة أن هؤلاء المؤرخين يمثلون مدرسة للفكر التاريخى بمصر فى القرن التاسع الهجرى (الخامس عشر الميلادى) تزعمها المقريزى(٩) ، الذى يعد من أعظم مؤرخيها جميعا وأغزرهم مادة وأقواهم عرضا .

ويعد كتابه « المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار » من من أشهر مؤلفاته التى اعتمد عليها هذا البحث وافاد منها كثيرا ،

وقد صدر الكتاب بمقدمة جغرافية تاريخية مسهبة ، وتناول المدن والآثار المصرية القديمة وعنى عناية خاصة بخطط الفسطاط والقاهرة ، وطرق المعيشة بأرجائها الواسعة ، وقدم معلومات وافية أفادت البحث افادة كبيرة ، ولا سيما الجزء المتعلق بالوكالات والفنادق والخانات والأسواق والخانقاوات(١٠) .

ويعتبر كتاب « السلوك فى معرفة دول الملوك » للمقريزى أيضا من المصادر التى أمدت هذا البحث بمعلومات مهمة فى مواضع عديدة ، مثل اشارته الى المكوس التى كان يفرضها السلاطين على الطبقات الشعبية ثم تراجعهم تحت تأثير تمرد وعصيان هذه الطبقات ومثل حديثه عن دوران المحمل الذى كان من المشاهد المحببة لدى تلك الطبقات ، وكوصفه للمفاسد التى كانت تحدث فى مثل هذه المناسبات اختلاط الرجال بالنساء مما حدا بالمحتسب الى اصدار أوامره بمنع النساء من الجلوس بالحوانيت انتظارا للمحمل . وبناء على ما ذكره المقريزى أمكننى التعرف على بعض وسائل التسلية التى كانت تنتشر فى ذلك العصر وتلهو بها الطبقات الشعبية مثل ألعاب الدبابة القرادة والحواة وألعاب البهلوانية .

وكتاب (اغاثة الأمة بكشف الغمة)(١١) ، للمؤلف نفسه أيضا تناول فيه تاريخ المجاعات التى حلت بمصر منذ أقدم العصور الى سنة ٨٠٨ هـ/١٤٠٥ م ، واتضح له أن أسباب ما يحل بالناس من مجاعات وطواعين انما هو « سوء تدبير الزعماء والحكام ، وغفلتهم عن النظر فى مصالح العباد »(١٢) . كما ذكر المقريزى التقسيم الطبقى للمجتمع فى عصر سلاطين المماليك ورتب الطبقة الارستقراطية المملوكية على قمة درجات السلم الاجتماعى .

اما عن الأسباب التى دفعت المقريزى الى تأليفه هو المجاعة المتقطعة التى حدثت فى عصره من عام ١٣٥٥/٧٥٦ م الى عام

٨٠٨ هـ/١٤٠٥ م فرأى أن من واجبه أن يبين اسبابها ، بالاضافة الى وفاة ابنته الوحيدة فى طاعون عام ٨٠٦ هـ/١٤٠٣ م . وقدم المقريزى فى كتابه هذا معلومات قيمة افادت الدراسة ، ولاسيما فيما يتعلق بالأوبئة والمجاعات التى حدثت فى تلك الآونة .

وكتاب « النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة » للمؤرخ ابن تغرى بردى(١٣) ، الذى اتبع أسلوب المقريزى ونمطه فى التحصيل والكتابة الغزيرة واجتهد فى ذلك ، فضلا عن معرفته باللغة التركية ، ويعد كتابه على جانب كبير من الأهمية فقد تضمن تاريخ مصر من الفتح الاسلامى الى عام ٨٧٢ هـ/١٤٦٧ م ، وقد جعل المؤلف كل عصر من عصور الملوك والسلاطين فصلا قائما بذاته ، وذكر السنين وحوادثها وتراجها تباعا غير أنه يجعل لها عناوين مستقلة(١٤) ، وقد أضاف هذا المصدر الكثير الى هذا البحث وبخاصـــة فيما يتعلق بالخانات والوكالات والفنادق وفيما يتصل بحديثه عن الحرافيش والزعر والعياق والمناسر .

وكتاب « بدائع الزهور فى وقائع العصور » لابن اياس(١٥) ، احد المصادر المهمة لعصر سلاطين المماليك الجراكسة ، وأوائل العصر العثمانى بمصر ، وقد أفاد البحث منه ، فقد أورد تفاصيل فى غاية الدقة عن ظاهرة البذل والبرطلة التى تفشت فى دولة المماليك وبخاصة فى عصرها الثانى وغيرها مما كان سائدا ابان ذلك العصـــــر .

ومن المصادر المهمة التى انتفع البحث بها كتاب « معـــالم القربة فى احكام الحسبة » لضياء الدين محمد بن محمد بن أحمد القرشى المعروف بابن الاخوة (٧٢٩ هـ/١٣٢٩م) . فقد أوضـــح مؤلفه أن منصبى القضاء والحسبة كانا من أجل المناصب الدينية ،

ونبه الى خطورة وظيفة المحتسب ، وتناول الشـــروط الواجب توافرها فيمن يتولى هذا المنصب وأوضح واجباته نحو المجتمع من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فى تولى أمور الرعيـــة ، وقد قدم معلومات وافية أفادت الدراسة ، وبخاصة فيما يتعلق بحرف الطبقات الشعبية .

واعتمد البحث فى بعض جوانبه على كتاب « المدخـل الى الشرع الشريف » لابن الحاج(١٦) (٨٣٧ هـ/١٤٣٣ م) ويعد هذا الكتاب على جانب كبير من الأهمية لما تضمنه من أوجه النقد لمختلف نواحى الحياة من فساد وانحلال دينى وأخلاقى ، وســخرية من الأوضاع القائمة ابان عصر المماليك .

وكتاب « معيد النعم ومبيد النقم » للسبكى(١٧) ، من كتب النقد الاجتماعى أيضا التى تناول فيها المؤلف العلاقات الاجتماعية والسلوك الخارج عن الشرع وطرق الاصلاح ، كما أشـــار الى الأنشطة المختلفة لأهل الدولة من الأمراء وأهل العلم والقضاء والدين ، وذكر الحرف كما تحدث عن أخلاق أربابها وارجع المؤلف النقم التى تحل بالمسلمين الى الانحراف والفساد بين الســلاطين والأمر على حين أن الطبقات الشعبية تعانى من الفقر والجوع والجوع والعوز ، وقد استفاد البحث من هذا المصدر أيما افاده فقد اعتمدت عليه فى بعض المواضع وبخاصة فيما يتعلق بحرف الطبقات الشـــعبية .

وتعد كتب الطبقات والتراجم من المصادر المهمة التى تكمل أوجه القصور فى بعض المصادر التاريخية الأخرى ، اذ انها تتتبع الأشخاص وتترجم لهم فى حياتهم العامة والخاصـة وتبرز مدى مشاركتهم فى أوجه النشاط الانسانى والعلاقات الاجتماعية والحياة السياسية ودورهم فى الحياة العلمية والدينية ، فهى بذلك تقدم

معلومات وافية قيمة من الناحية السياسية والاقتصادية والاجتماعية .

ومن كتاب التراجم المهمة التى أفادت البحث فى بعض جوانبه كتاب « الدرر الكامنة فى أعيان المئة الثامنة » لشهاب الدين بن على ابن حجر العسقلانى المتوفى ٨٥٣ هـ/١٤٤٩ م .

والجدير بالذكر أن المصادر السابقة جاءت جنبا الى جنب من حيث الفائدة مع كتب أخرى لم تختص بدراسة التاريخ المملوكى ولكنها تلقى الضوء على بعض فروع البحث ومن ذلك كتاب « مروج الذهب ومعادن الجوهر » للمسعودى(١٨) ، الذى أورد مؤلفه معلومات مهمة عن فئة الشطار والعيارين أفاد منها البحث .

كما كان لكتب الرحالة أهمية كبيرة فى الوقوف على كثير من التفاصيل ، وخاصة فيما يتصل بالنواحى الاقتصادية والاجتماعية والدينية .

ويعد كتاب « الافادة والاعتبار فى الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر للبغدادى(١٩) من الكتب المهمة فقد وصف مؤلفه أسواق مصر ابان العصر الأيوبى وصفا دقيقا أضاف الى البحث معلومات مهمة .

وكتاب « سفرنامة » لناصر خسرو(٢٠) المتوفى سنة ٤٨١ هـ/١٠٨٨ م . فقد أمدنى هذا الكتاب بوصف عن أهم أسواق مصر وحالة الأمن التى كانت عليها تلك الأسواق آنذاك ، كما أشار مؤلفه الى ازدهار صناعة الفخار فى العصر الفاطمى ، وذكر كثيرا من مظاهر الحياة الاجتماعية بها .

وكتاب الرحلة المسماة « تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار لابن بطوطة(٢١) (٧٠٣ هـ/١٣٠٤ م) قدم لى

معلومات وافية قيمة أفادت الدراسة ، وبخاصة فيما يتصل بالتصوف والمتصوفة . .

كما استفاد البحث من مراجع كثيرة تناولت التاريخ الاجتماعي أبان عصر سلاطين المماليك ومن أهمها كتاب « المجتمع المصرى فى عصر سلاطين المماليك » للدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور . كما يعتبر كتاب « دراسات فى تاريخ مصر الاجتماعى » للدكتور قاسم عبده قاسم من المراجع المهمة التى استناد منها البحث فى بعض فروعه .

وقد استعنت فى هذه الدراسة ببعض المراجع الأجنبية ويجىء فى مقدمة هذه المراجع مقال :
«Le Vizirat et les Vizirs D'Egypte »
للأستاذ الدكتور احمد عبد الرازق وهو أحد المقالات المهمة التى أفادت الدراسة افادة كبيرة ، فى تتبع ظاهرة الرشوة (البذل والبرطلة) التى استشرت بصورة واضحة بين الطبقات العليا ومنها الى الطبقات الشعبية . ومن هذه المراجع أيضا مقال للمؤلف نفسه بعنوان «La Hisba Et le Muhtasib en Egypt» وقد عرض هذا المقال لدور المحتسب منذ العصر الاسلامى وحتى عصر المماليك وتضاءل مكانة هذه الوظيفة فى العصر الثانى ، وارتباط الحصول عليها بدفع مبالغ مالية محددة ، ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل تولى هذا المنصب غير الاكفاء مما أدى تدهورها وانحطاطها .

ومن أبرز هذه المراجع الأجنبية : «A History of Egypt» للين بول (Lane — Poole) وقد أفدت منه فى تقسيمات المجتمع . ويعد كتاب «The Mohammadan Dynasties» للمؤلف نفسه من أهم الكتب التى أفادت منها هذه الدراسة أيضا . فقد تناول هذا الكتاب تاريخ فترة المماليك البحرية ثم البرجية ، وقد ذكر المؤلف

فى كلتا الفترتين تاريخ تولى كل سلطان على حدة ، وبهذا أفدت منه فى التسلسل التاريخى المقترن بفترات حكم سلاطين المماليك .

ويعتبر كتاب «An Accaunt of the Manners and Customs» ومؤلفه (Clane-E-W) من الكتب المهمة ، فمن خلاله أمكننى التعرف على بعض الحرف التى زوالتها الطبقات الشعبية مثل حرفة السقائين والدايات ، وحديثه عن حصول السقائين على أجرهم من الأغنياء فى حين كانوا يسقون الفقراء مجانا أو نظير قطعة من الخبز .

ولا يمكننا اغفال أهمية كتاب
«La femme au temps des Mamluks»
للأستاذ الدكتور أحمد عبد الرازق ، فقد أمكن من خلاله الوقوف على بعض الحرف أيضا التى عملت بها نساء الطبقات الشعبية مثل حرفة الداية والخاطبة والبلانات والماشطة والصانعة والدلالة وغيرها من الحرف التى كانت سائدة فى ذلك العصر .

كذلك لايفوتنا الاشارة الى مقال «Les Mosquees du Caire» (ومؤلفه (Wiet) الذى أفاد الدراسة كثيرا خاصة فيما يتعلق بالحصول على الطعام . فقد أشار هذا الكتاب الى أن الغالبية العظمى من سكان القاهرة وفى مقدمتهم الطبقات الشعبية كانت تشترى طعامها من الأســـــواق أو تتناوله فى المطابخ التى كانت منتشرة فى القاهرة على عصر سلاطين المماليك ..

كذلك من هذه المراجع مقال
The Arabic shadow play in Egypt
(للمؤلف (Poul-Kahle) ، وقد أعاننى على التعرف على وسائل التسلية التى كانت منتشرة فى ذلك الوقت ومنها خيال الظل الذى كان يعد وســــيلة التسلية المفضلة لدى جميع الطبقات . كما

ساعدنى هذا الكتاب فى معرفة تتبع نشأة هذا الفن وموقف سلاطين المماليك منه .

ولا يمكننا ايضا اغفال اهمية دائرة المعارف الاسلامية التى افدت منها فى مختلف جوانب هذه الدراسة .

واخيرا لا يسعنى الا أن أتقدم بخالص شكرى وعميق تقديرى لأستاذى الدكتور أحمد رمضان احمد استاذ تاريخ العصور الوسطى ، الذى أشرف على هذا البحث منذ ان كان مجرد فكرة إلى ان خرج فى هذه الصورة التى أحسبها لائقة ، وصوب ما وقعت فيه من أخطاء وتجشم عناء الدرس والقراءة والتوجيه العلمى لى طوال فترة الاشراف وكان خير مرشد لى ومعين ، فجزاه الله عنى وعن كل الزملاء خير الجزاء .

كما اتوجه بخالص تقديرى وشكرى وعرفانى الى الأستاذ الدكتور اسحق عبيد استاذ تاريخ العصور الوسطى ورئيس قسم التاريخ على ما بذله من جهد فى ترجمة بعض النصوص التاريخية المكتوبة باللغة الفرنسية ، وكذلك الدكتور الحسينى زغلول على ما قام به من ترجمة لبعض مراجع البحث المكتوبة باللغة الألمانية ، كما اتوجه بالشكر والتقدير الى الدكتور محمد ابراهيم الطاووسى بقسم اللغة العربية على تفضله بمراجعة الرسالة .

كما أتوجه بخالص شكرى وعرفانى الى كل من قدم لى يد العون من الأساتذة والزملاء داخل القسم وخارجه .

واخيرا اشكر اساتذتى الكرام اعضاء لجنة المناقشة أ . د احمد عبد الرازق أحمد استاذ التاريخ والحضارة الاسلامية بجامعة عين شمس ، أ . د قاسم عبده قاسم ، استاذ تاريخ العصور الوسطى بجامعة الزقازيق على تفضلهما بقبول المشاركة فى مناقشة هذه الرسالة فجزاهم الله عنى خير الجزاء .

والله ولى التوفيق ،،

هوامش المقـــدمة

(١) حياة ناصر الحجى : أحوال العامة فى حكم المماليك ، دراسة فى الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية (٦٨٧ — ٧٨٤ هـ/١٣٨٢ م) الكويت .

(٢) علاء طه رزق : عامة القاهرة فى العصر المملوكى ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة الزقازيق ، كلية الآداب ، ١٩٨٦ .

(١) عبد المنعم ماجد : مقدمة لدراسة التاريخ الاسلامى ، القاهرة مكتبة الانجلو المصرية ، طبعة ١٩٥٣ ؛ ص ١٧ .

(٢) انظر الفصل الأول ص ٦١ ، ٦٦ .

(٣) انظر المدخل ص ٩ هامش (٣) .

(٤) انظر الفصل الثانى ص ١٤٠ .

(٥) هو أبو العباس القلقشندى المولود فى مدينة (قلقشندة) بمركز طوخ محافظة القليوبية ، ولد أبو العباس القلقشندى فى عام (٧٥٦ هـ/١٣٥٥ م) واشتغل بالفقه وغيره وسمع من أبيه فى وقته ، وكان أحد الفضلاء ممن برع فى الفقه والأدب وكتب الانشاء ، وناب فى الحكم . عمل صبح الأعشى فى صناعة قوانين الانشاء فى أربعة عشر مجلداً جمع فيه ماوعى وتوفى عام (٨٢١ هـ/١٤١٨ م) . أحمد رمضان أحمد . تطور علم التاريخ الاسلامى ، ط ١٩٨٩ ، ص ٢٢٢ .

(٦) انظر المدخل ص ٢١ هامش (٧) .

(٧) انظر الفصل الأول ص ٥٣ هامش (٥)

(٨) هو أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدايم المعروف بشهاب الدين النويرى ، المولود بقرية (نويرة) ببنى سويف (٦٧٧ هـ/١٢٧٨ م) ، وقد جمع فى موسوعته خمسة فنون الفن الأول : فى السماء والآثار العلوية والأرض والمعالم السفلية ، والفن الثانى : فى الانسان وما يتعلق به ، والفن الثالث : فى الحيوان

الصامت ، والفن الرابع : فى النبات ، والخامس فى التاريخ ، وتوفى ٧٢٣ هـ/ ١٣٣٣ م . خير الدين الزركلى ،الأعلام قاموس تراجم ، ط بيروت ١٩٧٩ ، جـ ١ ، ص ١٦٥ أحمد رمضان : تطور علم التاريخ ، ص ٢٢٠ ، ص ٢٢١ .

(٩) هو أحمد بن على المقريزى ، ولد بالقاهرة فى حارة برجوان عام ٧٦٥ هـ/ ١٣٦٤ م ، وهى منطقة من أعظم مناطق القاهرة امتلاء بالعمران والصخب وضوضاء الحياة ، وقد عمل طويلاً فى عدة مناصب حكومية كبيرة مثل ديوان الانشاء بالقلعة ، ثم قاضيا عند قاضى القضاة الشافعية ، خاطبا لجامع الحاكم ، ومدرسا للحديث بالمدرسة المؤيدية ، ثم اختاره السلطان برقوق لوظيفة محتسب القاهرة ، ثم عمل بالتدريس فى دمشق ، وعاد الى القاهرة ليتوفر على الدرس والاشتغال بالعلم ، ولاسيما التاريخ ، وتوفى ٨٤٥ هـ/١٤٤١ م . محمد مصطفى زيادة : المؤرخون فى مصر فى القرن الخامس عشر الميلادى القرن التاسع الهجرى ، القاهرة ١٩٤٩ ، ص ٧ الى ص ٩ ، انظر الفصل الاول ص ٥٥ هامش (٦) .

(١٠) انظر الفصل الأول .

(١١) طبعة القاهرة ١٩٤٠ .

(١٢) إنظر اغاثة الأمة بكشف الغمة ، ص ٤ .

(١٣) وهو أبو المحاسن جمال الدين يوسف بن تغرى بردى بن عبد الله الظاهرى ، الذى ولد فى القاهرة فى عام ٨١٢ هـ/١٤١١ م من أم تركية كانت جارية لدى السلطان برقوق كذلك فان والده كان موظفا فى البلاط المملوكى ، وقد عاش المؤرخ فى بحبوحة من العيش بصفته أحد أبناء الأمراء الذين عرفوا فى ذلك الوقت باسم أولاد الناس ، وقد احتل أبى المحاسن مركز الصدارة بين المرخين بمصر بعد وفاة المقريزى ، أواسط القرن الخامس عشر الميلادى . مصطفى زيادة : المؤرخون فى مصر ، ص ٢٦ ، انظر المدخل ص (١) .

(١٤) أحمد عبد الرازق : دراسة فى المصادر المملوكية ، ص ١٤٥ ، ص ١٤٧ ، زيادة . المؤرخون فى مصر ، ص ٢٩ ، ص ٩٥ .

(١٥) هو محمد بن أحمد بن اياس المصرى الحنفى ، ولد فى القاهرة فى عام ٨٥٢ هـ/١٤٤٨ م ، وابن اياس شبيه بأبى المحاسن من حيث أن كلا منهما سليل أسرة مملوكية ، وظل معظم حياته متمتعا باقطاع وافر ، فعاش حياة راضية ، مصطفى زيادة : المؤرخون فى مصر ، ص ٢٩ ص ٩٥ ، أحمد عبد الرازق : دراسة فى المصادر المملوكية ، ص ١٤٥ ،ص ١٤٧ .

(١٦) انظر الفصل الأول ص ٣٦ هامش (٣) .

(١٧) انظر معيد النعم ومبيد النقم المقدمة ط ١٩٤٤ م .

(١٨) هو أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي ، ولد بمدينة بغداد ، وقد ارتحل الى ايران (سنة ٣٠٥ هـ/٩١٧ م) ، ثم ذهب الى الهند والصين وفي طريق عودته زار عمان وزنجار وسواحل افريقيا الشرقية والسودان ، ثم اتجه الى آسيا الصغرى وانطاكية عام (٣٣٧ هـ/٩٤٨ م) . كذلك زار بلاد الشام والعراق ثم انتهى به المطاف في مصر عام ٣٤١ هـ/٩٥٢ م التي بقي بها حتى توفي سنة ٣٤٥ هـ/٩٥٦م أو سنة ٣٤٦ هـ/٩٥٧ م . ويعد المسعودي من المؤلفين ذوي الثقافة المتنوعة الذين عاشوا في القرون الأولى للهجرة فهو لم يهتم بالجغرافيا والتاريخ اللذين ارتحل من أجلهما فحسب ، بل اهتم كذلك بعلم الكلام والأخلاق والسياسة وعلوم اللغة . أحمد رمضان احمد : الرحلة والرحالة المسلمون ، دار البيان العربي للطباعة والنشر والتوزيع : جدة ، بدون تاريخ ، ص ١٠١ ، ص ١٠٢ .

(١٩) ولد عبد اللطيف بن يوسف البغدادي في بغداد عام ٥٥٧ هـ/١١٦٢ م ، حيث بدأ دراسته الأولى بحفظ القرآن وسماع الحديث واللغة والنحو واجادة الخط وحفظ الشعر والمقامات ، فلما اكتملت ثقافته ارتحل الى أجزاء اخرى من العالم الاسلامي وفي مقدمتها مصر . وقد الف عبد اللطيف العديد من المصنفات العلمية ، أهمها كتاب « الافادة والاعتبار وبرغم الاختصار الملحوظ لرحلته الى وادي النيل في كتابه هذا الا انها تمتاز بدقة الوصف وشمولها لجميع مناحي الحياة العمرانية والاجتماعية ، أحمد رمضان : الرحلة والرحالة ، ص ١٠٣ ، ص ١٠٤ .

(٢٠) انظر المدخل ص ٩ هامش (٥) .

(٢١) انظر الفصل الأول ص ٢٦ هامش (١) .

مدخـــــل

الطبقات الشعبية فى العصرين الفاطمى والأيوبى

المقصود بالطبقات الشعبية :

أغفل المؤرخ أبو المحاسن ابن تغرى بردى(١) فى تأريخه حياة الطبقات الشعبية من المصريين اغفالا تاما ، فنحن نجده يضن بمجرد الاشارة الى حياة الجماهير المصرية الا ما يرد عنها عفوا ، حين يعرض لمظاهراتهم عند استقبال السلاطين ، أو نهب الطبقات الشعبية لبيوت الأمراء المغضوب عليهم من السلطان ويعزى ذلك الى نظرته الاستعلائية المنبثقة من انتمائه الطبقى ، وحسبنا أن المصريين فى نظره كانوا مجرد « غوغاء »(٢) ، وحرافيش « أو عامة » على أحسن الأحوال(٣) .

وقد عرف البعض الطبقات الشعبية فى عصر سلاطين المماليك بأنهم جمهور كبير من الباعة والسوقة والســـقائين والمكاريين والمعدمين أو أشباه المعدمين(٤) . والبعض الآخر عرفهم بأنهم جميع الرعايا من سكان المدن باستثناء رجال القلم(٥) . ويذكر أحد الباحثين أن المقصود بالطبقات الشعبية هم أهل المهن والصنائع والتجار والخدم والجند واللصوص ، والعيارين والشطار(٦) .

وان كنت ارى أن المقصود بالطبقات الشعبية مختلف الشرائح من أهل الحرف والصنائع وصغار التجار والباعة والسوقة والسقائين والمكاريين والمشاعلية حتى نصل الى ادنى شريحة من شرائح الطبقة الشعبية ممن لا عمل لهم من العاطلين نحو الشطار والعيارين والحرافيش والعياق والمناسر .

ولما كانت القاهرة قد اختطها الفواطم ، فقد رايت أن امهد بالحديث عن الطبقات الشعبية فى عصرهم ، وذلك من خلال رصد اماكن تجمعهم ثم ذكر ما قد طرأ على احوالهم الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والدينية من تطور ابان العصر الأيوبى حتى يكون تناولى لموضوع الرسالة وهو « الطبقات الشعبية فى القاهرة المملوكية » ٦٤٨ هـ - ٩٢٣ هـ / ١٢٥٠ - ١٥١٧ واضحا جليا مع تجنب الاستطراد التاريخى الذى قد لا يمت بصلة وثيقة لما حددته من اطار منهجى للدراسة .

بعدما استتب الأمر للفاطميين فى شمال افريقيا ، اتجهوا بأبصارهم الى مصر ، لما كانت تتمتع به من مكانة ممتازة وموقع جغرافى متميز الى جانب بعدها عن مركز الخلافة العباسية واتساعها وغناها ولأنها تصلح بمواردها الخاصة أن تكون مركزا لدولة مستقلة تستطيع فى أى وقت أن تناهض السلطة المركزية العباسية ، وأن تقاومها من أجل الاحتفاظ باستقلالها(٧) ، ولهذا أسس جوهر الصقلى(٨) مدينة القاهرة(٩) ، عشية فتحه لمصر(١٠) .

وكان هدف جوهر من اختطاط القاهرة أن تكون حصنا فيما بين القرامطة وبين مدينة مصر(١١) ، فلم يكن لقاطنى مصر أن يدخلوا القاهرة الا باذن يسمح لصاحبه بدخول احدى بوابات القاهرة ، وكانت أسوار القاهرة العالية وابوابها الضخمة تحجب

الخليفة عن أنظار شعبه(١٢) ، وبمرور الأيام فاقت القاهرة الفاطمية بغداد العباسية ، وقرطبة الأندلسية وصارت قلب العالم الاسلامي(١٣) . وقد وصفها ابن سعيد حينما زارها في هذه الفترة بأنها « مدينة رائعة تفنن الفاطميون في بنائها وكانت مقرا لخلافتهم ومركزا للاشعاع العلمي والثقافي يشع على كل المناطق التابعة للخلافة الفاطمية في مختلف أنحاء العالم الاسلامي »(١٤) الى ان تدهورت مكانتها بفعل ما اصابها من الأوبئة والمجاعات(١٥) .

وقد كانت القاهرة مخصصة لسكنى الخليفة وحرمه وجنده وخواصه الى أن سكنها أمير الجيوش بدر الجمالي والى عكا ، أباح الناس على اختلاف طبقاتهم السكن بها ، وقد اهتم أهل القاهرة بعمرانها فاتسعت مساحتها وازدهرت مبانيها ، واستمرت القاهرة على هذه الحالة حتى نهاية الدولة الفاطمية وظهور نجم الدولة الايوبية في عام ٥٦٧ هـ/١١٧١ م(١٦) .

ويمكننا الوقوف على أماكن تجمع الطبقات الشعبية في القاهرة الفاطمية بالتعرف على الأسواق(١٧) التي تواجدت في تلك الفترة باعتبارها من الأماكن المهمة التي تلتقي بها مختلف فئات المجتمع على اختلاف تكويناتهم الاجتماعية والاقتصادية والثقافية . وقد ارتبطت الطبقات الشعبية بهذه الأسواق ليس بهدف البيع والشراء فحسب ولكن للتنزه والترويح عن النفس ومشاهدة مايعرض فيها من مختلف أنواع السلع والبضائع . والأسواق بما يعرض فيها من سلع ، وبمن يؤمها من تجار ، توضح الحالة التي وصلت اليها التجارة خاصة والحياة الاقتصادية عامة ، كما كانت الأسواق صورة للحياة العقلية والأدبية والاجتماعية للقاهرة في تلك الفترة(١٨) .

وتعد الأسواق كذلك من الأماكن التى يحتفل بها أهل القاهرة من الطبقات الشــعبية أعيادهم ، ففى عيد الخروج لســجن يوسف(١٩) كانوا يطوفون قبل موعد الاحتفال بهذا العيد بأسواق القاهرة بالطبول والأبواق لجمع الأموال التى ينفقونهــا فى هذا لاحتفال من التجار(٢٠) .

ومن اســـــواق القاهرة فى العصــر الفاطمى ســــوق الشرابيحيين(٢١) ، ويعتبر أول سوق انشىء بالقاهرة فى خلافة المعز لدين الله الفاطمى وذلك فى عام ٣٦٥ هـ/٩٧٥ م ، ويقع بين حارة الروم ويتصل بسوق الحلاويين ، وظل يعرف بســــوق الشرابيحيين حتى سكنه باعة الشـواء(٢٢) ، فأصــــبح يعرف الشوايين ، وقد سكنه المتعيشين(٢٣) ، ثم انتقل سوق الشرابيحيين الى خارج باب زويلة وعرف بالبطينين(٢٤) . ولما نقل أمير الجيوش بدر الجمالى باب زويلة اتسع المكان بين سوق الشراحيين وبين باب زويلة وصار يعرف بسوق الغرابليين(٢٥) ، وقد وجدت فى هذا السوق عدة حوانيت لعمل مناخل الدقيق والغرابيل ، ويقابلها فى الناحية الأخرى عدة حوانيت لصـــنع الأغـــلاق المعروفة بالضبب(٢٦) . أما سويقة(٢٧) الصاحب(٢٨) فيمكن الدخول اليها من حى البندقانيين(٢٩) ومن باب الخوخة وهى من الأســـواق القديمة ، وقد عرفت فى الدولة الفاطمية بسويقة الوزير ثم عرفت فيما بعد بســـويقة دار الديباج ، وقد ذكر المقريزى أن الديباج بمعنى دار الطراز والتى ينسج فيها الديباج والحقيقة تنافى ذلك(٣٠). وعرف هذا المكان كله بحى دار الديباج ، كما عرف فى أواخر الدولة الفاطمية بالسوق الكبير ، ويعد هذا السوق من الأسواق الكبيرة التى يعرض بها مختلف أنواع الأطعمة والمأكولات ، ومعظم سكان هذا السوق من الوزراء والأعيان(٣١) ، وقد اشرنا اليه هنا لارتباط

الطبقات الشعبية به باعتباره احد الأماكن التى يمارسون فيها بعض الأعمال، ويتخذونها مكانا للتنزه فى بعض الأحيان .

ومن الأسواق الأخرى التى ارتبطت بها الطبقات الشعبية فى القاهرة الفاطمية سوق باب الزهومة(٣٢) وهو احد أبواب القصر الشرقى الكبير فى الدولة الفاطمية ويقع مكان سوق الصيارف ويقابله سوق السيوفيين وسوق الحريريين وسوق العنبر(٣٣) الذى عرف قديما بسجن المعونة(٣٤) اما سوق المحايريين(٣٥) فيقع بين الجامع الاقمر(٣٦) وجملون بن صيرم(٣٧) ويتصل من سوق حارة برجوان ومن الشماعين الى رحبة العيد(٣٨) ، ويعتبر من شوارع القاهرة الكبيرة آنذاك ، ويزدهر هذا السوق فى موسم الحج على الأخص(٣٩) . ويعد سوق الكعكيين من الأسواق الفاطمية التى كان الباعة يتفنون فيها بمختلف أنواع الأطعمة ، وقد تواجد به بعض الطهاه الذين يصنعون الكعك والشريك والبيض(٤٠) . هذا من الأسواق التى تواجدت فى العصر الفاطمى ، وقد كانت وسيلة المواصلات من المنازل الى هذه الأسواق الحمر المسرجة(٤١) . وقد وصف الرحالة الفارسى ناصر خسرو(٤٢) حالة الأمن فى الأسواق فى أثناء زيارته للقاهرة بقوله : « بلغ أمن المصريين واطمئنانهم الى حكومتهم الى أن البزازين(٤٣) وتجار الجواهر والصيارفة(٤٤) لا يقفلون أبواب دكاكينهم ، بل يسدلون عليها الستائر ، ولم يكن أحد يجرؤ على مد يده الى شىء منها(٤٥) .

ورغم أن المستفيد من استتباب حالة الأمن فى الأسواق آنذاك هم طبقة الأثرياء من تجار الجواهر والصيارفة ، فان ذلك يعد دليلا على أن مرتادى تلك الأسواق من الطبقات الشعبية كانوا يتمتعون بظروف اقتصادية مستقرة ، الأمر الذى حال بينهم وبين ارتكاب ما يعكر صفو الأمن ذلك لأن الأسواق كانت ملتقى للأثرياء والطبقات الشعبية فى ذلك الوقت .

ولم تكن الأسواق المكان الوحيد الذى تتواجد به الطبقات الشعبية فى العصر الفاطمى بل تركزت الطبقات الشعبية فى الربع(٤٦) الجنوبى الغربى ، فقد كانت القاهرة مقسمة الى اربعة اجزاء ، الربع الشمالى الشرقى ويوجد به القصر الشرقى الكبير(٤٧) ، والشمال الغربى حيث القصر الغربى الصغير(٤٨) ، والجنوب الشرقى وبه الجامع الأزهر ، أما الجنوب الغربى فقد كانت تقطنه طبقة العمال التى تزاول بعض الحرف والصناعات المتصلة بالخليفة ورجاله . وقد انشأ العمال فى هذا الجزء عمائر للعمل والصناعة اطلق عليها اسم (الربع) واستمرت هذه العمائر فى مصر بعد الدولة الفاطمية ، وعرفت باسم الربع بنصب الراء بدلا من ضمها .

ومما يدل على سكنى الطبقات الشعبية لمدينة الفسطاط فى العصر الفاطمى ما رواه ابن تغرى بردى عن حالة التذمر التى سادت مختلف طبقات الشعب فى عصر الخليفة الحاكم بأمر الله (٣٨٦ ــ ٤١١ هـ/٩٩٦ ــ ١٠٢٠ م) والتى لم يستطيع أن يواجهها سوى بالعنف الى جانب ارسال قواده الى الفسطاط لضربها بالنار ، الامر الذى دفع أهل الفسطاط من الطبقات الشعبية وسائر الطبقات الأخرى الى التوحد للدفاع عنها ، وقد استمر الامر على هذا النحو الى أن هدأت الأحوال فعادت الطبقات الشعبية الى اسواقها لمزاولة سائر نشاطاتها المعتادة(٤٩) .

ولقد كانت مدينة الفسطاط عامرة فى عصر الفاطميين(٥٠) ، كما كانت من أكبر المراكز الصناعية فى ذلك العصر ويشهد بذلك تنوع الانتاج وكثرة أحيائها الصناعية واسواقها العظيمة(٥١) .

ورغبة فى عدم مزاحمة الطبقات الشعبية فى مساكنهم بالفسطاط لم يسمح جوهر الصقلى للمغاربة فى مزاحمتهم فى مجرد المبيت بها ، وحينما قام هؤلاء المغاربة بنهب

بعض أحياء مصر(٥٣) فى عام ٣٦١ هـ/٩٧١ م ، سارع سعادة ابن حيان فى الحال وعوض أهلها من الطبقات الشعبية ما نهب منهم(٥٤) . وهكذا نرى أن جوهر الصقلى حرص على التودد للطبقات الشعبية ومراعاة شعورهم وقد عوضهم عن نهب المغاربة لبعض أحيائهم ، ونقل المغاربة بعيدا عن أهل الفسطاط حتى لا يتكرر حدوث الاضطرابات منهم .

وأكد المقريزى وجود الطبقات الشعبية فى الفسطاط وكذا ابن سعيد(٥٥) حينما زار جامع عمرو بن العاص فقد شاهد بعض الطبقات الشعبية من الرجال والنساء يجتازونه اختصارا للمسافة بين احياء الفسطاط ، كما ذكر أن الطبقات الشعبية اتخذته مكانا لبيع الأطعمة ، كما كانوا يتبادلون فيه طعامهم(٥٦) . ومن الدلائل التى تؤكد وجود الطبقات الشعبية فى مدينة الفسطاط ذلك التجمع الكبير الذى وجد فى سوق القناديل الكائن بها والذى يقع على الجانب الشمالى لجامع عمرو بن العاص حيث تعرض فيه مختلف الادوات كالأوعية والأمشاط ومقابض السكاكين وغيرها ، وقد تواجد فيه أيضا العديد من الصناع المهرة الذين كانوا ينحتون البللور ، كما كانت تعرض به أيضا أنياب الفيل(٥٧) .

وقد عملت الطبقات الشعبية فى كثير من الصناعات منها صناعة الخزف ، فقد أنتج الخزفيون فى القاهرة ابان العصر الفاطمى خزفا ذاعت شهرته وأعجب به المعاصرون — وعلى رأسهم الرحالة ناصر خسرو الذى قال ان المصريين فى تلك الآونة كانوا يصنعون أنواع الخزف المختلفة وان الخزف المصرى كان رقيقا وشفافا ، وكانت تصنع منه الفناجين والقدور والصحون والمواعين الأخرى ، وتزين بألوان زاهية تختلف باختلاف أوضاع الآنية(٥٨) . ومما يدل على ازدهار صناعة الفخار عامة فى العصر

الفاطمى ما كتبه ناصر خسرو عن استخدام التجار والبقالين للأوانى الخزفية فيها يستخدم فيه التجار الورق فى العصر الحاضر ، فقد كانوا يضعون فيها ما يبيعونه ويأخذها المشترون بالمجان(٥٩) .

وقد اهتم الفاطميون بصناعة المنسوجات اهتماما كبيرا وكان بامكان مختلف الطبقات الاجتماعية لأهل القاهرة الحصول على مختلف أنواع المنسوجات(٦٠) . ويستنتج من هذا أن استخدام المنسوجات الراقية لم يكن محصورا فى طبقة السلاطين والأمراء بل كانت الطبقات الشعبية لها نصيب فى الحصول عليها واستخدامها .

وكانت للصناعات الخشبية أسواق مهمة وعامرة فى مدينة الفسطاط منذ العصر الطولونى(٦١) وقد بينت وثائق الجينزاه وجود بعض الصناعات الخشبية فى القاهرة ابان العصر الفاطمى منها النشارة وعمل الصناديق والنجارة ، وكان لكل طائفة من طوائف هذه الصناعات سوق خاص سمى باسمهم فى الفسطاط(٦٢) . وقد تقدمت صناعة الزجاج والبللور الفاطمى تقدما كبيرا وكانت الفسطاط احدى مراكز صناعتها(٦٣) .

وقد انتظم الحرفيون الذين يعملون بهذه المهن سابقة الذكر فى مجموعة من الطوائف التى تحكم نظامها عدد من القوانين والأعراف(٦٤) ، والتى كانت فيها بعد بمثابة البدايات الأولى لمفهوم النقابات فى العصر الحديث .

وكان نظام الحسبة احد الأطر المنظمة للعلاقة بين الدولة الفاطمية وهذه الطوائف المهنية ، واختص المحتسب واعوانه

بالصناعات والتجارة والتفتيش على البضائع فى الأسواق(٦٥) .
وكانت السلطة السياسية ممثلة فى شخص الخليفة ذات صلة مباشرة بهؤلاء الحرفيين خاصة فى أوقات الأزمات والمجاعات ، وذلك للتنسيق فيما بينهم فى بعض الاجراءات الاقتصادية التى تعين اهل القاهرة وخاصة الطبقات الشعبية منهم فى مواجهة هذه الأزمات وذلك فى مسائل من مثل الالتزام بالأسعار المناسبة للسلع أو توفير المواد الغذائية أو التيسير على الناس فى قضاء حوائجهم(٦٦) .

وبعد قيام الدولة الأيوبية على يد صلاح الدين الايوبى(٦٧) صاحب العقيدة السنية ، اعيدت الخطبة الى الخليفة العباسى وعد ذلك انتصارا للمذهب السنى على المذهب الشيعى الاسماعيلى(٦٨) ، وقد تم تثبيت هذا المذهب من خلال عدة اجراءات منها الغاء الأعياد والمناسبات المرتبطة بالمذهب الشيعى(٦٩) ، واتخاذ شعار السواد زيا رسميا للخطباء(٧٠) ، الى جانب انشاء بعض المدارس(٧١) ، وضمت مثل هذه المدارس بعض أبناء الطبقات الشعبية الى جانب أبناء طبقة الأثرياء فى القاهرة ، وقد كان أبناء الطبقات الشعبية عددا محدودا ممن يتلقى علومه فى مثل هذه المدارس نظرا لاضطرار ذويهم الى دفعهم لميدان العمل لمعاونتهم فى مواجهة اعباء الحياة ، أو لوراثة مهنة الآباء ولذلك كان المحتسب يرتب فى كثير من الأحيان من يعلم الحرفيين وأصحاب الدكاكين بالأسواق القرآن وفروض الصلاة(٧٢) .

واول مدرسة انشأها صلاح الدين فى مصر هى المدرسة الناصرية التى انشئت فى الفسطاط لتدريس مذهب الشافعية ، ثم انشأ مدرسة أخرى لتدريس المذهب المالكى(٧٣) ، ومن المدارس الأخرى التى انشاها صلاح الدين المدرسة المعروفة بالصلاحية

الناصرية بجوار قبة الامام الشافعى ، ومدرسة بجوار المشهد الحسينى(٧٤) ومدرسة للحنفية فى السيوفية ، وقد حذا أمراؤه حذوه فى بناء مثل هذه المدارس(٧٥) واوقفوا عليها بعض الأوقاف لصيانتها والحفاظ عليها(٧٦) .

ومن المنشآت الأخرى التى ارتبطت بها الطبقات الشعبية فى القاهرة ابان العصر الأيوبى الخانقاوات(٧٧) التى أنشأها صلاح الدين لتعضيد رغبته فى تكريس مذهبه الدينى وسلطته السياسية ، وقد اتجه صلاح الدين الى بناء هذه الخانقاوات باعتبارها من المنشآت الدينية التى تعضد الاتجاه الى التصوف فى تلك الفترة وهو الأمر الذى استغله فى مجابهة الدعوة الاسماعيلية الشيعية المرتبطة بالدولة الفاطمية(٧٨) . وهكذا استخدم الأيوبيون سلاح التصوف فى وجه الدعوة الاسماعيلية ليشغلوا المصريين بالتصوف حتى لا يجدوا فراغا بعد القضاء على المذهب الشيعى ، خاصة وان الاتجاه الفكرى والروحى الغالب بين الطبقات الشعبية فى القاهرة فى تلك الفترة كان الميل الى الزهد فى متاع الدنيا والاستسلام القدرى تجاه تدهور الأحوال الإقتصادية والاجتماعية(٧٩) آنذاك اضافة الى ان حالة البطالة والفقر التى سادت البلاد فى أثناء الحروب الصليبية والحروب الداخلية ، قد دفعت الكثيرين من الطبقات الشعبية فى القاهرة الى الاقبال على هذه المنشآت الدينية حيث يجدون ما يعينهم على تحمل الفقر والعوز ويهيىء لهم الأمان(٨٠) .

ويبدو أن البعض كان يخلط بين تسمية الخوانق والزوايا فى فترة ابن بطوطة (٧٠٣ هـ/١٣٠٤ م) فقد ذكر فى سياق وصفه لرحلته الى مصر ان الزوايا (ويعنى بها الخوانق) كانت كثيرة العدد وقد سكنها الفقراء من أهل القاهرة والاعاجم وكان لكل زاوية شيخ وحارس ونظام محدد ومنظم(٨١) .

وأول(٨٢) خانقاه اقيمت فى القاهرة فى العصـر الأيوبى خانقاه سعيد السعداء(٨٣) التى اقامها صـلاح الدين فى عام ٥٦٩ هـ/١١٧٣ م(٨٤) ، أما عن موقع هذه الخانقاه فتقع فى رحبة باب العيد(٨٥) فى القاهرة ، كانت فى البداية دارا عرفت فى الدولة الفاطمية بسعيد السعداء أحد خدام القصر ، فلما تولى صلاح الدين مقاليد الحكم فى مصر أنشأ هذه الدار لفقراء الصوفية، الواردين من البلاد الأخرى ووقفها عليهم فى عام ٥٦٩ هـ/١١٧٣ م وولى عليهم شيخا ، كما وقف عليهم بستان الحبانية (بجوار بركة الفيل) وقيسارية الشرب بالقاهرة ، وناحية دهمرو من البهنساوية، واشترط ان من مات من الصوفية وترك عشرين دينارا فما دونها كانت للفقراء ولا يتعرض لها الديوان السلطانى ، ومن اراد منهم السفر يعطى تسفيرة ، ورتب لهم فى كل يوم طعاما ولحما وخبزا وبنى لهم حماما ، وعرفت بدويرة الصوفية وسمى شيخها بشيخ الشيوخ ، واستمرت حتى عام ٨٠٦ هـ/١٤٠٣ م(٨٦) .

واقتصرت وظيفة الخانقاه على تقديم ما يسد رمق الفقراء ويكفى حاجاتهم الضرورية ، ولم يدخل ضمن مسئوليتها توفير وظائف لهؤلاء الفقراء اذ لم يكن وقف الصوفية يكفى لتغطية نفقات ذلك الدور(٨٧) ، وخادم الخانقاه من واجباته توفير أوقات الصوفية للعبادة ، فانه فى عبادة مادام يعينهم على العبادة ، وكان يحتفظ بباقى طعامهم ، ويقدمه لمن يستحقه من الفقراء والمعوزين .

وعن أسواق العصر الأيوبى فبعضها استمر منذ العصـر الفاطمى والبعض الآخر ظهر مع قيام الدولة الأيوبية . ويصـف الرحالة عبد اللطيف البغدادى حالة الأسواق فى القاهرة الأيوبية بقوله « دخلنا مصر فرأينا منها دروبا واسواقا عظيمة كانت مكتظة بالزحام »(٨٨) . ومن هذه الأسواق التى ظهرت مع قيام الدولة

الأيوبية سوق باب الفتوح الذى أنشىء عندما سكن قراقوش فى موضعه بحارة بهاء الدين ، وهو يقع فى داخل باب الفتوح وهو معمور الجانبين بحوانيت اللحامين(٨٩) والخضريين(٩٠) والفاميين(٩١) والشرايحية(٩٢) وغيرهم . ويعد هذا السوق من أسواق القاهرة العامرة بمختلف أنواع الأطعمة والخضروات ، ويعتبر من الأسواق الجامعة التى يقصدها الناس من مختلف البلاد لشراء اللحوم الضأن والبقر والماعز(٩٣) .

وكانت سويقة أمير الجيوش من الأسواق التجارية المهمة فى القاهرة الأيوبية(٩٤) ، وتقع بين حارة برجوان وحارة بهاء الدين ، وقد عرفت باسم سوق الخروقيين(٩٥) ، وتعد هذه السويقة من أكبر أسواق القاهرة وتضم عدة حوانيت للرفائين(٩٦) والحياكين(٩٧) والرسامين والفرايين(٩٨) والخياطين ، وقد سكنها البزازون(٩٩) والخلعيون(١٠٠) الى جانب بائعى الاقباع(١٠١) ، وتباع فى هذه السويقة الثياب الجاهزة ايضا(١٠٢) .

وتقع سويقة البلشون خارج باب الفتوح وتنسب الى سابق الدين سنقر البلشون احد مماليك السلطان صلاح الدين بن أيوب وكان له ايضا بستان خارج القاهرة عرف ببستان البلشون(١٠٣) . أما سوق السلاح فيقع بين مدرسة الظاهر بيبرس(١٠٤) وقصر بشتاك(١٠٥) ، وعرف هذا السوق بعد زوال الدولة الفاطمية بحى بين القصرين ، تباع فيه لوازم الجنود من الأسلحة والنشاب وآلات السلاح والقسى والزرديات والسيوف والخناجر ، وتقع على جانبه عدة حوانيت تمارس فيها مهنة الصيرفة ، وقد كان أرباب المقاعد يجلسون بعد العصر تجاه حوانيت الصيارف لبيع مختلف أنواع الأطعمة ، وتشعل على جانبيه المصابيح ليلا ، ويقصده مختلف الطبقات للتنزه ويختلط الرجال بالنساء فتحدث بعض مظاهر الفساد والمجون(١٠٦) .

ويقع سوق الجملون الصغير(١٠٧) بحى الجمالية (حاليا) عند رأس سـويقة أمير الجيوش الى باب الجوانية(١٠٨) وباب النصر ورحبة العيد ، وقد كان فى العصر الأيوبى حافلا بالحوانيت التى تخصص بعضها فى بيع الثياب المصنوعة من الكتان والقطن الى جانب مختلف أنواع الطرح ، كذلك وجد فيه الخـياطون والبابية(١٠٩) الذين يقومون بغسل الثياب وكيها ، وقد تواجدت فى نهاية هذا السوق عدة حوانيت اختصت بعمل الضبب(١١٠) وقد اندثرت معالم هذا السوق فى عام ٨٠٠ هـ/١٣٩٧ م(١١١) .

ومن أعمر أحياء القاهرة الأيوبية التى تواجدت بها طائفة كبيرة من الطبقات الشعبية حى بين القصرين ، وهو عبارة عن مكان متسع(١١٢) ، ويضم بعض الدكاكين التى تباع فيها اللحوم المطبوخة الى جانب بعض الدكاكين الأخرى التى تخصصت فى بيع بعض أصناف المياه المضاف اليها بعض أنواع الزهور(١١٣) . كما أشتمل على دكاكين أخرى تباع فيها بعض أنواع الحلوى ، وقد تواجـــد به بعض باعة الفواكه الذين يبيعون الثمار الواردة من بلاد الشام كالكمثرى والسفرجل(١١٤) والرمان ، ويوجد بين هذه الدكاكين عدد آخر من الدكاكين التى تباع فيها الزلابية والبيض المقلى(١١٥).

ولما كان هذا الحى يضم أصنافا متعددة من البضائع والسلع فقد قصدته مخنلف الطبقات خاصة للتنزه فى أثناء الليل وذلك لمشاهدة ما يضمه من قناديل زاهية الألوان(١١٦) ، كما قصدته الطبقات الشعبية للاستماع والاستمتاع بما يروى من سير شعبية وما يقرأ من أشعار الى جانب ممارسة بعض أنواع التسلية واللعب(١١٧) . تلك كانت عجالة سريعة تضمنت الملامح العامة للأسواق فى العصر الأيوبى ، وقد كانت صلة الطبقات الشعبية بهذه الأسواق مرتبطة بأغراض العمل فى بعض الحرف الى جانب البيع والشراء ، كما

كانوا يرتادونها للتنزه ومشاهدة ما يعرض فيها من شتى أنواع البضائع والسلع .

وعن صناعات العصر الأيوبى فقد استمرت صناعة الخزف فى ذلك العصر على ان استخدام الخزف لم يعد عاما بين مختلف طبقات أهل القاهرة فى تلك الفترة ، كما كان الحال فى العصر الفاطمى ، فالاهتمام الزائد بالشكل ربما ركز صناعة الخزف بصورة أو بأخرى فى الأوانى الثمينة والتحف(١١٨) .

وقد ورث العصر الأيوبى عن العصر الفاطمى أساليب صناعة المنسوجات وان اضمحل بعضها فيه مثل صناعة نسج الكتان التى قل الاهتمام بها بالمقارنة بنسج الحرير وتطريزه ، ولقد كانت أساليب صناعة المنسوجات بصفة عامة اقل شيوعا فى العصر الأيوبى عنه فى العصر الفاطمى(١١٩) .

واحتفظت صناعة الحفر على الخشب فى العصر الايوبى بالأساليب الفنية التى ترجع الى نهاية العصر الفاطمى ، وازدهرت فيه صناعة المحاريب والمنابر والتحف الخشبية والتوابيت ومنها تابوت الامام الشافعى والحسين الذى يعد من أعظم المنتجات الخشبية فى ذلك العصر(١٢٠) .

وترجع أصول صناعة التحف الزجاجية والبللورية فى العصر الأيوبى الى الفترة السابقة عليه ابان العصر الفاطمى ، ومن اهم المنتجات التى ظهرت فى تلك الفترة بعض الكئوس والأوانى الزجاجية ذات الاشكال الهندسية المتشابكة والزخارف المتنوعة(١٢١) . وقد ذكر المقريزى أن هذه الصناعات ظلت عامرة حتى عام ٧٠٠ هـ/١٣٠٠ م(١٢٢) .

وقد استمرت هذه الصلة(١٢٣) بين الدولة والطبقات الشعبية ابان العصر الأيوبى وزاد عليها التيسير على الطبقات الشعبية فى الانتقال الى القاهرة والسكنى بها(١٢٤) .

هوامش

(١) ظروف حياته كأصله ونشأته وثقافته ووضعه الاجتماعي قد لون منظوره التاريخي الى أبعد الحدود . فوالده تغرى بردى مملوك رومى برز فى سلطنة برقوق وتدرج فى الوظائف العامة حتى تولى نيابة دمشق ، كان ابن تغرى بردى من طبقة أولاد الناس بقد تقرب الى البلاط السلطانى ، وجالس سلاطين الجراكسة من أمثال جقمق وخشقدم وبرسباى ، وصادق أبناءهم يمكن ان يقال ان ابن تغرى بردى كان أقرب ما يكون الى المؤرخ الرسمى للسلاطين الجراكســة محمود اسـتـماعيل عبد الرازق : قضايا فى التاريخ الاسلامى منهج وتطبيق : المغرب ١٩٧٤ ، ص ١٥٦ .

(٢) الغوغاء الدبا وهي صغار الجراد وشبه بها سواد الناس وذكر الغوغاء عند عبد الله بن عباس فقال « ما اجتمعوا قط الا ضروا ولا افترقوا الا نفعوا قيل له قد علمنا ما ضر اجتماعهم فما نفع افتراقهم قال يذهب الحجام الى دكانه والحداد إلى إكياره وكل صانع إلى صناعته ابن عبد ربه : العقد الفريد ، طبعة ١٣٢١ هـ ، حـ ١ ، ص ١٨١ .

(٣) محمود اسماعيل : قضايا فى التاريخ الاسلامى ، ص ١٦٧ ، ص ١٦٨ .

(٤) سعيد عاشور : المجتمع المصرى فى عصر سلاطين المماليك ، الطبعة الاولى ، ١٩٦٢ . ص ٣٧ .

(٥) ابراهيم طرخان : مصر فى عصر دولة المماليك الجراكسة ، طبعة ١٩٦٠ ، ص ٢٥٠ .

(٦) بدرى محمد فهد : العامة ببغداد فى القرن الرابع الهجرى ، بغداد ١٩٦٧ ، ص ١٣ .

(٧) عبد الله عنان : الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية ، القاهرة ١٩٨٣ ، ص ١٩ .

(٨) القائدجوهر — أبو الحسن جوهر بن عبد الله المعروف بالكاتب الصقلي ، عهد اليه المعز لدين الله بفتح مصر على رأس جيش كبير ، فتم له فتحها بسهولة ، وقام بها متوليا ادارة شئونها و جباية أموالها الى أن عزله المعز لدين الله فى عام ٣٦٤ هـ/٩٧٤ م . وفى خلافة ابنه العزيز بالله عهد الى جوهر بقيادة جيش وجهه الى دمشق وذلك فى عام ٣٦٥ هـ/٩٧٥ م ثم استبقاه فى خدمته الى أن توفى فى عام عام ٣٨١ هـ/٩٩٢ م وكان حسن السيرة . حسن عبد الوهاب ، محمد جمال الدين سرور : الأزهر تاريخه وتطوره ١٩٦٤ م ، ص ٩١ .

(٩) تأسست فى مصر عدة مدن كعاصمة لها قبل انشاء القاهرة وهى الفسطاط التى أسسها عمرو بن العاص وهى أول مدينة يقيم بها الحكام العرب .
J. Jomier : the Encyclopaedia of Islam, art al Fustat, volume 11 , London 1960 P. 957. 958.

ثم اختط عمرو جامعة فى وسط الأسواق وذلك فى عام ٢١ هـ/٦٤١ م ، اختطت قبائل العرب المنازل والأسواق والحمامات ، الأصطخرى : المسالك والممالك تحقيق محمد جابر عبد العال مراجعة محمد شفيق غربال ، القاهرة ١٩٦١ ، المقريزى : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، طبعة بولاق ، القاهرة ١٣٢٤ هـ ، ١٩٠٦ م ، حـ ٢ ، ص ٦٠ ، عبد الرحمن زكى : بناة القاهرة فى ألف عام ، هيئة الكتاب ١٩٨٦ ، ص ٥ ، ص ٦ ، والفسطاط هى فسطاط عمرو بن العاص ، ابن خرداذبة المسالك والممالك ، طبعة بغداد ١٨٨٩ ، ص ٨٠ ، ص ٨١ ، وبعد ذلك قامت العسكر فى عام ١٣٣ هـ/٧٥٠ م . محمد عبد الله عنان : مصر الاسلامية وتاريخ الخطوط المصرية ، القاهرة ١٩٣١ ، ص ١٦ ، ثم مدينة القطائع التى أسسها أحمد بن طولون فى عام (٢٥٤ — ٢٧٠ هـ/٨٦٨ — ٨٨٤ م) . ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، ١٩٣٥ طبعة دار الكتب المصرية ، حـ ٣ ، ص ١ ، وقد ظلت القطائع مخصصة للامراء وحاشيتهم وخواصهم وجندهم محمود رزق محمود المجتمع المصرى فى العصر الطولونى ، رسالة دكتوراه غير منشورة جامعة عين شمس كلية الآداب ، ١٩٨٥ ، ص ٢٢٣ .

(١٠) المقدسى : أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ، بغداد ١٩٠٦ م ، ص ٢٠٠ .

(١١) المقريزى : الخطط ، جـ ٢ ، ص ١٧٥ .

(١٢) عبد الرحمن زكى : القاهرة تاريخها وآثارها ، القاهرة ١٩٦٦ ، ص ١٢ .

(١٣) شحاته عيسى : القاهرة ، بدون تاريخ ، ص ٥٤ .

(١٤) ابن سعيد المغربى : النجوم الزاهرة فى حلى حضرة القاهرة القسم الخاص بالقاهرة ، تحقيق حسين نصار ، طبعة ١٩٧٠ ، ص ٢١ ، ص ٢٢ .

(١٥) من أهم هذه المجاعات ما حدث فى عهد المستنصر الفاطمى فقد وقع فى أيامه غلاء شديد استمر سبع سنين من عام (٤٥٧ — ٤٦٤ هـ — ١٠٦٥ — ١٠٧٢م) وقد عدد المقريزى أسباب هذه الشدة منها ضعف السلطة واختلال أحوال المملكة ، واستيلاء الأمراء على الدولة ، واتصال الفتن بين العربان ، وقصور النيل وعزوف الفلاحين عن أعمال الزراعة الأمر الذى أدى الى ازدياد الغلاء وانتشار الوباء ، المقريزى ، اغاثة الأمة بكشف الغمة ، القاهرة ١٩٤٠ ، ص ٢٤ ، حتى أكلت الناس الكلاب والقطط ثم تزايد الحال حتى أكل الناس بعضهم بعضا ، المقريزى : الخطط ، طبعة لبنان ١٩٥٩ م حـ ٢ ص ١٢٦ الى ص ١٣٠ ، وكان كيس القمح يباع بحوالى ثمانين دينارا وانتشر مرض الجدرى بين الأطفال والشباب فاهلك حوالى ٣١٠٠٠ فى أقل من شهر واحد .

Abu?Saleh : the Shurches and Manasteries of Egypt and some neighbauring cauntrise, 1969, P. 232.

القلقشندى : صبح الأعشى فى صناعة الانشا ، القاهرة ١٩٣٨ م ، حـ ٣ ، ص ٤٢٧ ، ص ٤٧٤ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، حـ ٥ ، ص ١٥ ومابعدها .

(١٦) المقريزى : الخطط ، حـ ٢ ، ص ١٨٠ .

(١٧) كلمة السوق مشتقة من سوق الناس بضائعهم ، وهى تذكر وتؤنث وجمعها أسواق . ونفقت السوق تنفق انفاقا ونفوقا غلت ورغب فيها ، وكذلك السلعة وانفقتها ونفقتها ، أنفق القوم نفقت سوقهم ، أبو الحسن على بن سيده : المخصص ، القاهرة ١٣١٩ هـ ، حـ ٢ ، ص ٢٥٥ ، وفى لسان العرب السوق موضع المبايعات ابن منظور : لسان العرب بيروت ١٩٢٦ م ، حـ ٤٠ ، ص ١٦٧ .

(١٨) نقولا زيادة : الأسواق الاسلامية مجلة المقتطف ، القاهرة يونيو ١٩٤٣ م ، (م) ١٠٣ ، ص ١٣٧ .

(١٩) يعد من الأعياد الكبرى عند النصارى بمصر فى تلك الآونة ، وكان المسلمون يشاركونهم الاحتفال به ، وقد عزا المقريزى سبب الاحتفال به رواية أوردها

هى أن جبريل — عليه السلام — قد زار يوسف الصديق فى سجنه وقد خرج يوسف من السجن فى ذات اليوم . المقريزى : الخطط جـ ١ ، ص ٣٦٤ ، ص ٣٦٥ ، آدم متز : الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى ، نقله الى العربية محمد عبد الهادى أبو ريدة ، م (٢) ، بيروت ١٩٦٧ م ، ص ٢٩١ ، ص ٢٩٢ ،
Abu-Saleh b Op. Cit., P. 232.

(٢٠) محمد عوض الله : أسواق القاهرة منذ العصر الفاطمى حتى نهاية عصر المماليك ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب جامعة عين شمس ١٩٨١ م ص ٢٨٨ ، ص ٢٩٠ .

(٢١) كان الأثرياء وميسورو الحال يرسلون ما يراد طهيه الى بعض المطابخ التى تخصصت فى ذلك وعرف أهلها باسم « الشرائحية » أو « الشرائحيين » وقد كانوا يطهون الأطعمة ويرسلونها الى المنازل بواسطة بعض الصبية الذين يعاونونهم . قاسم عبده : دراسات فى تاريخ مصر الاجتماعى عصر سلاطين المماليك، القاهرة ١٩٨٣ م ، ص ١١٩ .

(٢٢) يفهم من وصف ابن الاخوة بأنهم من يقومون بشى اللحوم بأنواعها المختلفة ، وقد وضعت عدة شروط لنضج الشواء ، ووجد فى ذلك العصر طائفة تبيع الشواء على قطعة من الخشب تسمى القرم مفردها قرمة ، انظر ابن الاخوة : معالم القربة فى أحكام الحسبة ، القاهرة هيئة الكتاب ١٩٧٦ م ، ص ١٥٦ ، ص ١٥٧ .

(٢٣) يفهم مما ذكره المقريزى بشأنهم أن هذا اللفظ أطلق على الطائفة التى كانت تقوم ببيع مختلف الأطعمة المشوية والمطبوخة والجبن والألبان والخبز والفاكهة وغيرها والمتعيشون مفردها معاش وقد أطلق هذا اللفظ على البائعين فى الأسواق . المقريزى الخطط ، جـ ٣ ، ص ١٧٠ .

(٢٤) البطنيون : يتضح مما ذكره ابن الاخوة أنهم الأفراد الذين يقومون بدبغ الجلود وقد وضعت عدة شروط لهم .انظر ابن الاخوة : معالم القربة ، ص ٣٣٥ ، ابن بسام : نهاية الرتبة فى طلب الحسبة ، طبعة بغداد ، ١٩٦٨ م ، ص ٢٠٤ .

(٢٥) يفهم من المقريزى بأنهم من يقومون بعمل المناخل التى تنقى الدقيق من الشوائب العالقة به . المقريزى : الخطط ، جـ ٣ ، ص ١٦٢ ، انظر الشروط التى وضعها ابن الاخوة لهم ، معالم القربة ، ص ٣٣٤ ، ويطلق هذا اللفظ الآن على شارع المغربلين بالقاهرة . قاسم عبده : دراسات فى تاريخ مصر ، ص ٣٥ .

(٢٦) المحتسب في الاشغال . ابن بسام ، نهاية الرتبة ، ص ١٤٧ ، وقد وضع ابن الاخوة شروطا لهم . أنظر ابن الأخوة معالم القربة ، ص ٣٤٥ ، المقريزي : الخطط ، ج ٣ ، ص ١٦٢ .

(٢٧) السويقة أصغر حجما من السوق ، وقد اختصت بتلبية الحاجات اليومية لقطاع صغير في المدينة فصغر حجمها وتحددت وظيفتها فسميت « بالسويقات » نظرا لصغرها نوعا عن تلك التي تخدم المدينة كلها . محمد عبد الستار عثمان : المدينة الاسلامية ، عالم المعرفة ، العدد ١٢٨ ، الكويت ١٩٨٨ ، ص ٢٥٣ .

(٢٨) عرفت هذه السويقة في الدولة الفاطمية بسويقة الوزير نسبة الى ابن الفرج يعقوب بن كلس وزير الخليفة العزيز بالله الفاطمي الذي تنسب اليه حارة الوزيرية التي وجدت بالقرب من داره ثم تغير اسمها في عصر الدولة الأيوبية لما تولى الصاحب صفي الدين عبد الله وزارة العادل أبي بكر بن أيوب وسكن في دار الديباج وأنشأ به مدرسته والتي عرفت بالمدرسة الصاحبية ومنذ ذلك الحين اطلق على هذه السويقة سويقة الصاحب . المقريزي الخطط ، ج ٣ ، ص ١٦٩ .

والصاحب لقب من ألقاب الوزراء .

(٢٩) البندقانيون هم صانعو البندق ، والبندق كرات تصنع من الطين أو الحجارة أو الرصاص يستخدمها الرماة في تطيير الحمام . وكان البندق يرمى بالاقواس ثم صار يرمى بالمزاريق والانابيب عن طريق ضغط الهواء من مؤخر الانبوب سعيد عاشور : العصر المماليكي في مصر والشام ، ط (١) ١٩٦٥ م دار النهضة ، ص ٣٩٨ ، جورجي زيدان : تاريخ التمدن الاسلامي ، طبعة دار الهلال ، ١٩٣١ م ، ص ١٥٨ .

(٣٠) اعتبر المقريزي الديباج والطراز شيئا واحدا وهذا ليس صحيحا ، فهناك فارق كبير بين كلمتي ديباج وطراز فكلمة الديباج تعني نسيج حريري جيد ، أما الطراز يعتبر الشارة الثالثة من شارات الخلافة ، وكان لفظ الطراز يطلق في أول الأمر على الكتابة الزخرفية التي وجدت على الأقمشة ، وهو لفظ فارسي من كلمة «طرازيدن» يعني التطريز ، ثم اتسع مدلول الكلمة فأصبحت تستعمل للكتابة على الورق والنسيج ، وقد ذكر القلقشندي الطراز بأنه نقش اسم الخليفة على ما ينسج من الكسوة والطراز من الحرير والذهب وظل نظام الطراز حتى العصر الفاطمي ، أما في العصر الأيوبي فلم يوجد لها أثر ، ووجد في الدولة الإسلامية نوعان من

دور الطراز ، طراز الخاصة وطراز العامة ، وكان شريط الطراز يتكون من البسملة ، ثم الدعاء للخليفة ، ثم يأتى اسم الخليفة والمشرف على مصانع الطراز ، ومكان الصناعة وتاريخها وكان الطراز شريطا من الكتابة العربية التى لا يمكن قراءتها الا اذا كانت فى وضع مستعرض . أحمد رمضان احمد : الخلافة فى الحضارة الاسلامية القاهرة بدون تاريخ ، ص ٢٦٣ الى ص ٢٦٦ ، وقد ذكر ابن مماتى الطراز بقوله : « هذه المعاملة لها ناظر ومشارف وعامل وشاهد » . ابن مماتى : كتاب قوانين الدواوين ، طبعة ١٩٤٣ ، ص ٣٣٠ .

(٣١) المقريزى : الخطط ، حـ ٣ ، ص ١٦٩ ، وقد فرق الدكتور زكى محمد حسن فى كتابه كنوز الفاطميين بين طراز الخاصة والعامة بقوله : « طراز الخاصة حيث كانت تصنع المنسوجات للخليفة والأقمشة التى كان يخلعها على كبار رجال الدولة وأفراد حاشيته ، وطراز العامة الذى كان يشتغل فضلا عن هذا بانتاج المنسوجات اللازمة للشعب . زكى محمد حسن : كنوز الفاطميين ، القاهرة ١٩٣٧ م، ص ١١٠ ، اما ابن سيدة فذكر أن الديباج من الدبج وهو النقش والتزيين ، والثوب من الديباج وغيره اذا كان رقيقا حسن الصناعة . ابن سيده : المخصص ، حـ ٤ ، ص ٧٦ .

(٣٢) عرف بهذا الاسم (أى باب الزفر) لانه لا يدخل اللحم وغيره الا منه لاختصر بذلك ، وحل مكان باب الزهومة المدرسة الصالحية أى مدرسة السلطان الصالح نجم الدين أيوب آخر سلاطين الدولة الأيوبية — المقريزى : الخطط ، حـ ٣ ، ص ١٦٥ ، حـ ٤ ، ص ٢٠٩ .

(٣٣) انظر الفصل الأول ص ٤١ .

(٣٤) المقريزى : الخطط ، حـ ٣ ، ص ١٥٨

(٣٥) المحاير : جمع محارة وهى حسبما ورد فى القاموس المحيط شبه الهودج وفى لغة الطبقات الشعبية صندوقان يشدان الى جانبى الرحل . الفيروز ابادى : القاموس المحيط ، طبعة ١٩١١ م ، حـ ٢ ، ص ١٣١ ، المقريزى : السلوك لمعرفة دول الملوك ، القاهرة طبعة ١٩٤١ م ، حـ ٢ ق (١) ، ص ٢٣٣ .

(٣٦) انظر الفصل الأول (ص ٣٢) هامش (٥) .

(٣٧) هو الأمير جمال الدين سويح بن صيرم أحد أمراء الملك الكامل ، وقد وجدت فى الدولة الفاطمية قطعة أرض تقع خارج باب الفتوح فأنشأ بها مختار الصقلى بستانا وبنى فيها عدة مناظر ، ولما زالت دولة الفواطم استولى على هذه

الارض الامير جمال بن صيرم ولهذا عرفت به وصارت من أجل الأحياء وسكنها الأمراء والأعيان ، وأطلق عليها حي بستان بن صيرم . المقريزي : الخطط ، ج ٣ ، ص ٣٦ .

(٣٨) الرحبة المكان الواسع وجمعها رحاب . وهذه الرحبة كان أولها من باب الريح أحد أبواب القصر الفاطمي ، وكانت عظيمة في الطول والعرض يقف فيها العساكر والفرسان في أيام الاعياد والمواكب ، ينتظرون الخليفة وخروجه من باب العيد ويذهبون في خدمته لصلاة العيد ولم تزل هذه الرحبة خالية من البناء الى ما بعد عام ٦٠٠ هـ/١٢٠٣ م ، فاختط فيها الناس وعمروا الدور والمساجد وغيرها ، فصارت حيا كبيرا من أجل الأحياء في القاهرة وبقي اسم رحبة باب العيد باقيا عليها . المقريزي : الخطط ، ج ٣ ، ص ٧٥ .

(٣٩) المصدر نفسه السابق والجزء ، ص ١٦٥ .

(٤٠) محمد بن أبي السرور زين العابدين : قطف الازهار من الخطط والآثار ، مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٤٥٧ جغرافيا ورقة ١١٩ .

(٤١) ناصر خسرو : سفرنامة ، نقله الى العربية يحيى الخشاب ، القاهرة الطبعة الأولى ١٩٤٥ م ص٦١ ، ص ٦٤ .

(٤٢) هو ناصر خسرو الحكيم أبو معين ناصر بن الحارث القياديانى البلخى ولد في قياديات ببلخ في عام ٣٩٤ هـ/١٠٠٣ م ، وقد طاف في مختلف مراحل حياته بمعظم أرجاء العالم الاسلامي واستفاد من معظمها في تكوين حصيلته العلمية والفقهية ومن هذه الأماكن التي زارها القاهرة والتي قضى فيها ثلاث سنوات التحق خلالها بالبلاط الفاطمي واعتنق المذهب الشيعي الاسماعيلي ، وقد حاول العودة الى مسقط رأسه لكنه قوبل بالفتور فاضطر الى التوجه الى يمجان التي قضى فيها بقية عمره الى أن وافته المنية في عام ٤٨١ هـ/ ١٠٨٨ م ومن أهم مؤلفاته سفرنامة الى جانب ديوان شعري ضخم وكتاب آخر باسم زاد المسافرين ، بديع محمد جمعه من روائع الأدب الفارسي ، الطبعة الأولى ١٩٧٨ القاهرة ، ص ٢٧ وما بعدها ، انظر احمد رمضان : الرحلة والرحالة المسلمون ، من ص ٢٣٩ الى ص ٢٤٩ .

(٤٣) انظر ص ٢٠ من هذا المدخل .

(٤٤) اما تجار الجواهر والصيارفة فهم يهود تمر بين أيديهم ثروات كبرى . ليو الافريقي : وصف افريقيا ؛ ترجمة عبد الرحمن حميدة ، السعودية ، ص ٥٨١ .

(٤٥) ناصر خسرو : سفر نامة ، ص ٦٤ .

(٤٦) الرباع جمع ربع وهو مجموعة من المساكن المؤجرة للغير تجمع حول صحن ، ويكون له فى الغالب مدخل واحد وسلم واحد ، ويصل ارتفاع الربع الى اربعة او خمسة طوابق ، ويتم الوصول الى المساكن عن طريق طرقه تدور حول الصحن ، وتوجد مجموعة من الحوانيت بالجهة المطلة على الشارع من الطابق الأرضى ، والربع مخصص لسكنى الطبقات الشعبية بأجور شهرية زهيدة . انظر ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، جـ ١٠ ، ص ٣٠٣ ، هامش (٣) ، المقريزى : الخطط ، جـ ٣ ، ص ٢٨٣ ، حسين مصطفى رمضان ، طوائف الحرفيين ودورهم الاقتصادى والاجتماعى ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، ١٩٨٧ ، جامعة القاهرة كلية الآثار ، ص ٢٠٣ ، سعيد عاشور : العصر المماليكى ، ص ٤١٨ .

(٤٧) بناه جوهر واعده لاستقبال الخليفة المعز لدين الله ، الذى اتخذ حول القصر دور الجند والموظفين والأتباع . وموضع هذا القصر المكان الذى يقع فيه مسجد الحسين وخان الخليلى بالنسبة للقاهرة الحالية . حسن ابراهيم وآخرون ، الأزهر تاريخه وتطوره ، ص ٤٢ .

(٤٨) يقع تجاه القصر الشرقى ومكانه بالنسبة للقاهرة الحالية المارستان المنصورى وبعض المدارس وحى الخرنفش . المقريزى : الخطط ، جـ ٢ ، ص ٣٣٤ ، ص ٣٣٥ ، وقد انشأه العزيز بالله غربى قصر أبيه لذلك أطلق عليه القصر الغربى الصغير تمييزا له عن القصر الشرقى الكبير ، وقد تلاشى أمر هذا القصر وحل محله منشآت المنصور قلاوون وابنه الناصر محمد والظاهر برقوق والمدرسة الكاملية حى الخرنفش ، وهذان القصران كانا يجمعان عدة قصور يجمعها سور واحد ، عرفت بالقصور الزاهرة ، منها قصر الاقبال ، والزمرد ، والنسيم : انظر القزوينى : آثار البلاد وأخبار العباد طبعة بيروت بدون تاريخ ، ص ٢٤٠ ، حسن عبد الوهاب ، الأزهر ، ص ٩٥ .

(٤٩) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، جـ ٤ ، ص ١٨١ ، ص ١٨٢ .

(٥٠) زكى محمد حسن : فنون الاسلام ، القاهرة ١٩٤٨ م ، ص ٣١٠ .

(٥١) راشد البراوى : حالة مصر الاقتصادية فى عهد الفاطميين ، الطبعة الأولى مكتبة النهضة المصرية ١٩٤٨ م ، ص ٣٨٠ .

(٥٢) المغاربة وهم من البربر سموا باسم اقليمهم الذين أتوا منه وهو المغرب لتميزهم عن العنصر المشرقى (التركى والديلمى) الذى أطلق عليه اسم المشارقة وهم العنصر الذى قامت على أكتافه دولة الفاطميين فى بلاد المغرب (أفريقية)

ثم فى مصر ، واعتمد الفاطميون الأوائل عليهم فى جيوشهم وخاصة الكتامين الذين كانوا عصب الدولة وقوتها فى مصر فى أول عهدها ، حسن يوسف دويدار : الحياة الاجتماعية فى مصر فى العصر الفاطمى ، رسالة دكتوراه غير منشورة ١٩٨٢ م ، جامعة الأزهر ، كلية اللغة العربية ، ص ١١٤ ، ص ١٩٢ .

(٥٣) يقصد بمصر الفسطاط ، قيل لمصر فسطاط والفسطاط اسم لمصر . المقريزى: الخطط ، جـ ٢ ، ص ٦٠ ، انظر عبد الله عنان ، مصر الاسلامية ، ص ١٥ ، ص ١٦ .

(٥٤) حسن دويدار : الحياة الاجتماعية ، رسالة دكتوراه ، ص ١٩٢ .

(٥٥) هو أبو الحسن بن سعيد على بن موسى عبد الملك بن سعيد الغرناطى الأديب الاخبارى الشهير صاحب التصانيف الأدبية ، ولد بغرناطة فى عام ٦١١ هـ/ ١٢١٤ م ا وطاف فى البلاد الاسلامية ، ودخل مصر والشام وبغداد ، من مؤلفاته « المغرب فى حلى المغرب » « والمشرق فى حلى المشرق » ، والطالع السعيد فى تاريخ بلاده ، أما عن تاريخ وفاته فقد اختلف فيه السيوطى وابن شاكر الكتبى ، فيذكر السيوطى أن ابن سعيد توفى فى تونس عام ٦٨٥ هـ/١٢٨٦ م ، فى حين يذكر ابن شاكر تاريخ الوفاة فى دمشق فى عام ٦٧٣ هـ/١٢٧٤ م ، السيوطى : حسن المحاضرة فى اخبار مصر والقاهرة ، طبعة ١٢٩٩ هـ ، ص ٣٢٠ ، ابن شاكر الكتبى فوات الوفيات ، طبعة ١٩٥١ م ، جـ ٢ ، ص ١٧٨ ، أحمد رمضان أحمد : الرحلة والرحالة المسلمون ، من ص ١٨٩ ، الى ص ١٩٥ .

(٥٦) المقريزى : الخطط ، جـ ٢ ، ص ١٣٧ ، ص ١٣٨ .

(٥٧) ناصر خسرو : سفر نامة ، ص ٥٩ ، ص ٦٠

(٥٨) زكى حسن : فنون الاسلام ، ص ٣١٠ ، ناصر خسرو ، سفرنامة ، ص ٦٠ .

(٦٠) زكى حسن : فنون الاسلام ، ص ٣٥٠ ، ص ٣٥١ .

(٦١) المقريزى : الخطط ، جـ ٢ ، ص ١٣٣ ، ص ١٣٥ ، عاصم محمد رزق عبد الرحمن : مراكز الصناعة فى مصر الاسلامية من الفتح العربى حتى مجىء الحملة الفرنسية ، القاهرة ١٩٨٩ ، ص ٣٧ ، زكى حسن : كنوز الفاطميين ، ص ١٩٧ .

(٦٢) عاصم رزق : مراكز الصناعة فى مصر الاسلامية ، ص ٣٧ .

(٦٣) من المراكز الصناعية الأخرى مدينة الفيوم والأشمونيين والشيخ عبادة والاسكندرية . زكى حسن : كنوز الفاطميين ، ص ٥٨٦ .

(٦٤) المقريزى : اغاثة الأمة ، ص ١٨ ، حسن يوسف : الحياة الاجتماعية ، رسالة دكتوراه ، ص ١٨٤ ، راشد البراوى : حالة مصر الاقتصادية ، ص ١٨٧ .

(٦٥) حسن يوسف : الحياة الاجتماعية ، ص ١٨٦ ، يبين ذلك اهتمام الخلفاء الفاطميين بنظام الحسبة وحرصهم على تعيين عرفاء فى الأسواق لمراقبة الباعة ففى خطاب من سليمان بن يهوذا الى افراهام بن شماريا بالفسطاط يتحدث عن حلفون بن حلفى بصفته المشرف على التجار .

Mann (J) : Jews in Egypt and Palestine under the Fatimid caliphs. volume (1) Oxford 1920, P 81.

(٦٦) حسن يوسف : الحياة الاجتماعية ، رسالة دكتوراه ، ص ١٨٦ .

(٦٧) Muir-Sir william : The caliphate, tis rise , decline and foll Edinburhg, 1891, P. 559.

(٦٨) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية ، القاهرة ١٩٦٤ م ، ص ٢٠١ .

(٦٩) أحمد فؤاد سيد : نظم الحكم والادارة فى العصر الأيوبى بمصر ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب جامعة عين شمس ١٩٨٢ ، ص ٢٦٠ .

(٧٠) المرجع السابق نفسه ، ص ٢٥٦ .

(٧١) القلقشندى : صبح الأعشى ، حـ ٣ ، ص ٣٤٢ ، ركن الدين محمد بن محمد الوهرانى : منامات الوهرانى ومقاماته ورسائله ، القاهرة ١٩٦٨ م ، تحقيق ابراهيم شعلان ، ص ١٣ ، ص ١٤ ، سعاد ماهر : مساجد مصر ، وأولياؤها الصالحون ، ط ١٩٧٦ م ، حـ ٢ ، ص ١٢ .

(٧٢) محمد حسن محمد : الأسرة المصرية فى عصر سلاطين المماليك ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة الزقازيق ، كلية الآداب ، ١٩٨١ م ، ص ٧٩ ، ص ٨٠ .

(٧٣) جمال الدين الشيال : تاريخ مصر الاسلامية من الفتح العربى الى نهاية العصر الفاطمى ، دار المعارف ١٩٦٧ ، حـ ١ ، ص ٢٦٥ .

(٧٤) انظر الفصل الثالث ، ص ١٦٦ .

(٧٥) السيد الباز العرينى : مصر فى عصر الأيوبيين ، القاهرة ١٩٦٠ ، ص ٢٢١ ، ص ٢٢٢ .

(٧٦) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، حـ ٦ ، ص ٥٥ .

(٧٧) الخوانك جمع خانكاه وهى كلمة فارسية معناها بيت ، وقيل أصلها خونقاه أى الموضع الذى يأكل فيه الملك ، والخانقاه مكونة من مقطعين خان وجاه بمعنى مكان الأكل . أما معناها المعمارى فهى المكان المخصص لإيواء المتصوفين المنقطعين للعبادة ، وقد ظهرت الخانقاه منذ القرن الرابع الهجرى فى ايران ، ثم انتشرت بعد ذلك فى جميع أنحاء العالم الاسلامى . المقريزى : الخطط : حـ ٤ ، ص ٢٧١ .

على مبارك : الخطط التوفيقية الجديدة لمصر والقاهرة ، طبعة ١٣٠٦ هـ ، حـ ٦ ، ص ٤٨ ، سعاد ماهر : مشهد الامام على فى النجف وما به من الهدايا والتحف ، طبعة دار المعارف ١٩٦٨ ، ٣٨١ .

(٧٨) محمد كامل حسين : بين التشيع وأدب الصوفية بمصر فى عصـــــر الأيوبيين والمماليك ، مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة ، م (١٦) حـ ٢ : ديسمبر ١٩٥٤ ، ص ٥٨ .

(٧٩) كامل حسين : بين التشيع وأدب الصوفية ، ص-٥٨ ، ص ٥٦ .

(٨٠) احمد رمضان أحمد : المجتمع الاسلامى فى بلاد الشام ، القاهرة ، ١٩٧٧ ، ص ١٥٥ .

(٨١) ابن بطوطة : تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، طبعة بيروت ١٩٦٠ ، ص ٣٧ .

(٨٢) هناك خلاف قائم بين بعض الباحثين حول البدايات الأولى لنشأة الخانقاه فى القاهرة فيذهب الدكتور محمد كامل حسين الى أن الخانقاه وجدت فى القاهرة فى عصر الفاطميين وليست فى عصر الأيوبيين ، ويبدو انه كان يخلط بين الخانقاه ومصاطب الصوفية التى وجدت فى عصر الدولة الفاطمية . كامل حسين ، التشيع وأدب الصوفية ، ص ٥١ ، وهناك بعض الباحثين يرون أن البدايات الأولى للخانقاه كانت فى العصر الايوبى على اعتبار أنها من المنشآت ذات الطابع الدينى يخدم تثبيت المذهب السنى بدلا من المذهب الشيعى سعاد ماهر ، مساجد مصر حـ ٣ ، ص ١٢ وللمؤلفة نفسها مشهد الامام على فى النجف ، ص ٣٨١ .

(٨٣) هذه الخانقاه بخط رحبة باب العيد من القاهرة (بالقرب من خانقاه بيبرس الجاشنكير بدرب الأصفر بالجمالية) كانت أولا دارا تعرف فى الدولة الفاطمية بدار سعيد السعداء وهو الأستاذ قنبر أو عنبر أحد الأستاذين المحنكين خدام القصر العتيق فى عهد الخليفة المستنصر . قتل فى شعبان عام ٥٤٤ هـ/١١٥٩ م ورمى برأسه ، والقصر ثم صلبت جثته بباب زويلة من ناحية باب الخلق . وكانت هذه الدار مقابل دار الوزارة ، فلما سكنها الصالح طلائع بن زريك فتح من دار الوزارة اليها سردابا تحت الأرض ليمر فيها ثم سكنها الوزير شاور ثم ابنه الكامل فلما استولى صلاح الدين على مصر عمل دار سعيد السعداء برسم الفقراء الصوفية ووقفها عليهم عام ٥٦٩ هـ/١١٧٣ م المقريزى : الخطط ، جـ ٤ ، ص ٢٧٣ ، سعاد ماهر : مساجد مصر ، جـ ٣ ، ص ١٢ هامش (٤) .

(٨٤) سعاد ماهر : مساجد مصر ، جـ ٣ ، ص ١٢ .

(٨٥) انظر ص ٦ من هذا المدخل .

(٨٦) المقريزى : الخطط ، جـ ٣ ، ص ٢٧٣ .

(٨٧) السبكى : معيد النعم ومبيد النقم ، تحقيق محمد على النجار ، أبو زيد شلبى ط (١) ، القاهرة ١٩٤٨ م ، ص ١٢٦ .

(٨٨) عبد اللطيف البغدادى (٥٥٧هـ / ١١٦٢ م) : الافادة والاعتبار فى الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر ، طبعة القاهرة ، بدون تاريخ ، ص ٧٤ .

(٨٩) اللحاميون : هذا اللفظ أطلق على بائعى اللحوم بأنواعها المختلفة . المقريزى : الخطط ، جـ ٣ ، ص ١٥٤ .

(٩٠) الخضريون : يفهم مما ذكره المقريزى بن يقومون ببيع الخضروات . المصدر نفسه والجزء والصفحة .

(٩١) الفوم الزرع أو الحنطة ، والفوم الحمص ، والفوم الخبز أيضا ويقصد بالفوم هنا الثوم وبائعه فامى . ابن منظور : لسان العرب ، القاهرة ، طبعة ١٣٠٣ هـ ١٨٨٥ م ، جـ ٥ ، ص ٣٥٨ .

(٩٢) انظر ص ٦ من هذا المدخل .

(٩٣) المقريزى : الخطط جـ ٣ ، ص ١٥٤ .

(٩٤) Moberg (A) : Zwei Agyptische Waqf-urkunden aus dem Jahr 691/1292. nebst bemerkungen zur mittelal terlichen. topographie Kaitos Mo 12 (1918). P. 24.

(٩٥) الخرق الشق فى الحائط والثوب ، وخرقت الثوب اذا شققته ، ويقال للرجل المتمزق الثياب منخرق السربال . ابن منظور : لسان العرب ، حـ ١١ ، ص ٣٥٩ ، وخرق الثوب شقه . الفيروز ابادى ، القاموس المحيط ط ١٣٤٤ هـ ، حـ ٣ ، ص ٢٢٥ ، ويبدو أن هذه الطائفة كانت تعمل فى بيع الملابس المستعملة أو ما يطلق عليه الخرق البالية .

(٩٦) الرفاءون من يقومون برفى الملابس ، وقد اشترط عليهم ابن الاخوة عدم خلط الملابس بعضها ببعض . ابن الاخوة : معالم القربة ، ص ٢٢١ .

(٩٧) الحياكون : الحائك والنساج هم الحاكة والحوكة وقد حاك الثوب يحوكه وحياكة ونسج الحائك الثوب ينسجه نسجا وهو النساج وحرفته النساجة ، وأصل النسج ضم الشيء بعضه الى بعض . ابن سيدة : المخصص ، حـ ١٢ ، ص ٢٥٩ ، ص ٢٦٠ .

(٩٨) من يبيعون الفراء وقد وضع ابن الاخوة عدة شروط لهم منها عدم خلط الفراء القديم بالجديد . ابن الاخوة : معالم القربة ، ص ٢٣٨ .

(٩٩) البزازون : مفردها بز والبز الثياب أو متاع البيت من الثياب ونحوها وبائعه البزاز وحرفته البزازة . الفيروز ابادى : المحيط ، حـ ٢ ، ص ٢٦٦ وكان أبو بكر الصديق بزازا . حسن الباشا : الفنون الاسلامية والوظائف على الآثار العربية ، القاهرة ١٩٦٥ ، حـ ١ ، ص ٣٠١ .

(١٠٠) مفرد خلعى ، والخلع هى التى ينعم بها السلطان على الأمراء والوزراء وكبار رجال الدولة فى المواسم والأعياد . سعاد ماهر : مساجد مصر ، حـ ٥ طبعة ١٩٧٣ ، ص ٢٧ .

(١٠١) الاتباع مفردها تبعة وتطلق على من يبيعون الطواقى فى الاسواق ، المقريزى : الخطط ، حـ ٣ ، ص ١٦٤ .

(١٠٢) المصدر نفسه والجزء ، ص ١٧٢ .

(١٠٣) المقريزى : الخطط ، حـ ٣ ، ص ١٧٢ .

(١٠٤) مدرسة الظاهر بيبرس هى من جملة حى بين القصرين كان موضعها من القصر الشرقى الكبير يعرف بقاعة الخيم كما يدخل فى هذه المدرسة باب الذهب أحد أبواب القصر المهمة المقريزى : الخطط ، حـ ٢ ، ص ٢٧٨ ، سعاد ماهر : مساجد مصر ، حـ ٣ ، ص ٢٧ .

(١٠٥) هذا القصر هو الآن تجاه الدار البيسرية وهو من جملة القصر الشرقى الكبير ويسلك اليه من الباب الذى كان يعرف فى أيام عمارة القصر الكبير فى زمن الخلفاء الفاطميين بباب البحر ويعرف اليوم باب قصر بشتاك تجاه المدرسة الكاملية . المقريزى : الخطط ، حـ ٢ ، ص ٧٠ ، سعاد ماهر : مساجد مصر ، حـ ٣ ، ص ٢٥٧ .

(١٠٦) المقريزى ، الخطط ، حـ ٣ ، ص ١٥٧ .

(١٠٧) انظر ص ٨ من هذا المدخل هامش (٦) .

(١٠٨) انظر الفصل الأول ص ٥٣ هامش (٣) .

(١٠٩) البابية مفردها بابا وهو لقب لمن يتعاطى غسل الثياب وكيها وغير ذلك ، وهو لفظ رومى ، ومعناه أبو الآباء وكأنه لقب بذلك لأنه لما تعاطى ما فيه ترفيه مخدومه من تنظيف قماشه وتحسين هيئة أشبه بالأب الشفيق فلقب بذلك ، القلقشندى : صبح الأعشى ،طبعة ١٩١٣ ، حـ ٥ ص ٤٧٠ .

(١١٠) انظر ص ٧ (المدخل) هامش (٢) .

(١١١) المقريزى : الخطط ، حـ ٤ ، ص ١٦٤ .

(١١٢) ابن أبى السرور : قطف الأزهار ، ورقة ١١١ .

(١١٣) ليو الافريقى : وصف افريقيا ، ص ٥٨٠ .

(١١٤) هو الفراولة وهو شجر معروف ينبت بالشام وبلاد الروم وهو قدر شجر التفاح ، ويفيد بالنسبة لمرض السكر وحرقة البول ويبدو أن هذه الفاكهة كانت لا تزرع فى القاهرة فى تلك الفترة . ابن الاخوة : معالم القربة ، ص ١٨٧ .

(١١٥) ليو الافريقى : وصف افريقيا ، ص ٥٨٠ .

(١١٦) ابن أبى السرور : قطف الازهار ، ورقة ١١١ ، ١١٢ .

(١١٧) أبو حامد المقدسى : الفوائد النفيسة الباهرة فى بيان حكم شوارع القاهرة فى مذاهب الأئمة الأربعة الزاهرة ، تحقيق آمال العمرى القاهرة ١٩٨٨ ، ص ١٣ ، ابن أبى السرور : قطف الازهار ، ورقة ١١٢ .

(١١٨) زكى حسن : فنون الاسلام ، ص ٢٢٠ .

(١١٩) م . س ديماند : الفنون الاسلامية : ترجمة أحمد عيسى تقديم ومراجعة أحمد فكرى ، طبعة دار المعارف ١٩٨٢ ، زكى حسن : فنون الاسلام ، ص ٣٦٥ .

(١٢٠) زكى حسن : فنون الاسلام ، ص ٤٦٢ .

(١٢١) زكى حسن : فنون الاسلام ، ص ٥٩٩ .

(١٢٢) المقريزى : الخطط ، جـ ٣ ، ص ٢٢٠ ، عاصم رزق : مراكز الصناعة فى مصر الاسلامية ، ص ٣٩ .

(١٢٣) انظر ص ١٤ ، ص ١٥ من هذا المدخل .

(١٢٤) المقريزى : الخطط ، جـ ٢ ، ص ١٨٠ .

الفصل الأول

تجمعات الطبقات الشعبية بالقاهرة في العصر المملوكي

- ملامح من الحياة الاجتماعية والاقتصادية في القاهرة المملوكية
- الأسواق والوكالات في القاهرة في العصر المملوكي
- المساجد والخانقاوات ومجالس الذكر وعلاقتها بالطبقات الشعبية
- احياء الطبقات الشعبية

فاقت القاهرة فى عصر سلاطين المماليك مدن أوربا والعالم الاسلامى من حيث السعة وكثرة السكان(١) ، ورغم اتساع مساحة القاهرة فى بداية عصر دولة المماليك فقد تقلصت هذه المساحة فى عصر دولة المماليك الثانية وقد ذكر آشتور Ashtor أن مساحتها قد تقلصت(٢) عما كانت عليه فى أوائل عصر المماليك(٣) ، ولاشك أن ذلك يرجع الى ما اصـــــاب دولة المماليك البرجية من تدهور لأحوالها الاقتصادية .

وقدر احد المؤرخين عدد سكان القاهرة فى منتصف القرن الثامن الهجرى الرابع عشر الميلادى بحوالى ثلاثة ملايين نسمة ، والبعض الآخر تحدث عن تطور سكان القاهرة فى أيام السلطان بيبرس وقدر عدد سكانها فى الفترة نفسها بحوالى ستمائة ألف نسمة(٤) . وأدت كثرة عدد السكان وازدحام الشوارع الى أن أمر المحتسب أصحاب الدواب بأن يضـــــعوا فى أعناق دوابهم الأجراس وصفاقات الحديد والنحاس لاحداث جلبة فى أثناء السير لتنبيه المارة ، وكان المكارية وحمالو الحطب من الطبقات الشعبية يفعلون ذلك أيضا(٥) .

وقد ذكر بتلوتى الكريتى أن القاهرة فى العصر المملوكى تعد من اكبر مدن العالم(٦) ، كما وصفها ابن بطوطة(٧) بقوله «هى أم البلاد المتناهية فى كثرة العمارة ، المتباهية بالحسن والنضارة ، مجمع الوارد والصادر ، وبها ما شئت من عالم وجاهل وجاد وهازل

وحليم وسفيه ووضيـــع ونبيه ومنكر ومعروف تموج موج البحر بسكانها ، وتكاد تضيق بهم على سعة مكانها »(٨) . والقاهرة تشبه روما بالنســـبه للعالم الغربى ففيها يقيم الخليفة والوزراء والحاشية وطبقة المماليك والسكان(٩) . وقد وصفها احد الرحالة بأنها ثلاثة امثال باريس(١٠) . وجاء الى القاهرة فى عام ٨٧٠ هـ/ ١٤٦٥ م التاجر الروسى باسيـــيل فذكر ان القاهرة مدينة كبيرة تحتوى على أربعة عشر شارعا لكل شارع بوابتان من جهتين ، وحارسان لاشعال القناديل بالزيت ، وسوق كبير لبيع احتياجات الناس(١١) .

وقد امتازت القاهرة فى ذلك العصـــر بكثرة منازلها وضيق دروبها وطرقاتها ، وعدم استقامتها واكتظاظها بالطبقات الشعبية ، وقد لحظ بعض الرحالة الأجانب الذين زاروا مصر فى عصر سلاطين المماليك ان بالقاهرة عددا كبيرا من الطبقات الشعبية بلا مأوى فى النهار والليل سوى الطرقات ، يهيمون فيها وأجسادهم شبـــــه عارية ، وتفاوتوا فى تقدير ذلك العدد بين خمســـين ألف ومائة ألف(١٢) . هذا بالاضافة الى انتشار الباعة الجائلين فى كل مكان واصحاب الطبليات والدكك المستديمة وجلوس بعضهم بالطبليات على ابواب الجوامع مما يضـــيق الطريق على الناس (١٥) ، وقد كان لكل سلعة تجارها فى الشــوارع ، وكان الطباخون يغدون جيئة وذهابا حاملين المواقد والنيران وأطباق الطعام المعدة للبيع فى حين يحمل سواهم صحاف الفاكهة المعدة للبيع(١٦) .

وتكون شوارع القاهرة فى عصر دولة المماليك شبكة شديدة التعقيد وقد غطيت سقوف طرقها بألواح خشبية أو بحصـــر أو سقائف من قش لحماية المارة من حرارة الشمس(١٧) ، ولذلك كان مناخ تلك الطرق رطبا فى الصيف ، وشغلت المصاطب الموجودة أمام الحوانيت جزءا من الشوارع والطرقات(١٨) .

وكان بالقاهرة آنذاك ما يقرب من مائتى الف جمل لحمل المياه التى يأتى بها السقاءون من النيل ويطوفون بها فى الأسواق والمنازل لامدادها بما تحتاج اليه من المياه(١٩) . وقدر ابن بطوطة عدد الذين يمتهنون السقاية على الجمال بأثنى عشر الف سقاء(٢٠)، أما البعض الآخر فقد قدرهم بحوالى خمسة آلاف سقاء(٢١) .

وعن وسيلة التنقل فى القاهرة فى عصر سلاطين المماليك فكانت الحمير التى وصفها الرحالة طافور بأنها أكثر المطايا لطفا وأحسنها منظرا وأسرعها فى المشىء(٢٢) . وقد شهدت شوارع القاهرة أنواعا أخرى من الدواب كالخيول التى ارتبطت بطبقة المماليك ولم يكن ينل منها الطبقات الشعبية سوى السقوط تحت حوافرها فى أثناء ركض المماليك بها وسط دروب القاهرة وأسواقها المزدحمة(٢٣) .

وذكر طافور أن أحسن وأبهى وأروع شىء يراه الانسان فى القاهرة هو سوقها التى تعرض فيها كميات ضخمة من مختلف البضائع(٢٤) ، وانتشر الشحاذون فى القاهرة فى ذلك العصر ، فكانوا يجلسون على أبواب المساجد ومنهم من يكشف عورته ويمشى عاريا ، ومنهم من يقسم على الناس فى سؤاله بما تقشعر الجلود عند ذكره الى غير ذلك من حيلهم ومكرهم(٢٥) .

وعن علاقة الدولة بالأسواق والشوارع والحوانيت فى ذلك الوقت فكانت تفرض على أصحاب الحوانيت أن يقوموا عند كل حانوت من حوانيت الطبقات الشعبية بتعليق قنديل يضىء طوال الليل الى الصباح(٢٦) . وقد كلف الباعة فى ذلك العصر بكنس الشوارع ورشها يوميا ، وجعلت الدولة عددا من الخفراء طوال الليل يطوفون لحراسة الحوانيت(٢٧) . وفى حالة وقوع مشاجرات

أو خصومات أو القبض على بعض اللصوص أو السكارى ، كان والى الطواف يقوم بالفصل فى مثل هذه الأمور وذلك بعد صلاة العشـــاء فى سوق الجملون(٢٨) التى تقع وســـط ســـوق الشرابشيين(٢٩) وأمامه مشعل يوقد بالنار طوال الليل(٣٠) . ومن اختصـــاصاته أيضا مراقبة أبواب القاهرة والطواف بأحياء التجارة والمال ، ونظرا لأهمية دوره كان لا يمكنه النوم خـــارج القاهرة الا بمرسوم خوفا من وقوع حريق أو حدوث سرقات أو مظاهر أخرى من مظاهر الاخلال بالأمن(٣١) . وكان يطلق عليه أحيانا « صاحب العسس »(٣٢) أو والى الطواف وهو الاسـم الذى عرف به عند الطبقات الشعبية(٣٣) . وكان عليه تقـديم تقرير يومى للسلطان يطلعه فيه على مجريات الأمور اليومية من قتل أو حرائق أو سرقة(٣٤) . ونظرا لتعدد اختصاصات والى الطواف فقد عاونه بعض الأعوان من الســـقائيين ، والنجارين والهدادين فى دوريات محددة خوفا من حدوث حرائق فيقومون باطفائها(٣٥) .

وللمحافظة على نظافة القاهرة أمر بعض الحكام بالتخلص من الكلاب لكثرتها فى الأزقة والشـــوارع(٣٦) ، فتتبع الناس الكلاب ، وجمعوا نحو ثلاثين ألف كلب ، فقتل منهم جانبا ، ونقل جانبا الى الجيزة(٣٧) ، وكان الكلب يباع بدرهم(٣٨) . كذلك أمر بعض السلاطين باخراج المصابين بالبرص والجذام من القاهرة ، وأنذر من يظل منهم داخل أسوارها بالقتل(٣٩) ، ويبدو ان القطط تمتعت فى ذلك العصر بقسط من الرعاية والعطف يعادل ما عانته الكلاب من كره واضطهاد ، فقد حكى بعض الرحالة أنه سمع من أهل القاهرة أن السلطان الظاهر بيبرس أنشأ بجوار مسـجده حديقة أطلق عليها « غيطة القطة » لاطعام القطط الشاردة ، ولما اندثرت معالم هذه الحديقة ، أصبح القاضى زمن الرحالة ــ أى

أوائل القرن التاسع عشر الميلادى ـ هو الذى يقوم باطعام القطط كل يوم امام دار القضاء بالقاهرة(٤٠) .

ومما سبق بعض ملامح الحياة الاجتماعية والاقتصادية فى القاهرة ابان عصر دولة سلاطين المماليك .

ازدهرت الأسواق فى القاهرة وتعددت فى عصر المماليك ، وقد اختص بعضها بتسويق المواد الغذائية والبعض الآخر بالملابس أو غيرها من البضائع الأخرى . ومن هذه الأســواق ســوق المرحــلين(٤١) التى تقع عند بداية حارة بهاء الدين(٤٢) الى المدرسة الصيرمية(٤٣) وهى معمورة بحوانيت لبيع أدوات تجهيز الجمال التى كانت من وسائل المواصلات فى هذه الفترة وتزدهر هذه السوق فى موسم الحج ، وتعد من الاسواق الكبيرة اذ كان من الممكن أن يجهز فيها مائة جمل فى يوم واحد نظرا لتوفر ما يخص ذلك من أدوات فى المخازن المتوافرة فيها . وتقابل هذه السوق سوق المحايريين(٤٤) ، التى اندثرت وخربت معظم حوانيتها ولم يبق منها سوى القليل . وسوق خان الرواسين(٤٥) تقع عند سويقة أمير الجيوش وســميت بذلك لوجــود خان تعمل فيه الرءوس المغمومة(٤٦) ، ويعتبر من أشهر أسواق القاهرة ، وبها كثير من البائعين وتضــم ما يقرب من عشــرين دكانا عامرا بمختلف الأطعمة(٤٧) . ويقع ســوق حارة برجوان(٤٨) الى الجــامع الحاكمى(٤٩) وتعتبر من أكبر أسواق القاهرة ، وكانت تحتوى بعض الحمامات مثل حمام الرومى(٥٠) وحمام سويد(٥١) هذا بالاضافة الى الافران التى تكفى احتياجات سكان هذه السوق ، وكانت معمورة الجانبين ببائعى اللحم بأنواعه ، كما كان بها عدد كبير من الزياتين والجبانين والخبازين واللبانين والطبــاخين والشــوايين(٥٢) والبواردية(٥٣) والعطارين والخضريين وكثير من بائعى الأمتعة .

وكان بهذه السوق حانوت يختص ببيع حوائج المائدة من البقل والكرات والشمار(٥٤) ، والنعناع ، وقد خرب أكثر دكاكين هذه السوق فى عام ٨٠٦ هـ/١٤٠٣ م(٥٥) ، وبعد أن كانت من أعمر الأسواق التى لا يمكن المرور فيها الا بمشقة من كثرة الازدحام ليلا ونهارا(٥٦) . وسوق الشماعين(٥٧) تقع قريبا من الجامع الأقمر(٥٨) وتمتد حتى سوق الدجاجين(٥٩) وكانت حوانيتها معمورة بالشموع الموكبية(٦٠) والفانوسية ، وتظل هذه الحوانيت مفتوحة حتى منتصف الليل ، وكان يجلس بها ليلا بعض البغايا(٦١) يطلق عليهن زعيرات الشماعين وكن يتميزن ببعض العلامات ويرتدين زيا خاصا عبارة عن الملاءات والطرح وكن يرتدين فى أرجلهن سراويل من أديم(٦٢) أحمر ويتفن فى كل ليلة مع الرجال المشالقين(٦٣) . وكانت تباع فيه كل ليلة كميات كبيرة من الشمع ويزدهر نشاطه فى موسم الغطاس(٦٤) حيث تعلق فيه الفوانيس التى تدخل السرور فى نفوس الناس ، كذلك كان لهذه السوق موسم عظيم فى شـــــهر رمضان لكثرة ما يباع فيه من الشموع الموكبية . وقد خربت أكثر دكاكينها وكســـدت تجارتها نظرا لتدهور أحوال الناس وتركهم استعمال الشمع(٦٥) . وذلك يرجع الى التدهور الاقتصادى الذى لحق بالطبقات الشعبية فى عصر دولة المماليك الثانية منذ عام ٨٠٦ هـ/١٤٠٣ م . وقد وجدت الطبقـــات الشـــــعبية فى هذه السوق(٦٦) مجالا للبيع والشراء ومشاهدة الشموع والفوانيس الجميلة المتنوعة وبخاصة فى موسم رمضان وعيد الغطاس حيث يتجمع المسلمون واهل الذمة للاحتفال بهاتين المناسبتين وشراء كميات كبيرة من الشموع والفوانيس الموكبية . وسوق الدجاجين تلى سوق الشماعين الى سوق الخرنفش(٦٧) وكانت تباع فيها الطيور والدواجن بالاضافة الى طيور الزينة(٦٨) . ويرجع رواج

هذه السوق الى حالة الترف التى كان عليها اهل القاهرة فى عصر دولة المماليك الأولى قبل التدهور الاقتصادى الذى أصاب البلاد .

وتعرف سوق القفيصات(٦٩) الآن بحى « الصاغة » ، وقد خصص للباعة الجالسين الذين كانوا يجلسون فيه تجاه شبابيك القبة المنصورية(٧٠) على تخوت عليها أقفاص صغيرة من الحديد ، وقد شبك عليها الخواتم والفصوص وأساور النساء وخلاخيلهن وغير ذلك . وكان هؤلاء الباعة يستأجرون الأرض(٧١) التى يجلسون عليها من المشرف على البيمارستان المنصورى(٧٢) ، وفى عام ٧٢٦ هـ/١٣٢٥ م اقام المشرف من ماله الخاص خيمة كبيرة لكى يستظل بها اصحاب القفصيات ، وفى عام ٨٣٣ هـ/١٤٢٩ م نقلت هذه الاقفاص الى الصاغة(٧٣) . وكانت المنافسة تشتعل بين ارباب المقاعد واصحاب الحوانيت لحد يتطلب تدخل الدولة من وقت لآخر لمنعهم من دخول الأسواق لأن جلوسهم فى الأسواق يؤدى من ناحية الى تضييق الشوارع والطرق ومن ناحية اخرى الى كساد تجارة أصحاب الدكاكين وقلة الاقبال عليهم(٧٤) . وتعتبر سوق القفيصات من أكبر الأسواق تجمعا للطبقات الشعبية ، اذ تتواجد فيها أعداد كبيرة منهم تنتشر فى أرجائها ، وكانت سوقهم رائجة فى البيع ودليل ذلك تدخل الدولة بينهم وبين اصحاب الدكاكين بسبب ما يحدث بينهم من تنافس وما يسببونه لهم من خسائر مادية .

وقد تحدث ابن الحاج(٧٥) فى كتابه « المدخل » عن الأسواق وما يحدث فيها من المفاسد وبين ضرورة الامتناع من الشراء من أصحاب الطبليات والدكك المستديمة فى الطريق لأن فى ذلك تعديا على الطرق وخاصة الملاصقة لأبواب الجوامع والمدارس(٧٦) .

وتقع سوق المهامزين(٧٧) بالقرب من البيمارستان المنصورى ،

وتباع فيها المهاميز التى تستخدم فى ركوب الخيل ، وكان المهاميز من الذهب أو الفضــة الخالصــة ، ولذا تخلى أهل القاهرة عن استخدامه لارتفاع ثمنه وتدهور أحوالهم المالية بعدما أصــاب القاهرة من محن منذ عام ٨٠٠ هـ/١٣٩٧ م(٧٨) . وقد اتصلت سوق اللجمين بسوق المهامزين ، وكانت تباع بها آلات اللجم وغيرها من المعدات الجلدية التى تستخدم فى ركوب الخيل ، وكان بها عدد من صناع الطلاء والكفت(٧٩) ، وصناع السروج وأدواتها(٨٠) . وكانت الطبقات الشعبية تقصد هذه السوق بهدف العمل لا للشراء نظرا لارتفاع ثمن الخيول ، ولاقتصار اســـتخدامها على طبقة المماليك .

وتقع سوق الجوخيين فى الجزء الجنوبى الغربى من القاهرة ويباع فيها الجوخ لعمل المقاعد والستائر وثياب السروج ، وكان لبس الجوخ مقصورا على الطبقات الشعبية فى القاهرة ومن يأتى من بلاد المغرب وأهل الاســكندرية ، أما طبقة المماليك والأمراء فيرتدونه احتماء من المطر فلما ساءت الأحوال الاقتصادية وشمل ذلك معظم أهل القاهرة ، ساد استخدام الجوخ فى صنع الملابس بين مختلف الطبقات(٨١) .

وسوق الشرابشيين(٨٢) أقيمت بعد عصــر الدولة الفاطمية ويقع فى المنطقة التى بنى فيها السلطان الغورى المسجد والمدرسة والوكالة التى تعرف حاليا باسم « الغورية » وقد تخصصت هذه السوق فى بيع الخلع والتشاريف التى كان الســـلطان يمنحها للأمراء والوزراء والقضاه وغيرهم(٨٣) . وقد استمر اســتخدام الشربوش فى عهد دولة المماليك البحرية وأبطل استخدامه فى عصر دولة المماليك الجراكسة . وقد اقتصرت علاقة الطبقات الشــعبية بهذه السوق على الاشــتغال ببعض الحرف المرتبطة

بصناعة الشربوش والتى اندثرت مع اندثار استخدام الشربوش ذاته . وتتصل سوق الحوائصيين(٨٤) بسوق الشرابشيين وكانت حوانيتها مخصصة لبيع المناطق التى يتمنطق بها الجنود ، وقد اعتاد السلطان الناصر أن يوزع سنويا على المماليك حوائص من الذهب والفضة ، وقد قل الاهتمام تدريجيا بهذه التجارة ، واقتصر البيع فى حوانيتها على طواقى الأطفال(٨٥) .

وتعد سوق الحلاويين من أبهى الأسواق فى القاهرة فى العصر المملوكى ، وذلك لما تضمنه من حوانيت آلات النحاس بديعة الصنع الى جانب ما يعرف فيها من شتى أنواع الحلوى الملونة والتى تسمى بـ « المجمعة » وكان لهذه السوق مواسمها التى تزدهر فيها مثل شهر رجب ونصف شعبان ورمضان حيث تمتلىء بأنواع مختلفة من التماثيل السكرية على هيئة خيول وسباع وقطط ، وعرفت هذه التماثيل باسم « العلاليق »(٨٦) لأنها كانت تعلق بخيوط على الحوانيت(٨٧) . وكان الناس من مختلف الطبقات يبتاعون من سوق الحلاويين التماثيل السكرية لأطفالهم . وفى موسم عيد الفطر يبتاعون منها أيضا حب الخشكنانج(٨٨) ، وقطع البسندود(٨٤)) ، والمشاش(٩٠) ومع تدهور الأحوال الاقتصادية لأهل القاهرة الى جانب ارتفاع سعر السكر تضاءل الاهتمام بصنع الحلوى وقل عدد صناعها(٩١) .

ومن الأحياء الشهيرة فى القاهرة فى عصر الدولة المملوكية حى الصاغة الذى يقع فى شارع بين القصرين (المعز لدين الله حاليا)(٩٢)، وهو يضم أحد الأسواق الخاصة ببيع مختلف أنواع الحلى المصنوعة من الذهب الخالص أو الفضة ، ومازالت هذه السوق قائمة فى القاهرة فى وقتنا الحاضر . والصاغة كانت مطبخا للقصر فى أيام الفواطم ، ويمكن الوصول اليه من باب

الزهومة(٩٣) وبطبيعة الحال لم تكن الطبقات الشعبية تقصد هذه السوق بغرض الشراء وانما من أجل التنزه والمشاهدة أو العمل (كحمالين) هذا بالاضافة الى الأعمال الشعبية لما يحتويه هذا الحى من وكالات مختلفة سيأتى الحديث عنها فى موضعها .

أما سوق الكتبيين فتقع بين الصاغة والمدرسة الصالحية(٩٤)، وقد أنشئت بعد عام ٧٠٠ هـ/١٣٠٠ م وهى من ضـــمن أوقاف البيمارستان المنصورى، وكانت قبل ذلك بالقرب من جامع عمرو ابن العاص ، يقصدها أهل العلم من كل حدب وصـــوب(٩٥) . والطبقات الشعبية ترداد هذه الســـوق للعمل كحمالين أو خدم يعاونون فى مختلف شئون الكتبيين . ومن الأسواق الأخرى فى ابن العاص ، يقصدها أهل العلم من كل حدب وصـــوب(٩٥) . السيوفية وتباع فيها الصناديق والخزائن والأســـرة وغيرها من المصنوعات الخشبية(٩٦) وسوق الحريريين(٩٧) فتقع بين قيسارية العنبر وحى البندقانيين(٩٨) ، ومكانها الحالى بين البيمارســـتان وجامع المطهر(٩٩) ، وهى سوق للخاصة ، أما الطبقات الشعبية فكانوا يرتادونها للعمل فى الوظائف الهامشـــية . وتقع ســـوق العنبريين(١٠١) بين سوق الحريريين وبين قيسارية العصفر(١٠٢)، وقد أنشأها المنصور قلاوون (٦٧٨ هـ/١٢٧٩م(١٠٣) مكان سجن المعونة(١٠٤) ، لأن المنصور قلاوون كان حينما يمر من داره الى قلعة الجبل يسمع صراخ المسجونين وشكواهم من الجوع ، فلما تولى السلطنة أنشأ هذه السوق وكان المصريون على اختـــلاف طبقاتهم يستعملون العنبر ولكن بعد عام ٧٧٠ هـ/١٣٦٨ م كثر الغش فيه حتى أصبح اسما لا معنى له وقلت رغبة الناس فى استعماله ، فأصاب هذه السوق ما أصـــاب غيرها(١٠٥) . وقد تواجدت الطبقات الشعبية فى هذه السوق بهدف العمل والمشاهدة.

وسوق الحراطين (النجارين) فتقع بين دار الضرب(١٠٦) والوكالة(١٠٧) وبين البيمارستان ، وكانت سوقا كبيرة معمورة بالحوانيت التى يباع فيها المهد الذى يربى فيه الأطفال ، وحوانيت أخرى للخراطين وصـــناع السـكاكين ، وقد اندثر كثيره من الأسواق(١٠٨) ، منذ عام ٨٠٠ هـ/١٣٩٧ م ابان عصر دولة المماليك الثانية بعدما أصابتها مظاهر الوهن والتدهور الاقتصادى . وقد تواجدت الطبقات الشعبية بهدف البيع والشراء والمشاهدة . ذلك لأن السكاكين من الأدوات الضرورية لمختلف الفئات بغض النظر عن الوضع الطبقى لها .

وتقع سوق الجملون الكبيرة بوسط سوق الشرابشيين وتصل حتى البندقانين(١٠٩) وحارة الجودرية(١١٠) ، وقد أنشئت فيها حوانيت شغلها البزازون ، وكانت تباع فيها الأقمشة والملابس ، وقد وقف الملك الناصر محمد بن قلاوون(١١١) على تربة مملوكه يلبغا التركمانى فى عام ٧٠٧ هـ/١٣٠٧ م ، ثم عمل عليه بابين يغلقان ليلا(١١٢) .

ومن أسواق القاهرة المملوكية التى اشتهرت ببيع الفراء سوق الفرائيين(١١٣) التى تقع بجوار الجامع الأزهر ، وقد راجت تجارة هذه السوق نظرا لشغف رجال الدولة من الأمراء والمماليك بلبس الســـمور(١١٤) ، والوشـــــق(١١٥) ، والقماقم (١١٦) ، والسنجاب(١١٨) ، وقد حذا بعض الطبقات الشعبية حذو الأمراء والمماليك فى ارتداء بعض أنواع هذا الفراء فى بعض الفترات التى تحسنت فيها أحوالهم الاقتصـــــادية فى عصـــر دولة المماليك الأولى(١١٨) . أما السوق التى اشتهرت فى القاهرة المملوكية ببيع الكوافى وطواقى الأولاد فهى سوق البخانقيين(١١٩) التى تقع بين الجملون الكبير(١٢٠) وقيسارية الشرب(١٢١) ، وقد اعتاد صفوة

القومى دولة المماليك الجركسية ارتداء الطواقى بغير عمامة دون تحرج ، وقد تشبهت بعض النسوة بالرجال فى ارتداء بعض أنواع الطواقى سميت بالطواقى الجركسية وذلك لسببين أولهما : انتشار ظاهرة تعلق بعض المماليك بالفتيان الأمر الذى دفع بعض النسوة الى ارتداء ما يرتدونه لينلن حظوه فى قلوبهم وثانيهما تدهور الأحوال الاقتصادية لأهل القاهرة بصفة عامة وللنساء من الطبقات الشعبية بصفة خاصة منهم الى التخلى عن ارتداء المشـــــغولات الذهبية والفضية والاكتفاء بلبس الطواقى(١٢٢) .

ومن هنا لم تقتصر علاقة الطبقات الشعبية بسوق البخانقيين على مجرد العمل فى احدى حرفها أو مشاهدة ما يعرض فيها ، بل قصدته نساء العامة بهدف الشراء .

ومن أسواق القاهرة المملوكية التى عرفت على زمن المقريزى باسم الزقيق (تصغير زقاق) والتى كانت تسمى قديما بســـوق الخشابين ، وعرفت كذلك باسم سوق الخلعيين(١٢٣) وتقع هذه الســـوق بين قيسارية الفاضل (١٢٤) وباب زويلة(١٢٥) ، وتباع فيها الملابس المستعملة ، وهى من أعمر أسواق القاهرة ، اشتهرت بكثرة حوانيتها المعدة لبيع هذه الثياب(١٢٦) . وقد قصدها الطبقات الشعبية لشراء ما يلزم من ثياب مستعملة اذ كانت الطبقات الشعبية عاجزة عن شراء الملابس الجديدة التى تفوق اسعارها امكاناتهم المـــادية .

وتقع سوق البندقانيين(١٢٧) خلف بيمارستان قلاوون ، وكان يتجه اليها من سويقة الزجاجين ، وتســـمى قديما باســم بئر زويلة(١٢٨) ، ثم عرفت بعد ذلك بحى البندقانيين ، وكانت سوقا كبيرة معمورة الجانبين بالحوانيت التى تهدم اعلاها بسبب حريق البندقانيين الذى وقع عام ٧٥١ هـ/١٣٥٠ م وقد احترق هذا الحى

فى أحد أيام الجمعة فى أثناء الصلاة ولم يعرف سبب هذا الحريق آنذاك ، وكانت النيران من الارتفاع فى ذلك اليوم بحيث يمكن رؤيتها من القلعة ، وقد استدعى السقاءون فى الحال لأطفاء هذا الحريق لكنهم باءوا بالفشل ، وعم الحريق دكاكين البندقانين والرسامين وغيرها من الحوانيت(١٢٩) . وقد ضمت هذه السوق كثيرا من أرباب المعاش من بائعى المأكولات الى جانب كثير من بائعى الفقاع(١٣٠) .

ومع تدهور الأحوال الاقتصادية فى دولة المماليك الجراكسة اندثرت هذه السوق كغيرها من أسواق القاهرة الأخرى(١٣١) . وقد أنشئت سوق الاخفافيين(١٣٢) فى عام ٧٨٠ هـ/١٣٧٨ م فوق الاطلال التى نجمت عن حريق سوق البندقانيين ، تباع فيها أخفاف النساء ونعالهن ، ويطلق على النعل فى العصر المملوكى سر موزة(١٣٣) . وقد أعيد تجديد هذه السوق مرة أخرى فى أثناء العصر المملوكى وبنى فوق حوانيتها عدة مساكن كان يسكنها بائعو أخفاف النساء(١٣٤)

أما سوق الكفتين فكان الطريق اليها يبدأ من البندقانيين ومن حارة الجودرية ومن الجملون الكبير(١٣٥) ، وقد ضـــم عدة حوانيت لصناعة الكفت(٣٦ا) وهو تطعيم النحاس بالذهب والفضة ، حيث كان الناس يعشقون النحاس المكفت فلا تكاد تخلو منه دار ولابد أن يكون فى شوار العروس دكة نحاس مكفت ، والدكة عبارة عن شىء يشبه السرير يعمل من خشب مطعم بالعاج والأبنوس ، أو من خشب مدهون ، وفوق الدكة دست طاســات من نحاس أصفر مكفت بالفضة وعدد الدست سبع قطع بعضها أصغر من بعض ودست أطباق عدتها سبعة بعضها فى جوف بعض وغير ذلك من المنابر والســرج وأحقاق الأشنان ، والطشت والأبريق والمبخرة ، وتبلغ قيمة الدكة من النحاس مائتى دينار ذهبا . وقد كانت الطبقات الشعبية تكتفى بدكة واحدة عند تجهيز بناتهم ومن

هنا تعددت أوجه ارتباط الطبقات الشعبية بســـوق الكفتين ، فبعضهم كان يقصده للشراء والبعض الآخر من الصناع للعمل كما كان بعضهم يزوره لمشاهدة ما به من مصنوعات بديعة الصنع . ومن الأسواق التى تخصصت فى بيع صنف واحد من السلع أو البضائع سوق الأتباعيين(١٣٧) التى تقع بحى تحت الربع خارج باب زويلة(١٣٨) ، وتختص ببيع الطواقى وسوق السقطيين(١٣٩) التى تقع خارج باب زويلة بجوار دار التفاح(١٤٠) ويبـــاع فيها الكروش والاسقاط ، وسوق الأبارين التى تقع فى حى السبع خوخ العتيق(١٤١) والتى تعرض فيها مختلف لوازم الحياكة(١٤٢) . وقد كانت صلة الطبقات الشعبية بهذه الأسواق المتخصصة وثيقة نظرا لحاجتهم لما يعرض فيها من بضائع الى جانب مزاولتهم لبعض الحرف بها . وقد ساعد على هذا الارتباط قرب مساكنهم من مناطق العمل فى هذه الأسواق .

وفى فترة المعز أيبك التركمانى٦٥٢ هـ/١٢٥٥ م استجدت سوق سميت بسوق السراجين(١٤٣) التى شغلها صناع السرج وبائعوه، كما كانت هناك سوق القرافة التى كانت مخصصة لخدمة سكان المقابر ، كما ضمت بعض الصناع الذين عملوا بجدل الخوص(١٤٤)، ويعتبر السلطان فرج بن برقوق(٨٠١ هـ/١٣٩٨ م) أول من فكر فى تشيد أبنية تجارية فى القرافة تكون بالقرب من ضريح أبيه واشتملت هذه الأبنية ضمن ما اشتملت على الأسواق ، وقد فكر السلطان فى تغيير سوق الجمال والحمير هناك واقامة مخبز وطاحون وحمام قبل قتله ولكن بقتله اعيدت الى حالتها الأولى فى المقابر(١٤٥) .

وقد تواجدت الطبقات الشعبية فى أسواق القاهرة المملوكية نا بغرض العمل كحمالين ، أو بهدف الشراء ، كما امتلكوا بعض الحوانيت الصغيرة المتواضعة التى تعرض البضـــائع البسـيطة

زهيدة الثمن ، وذلك فى بعض الأسواق نحو سوق باب الفتوح ، وسوق خان الرواسين ، وسوق حارة برجوان ، وسوق الشماعين، وسوق بين القصرين وغيرها . كما كان بعض الطبقات الشعبية يجلسون تجاه شبابيك القبة المنصورية على تخوت فوقها أقفاص صغيرة عليها الخواتم وأساور النساء ، والبعض الآخر يتجول فى هذه الأسواق بهدف المشاهدة ، وهناك من كان يقصدها للتسول ، فضلا عن وجود أصحاب العاهات والعميان الذين كانوا يعيشون على فتات الآخرين وخير شاهد على ذلك قول الرحالة طافور فى أثناء زيارته للقاهرة «وجدت بعض الفقراء وبأيديهم الغرابيل(١٤٦) وهم ينخلون الرمال ، فسألت عن معنى ما أرى ، فعلمت أنهم من الزعر(١٤٧) الذين جاءوا يلتمسون شيئا من الفتات المتساقط على الأرض منذ لك الجمع الكبير من الرجال»(١٤٨) . فهذا القول يعكس مدى تدهور الحياة الاقتصادية فى القاهرة وبخاصـــة فى دولة المماليك الثانية (٧٨٤ هـ/١٣٨٢ م) والذى انعكس على كافة مجالات الحياة فى القاهرة المملوكية ، وكانت الطبقات الشعبية فى مقدمة الطبقات التى تأثرت بهذا التدهور ، فقد اشتدت معاناتها من الفقر والفاقة والجوع والعوز .

بعد هذا الوصف الذى عرضناه ــ فيما سبق ــ للأسواق فى القاهرة المملوكية ، من حيث ذكر مواضعها على خريطة القاهرة آنذاك وتوضيح ما كانت تضمه من سلع وبضائع ثم ذكر مستويات العلاقة بينها وبين الطبقات الشعبية سواء أكانت علاقة بيع وشراء أم علاقة عمل أو تنزه ، ينبغى التأكيد على أن الأسواق فى ذلك العصر لم تكن مجرد أماكن للبيع والشراء فحسب بل كانت بمثابة كيان جامع لمختلف مظاهر الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية آنذاك . ويتمثل دور الأسواق السياسى فى القاهرة المملوكية فى الدولة كمركز لنشر الأخبار والمراسـيم الحكومية وإذاعتها بين

مختلف الطبقات الشعبية(١٤٩) . وقد استخدمت الأسواق كوسيلة لنشر المعلومات نظرا لازدحامها الدائم وتواجد أعداد غفيرة من الطبقات الشعبية فيها سواء من المتسوقين او الباعة الجائلين الذين كانوا يفرشون الأرض عارضين بضاعتهم ، وقد عدت الأسواق مؤشرا مهما لطبيعة العلاقة السياسية بين الدولة والطبقات الشعبية فى العصر المملوكى نظرا لاستخدامها كوسيلة لاعلام الطبقات الشعبية فى القاهرة بما تقرره الدولة من أوامر ونواه ، وكلما كثر ما تفرضه الدولة على الطبقات الشعبية من أوامر ونواه كان ذلك دليلا على التدهور العام فى أحوال الدولة(١٥٠) .

وقد أسهمت الأسواق كذلك فى بلورة وتغذية الوجدان الشعبى للطبقات الشعبية من أهل القاهرة ، وذلك من خلال ما يتلقونه خلال تواجدهم فيها من قصص وحكايات ونوادر تتعلق بسلاطين وأمراء المماليك (١٥١) . الى جانب ما يكتسبونه من عادات باختلاطهم بغيرهم من أهل الذمة فى أثناء تواجدهم معا فى هذه الأسواق(١٥٢) .

وقد كانت الأسواق فى القاهرة المملوكية مؤشرا مهما لاحكام قبضة الدولة على مختلف مظاهر النشاط الاقتصادى آنذاك ، وكلما حظيت الطبقات الشعبية باهتمام الدولة انعكس ذلك فى صورة رقابة صارمة على الأسعار فى هذه الأسواق او اقامة بعض الانشاءات أو التوسعات أو الحرص على استكمال وسائل الاضاءة والنظافة فيها(١٥٣) . كما كانت العلاقة السياسية بين المماليك أنفسهم تؤثر سلبا أو ايجابا فى نشاط أسواق القاهرة ، فكلما زاد الصراع بينهم تأثرت جميع النشاطات التجارية التى يتحكم فيها السلطان والأمراء ، وتبدو مظاهر ذلك فى ارتفاع أسعار السلع المعروضة فى الأسواق الأمر الذى يؤثر بصورة سلبية على السواد

الأعظم من الطبقات الشعبية بالرغم مما كانت تقوم به الدولة أحيانا من تقديم يد العـون للفقراء من أهل القـاهرة فى مثـل هذه الأحوال(١٥٤) .

وعن علاقة نساء الطبقات الشعبية بالأسواق ابان العصر المملوكى فقد كان خروجهن اليها يعد نوعا من الترفيه والتسلية ، بل أن النساء كن يمثلن غالبية رواد الأسواق فى بعض المواسم والأعياد والتى كان المصريون جميعا يحتفلون بها سـواء كانوا مسلمين أو من أهل الذمة مثل « عيد الغطاس » « وخميس العهد » و « النصف من شعبان » و « رمضان »(١٥٥) لشراء ما يلزمهن من السلع الغذائية والكسائية ، وقد اثارت ظاهرة خروج النساء من الطبقات الشعبية الى الأسواق حفيظة بعض الفقهاء المعاصرين لتلك الفترة خاصة لأنهن كن يخرجن متبرجات(١٥٦) ، ومن هنا صدرت بعض المراسيم التى تحظر خروج النساء ، والا عوقبن باشد انواع العقاب(١٥٧) .

وقد ضـمت الأسـواق فى القاهرة المملوكية عدة منشآت تجارية عملت بها بعض الطبقات الشعبية وبخاصة فى بعض المهن الثانوية كحمل البضائع وخلافه . ومن هذه المنشآت الوكالة(١٥٨) وهى أشبه ما تكون بالأسواق التجارية التى تعرف بالبورصة(١٥٩) . وقد ارتبط صغار التجار أو ما يطلق عليهم تجار التجزئة بمثل هذه الوكالات بهدف شراء البضائع والسلع لبيعها مرة ثانية للحصول على هامش الربح المتبقى من سعر البضائع بالجملة وسـعرها بالتجزئة .

ومن أمثلة الوكالات وكالة قوصون(١٦٠) التى أنشأها الأمير قوصون وهى احدى الوكالات المملوكية المهمة فى عصر السلطان

الناصر محمد بن قلاوون(١٦١) ، وتقع بين الجامع الحاكمي ودار سعيد السعداء(١٦٢) . وقد كان ينزل بها التجار ببضائعهم التي يجلبونها من بلاد الشام كالزيت والصابون والفستق والجوز واللوز وغير ذلك . وكانت تدهش من يشاهدها لكثرة ما فيها من اصناف البضائع وازدحام الناس وعلو اصوات العتالين عند حمل البضائع، ويعلوها عدة رباغ تشتمل على ثلثمائة وستين بيتا يقطن بها حوالى أربعة آلاف نفس(١٦٣) . وقد اندثرت معالم هذه الوكالة ولم يبق منها سوى المدخل الذى يقع فى شارع الجمالية(١٦٤) . وقد ذكر المقريزى فى وصفه للرباع التى ضمتها هذه الوكالة انه قد سكنها أعداد كبيرة من الطبقات الشعبية الى جانب ما كان يتواجد فيها من حمالين وعتالين لابضائع .

وكالة باب الجوانية(١٦٥) تقع تجاه باب الجوانية من القاهرة بين درب الرشيدى(١٦٦) ووكالة قوصون ، وكانت هناك عدة مساكن فى موضعها(١٦٧) ، فشرع الأمير جمال محمود بن على الاستادار(١٦٨) بهدمها وبناء الوكالة(١٦٩) ، واصبحت هذه الوكالة من الوكالات الكبيرة التى يرد اليها من الشام مختلف أصناف البضائع ، وقد وقفها الأمير محمود على المدرسة الخانقاه التى انشأها بحى بين القصرين(١٧٠) .

وكالة الغورى انشأها السلطان الأشرف قنصوه الغورى فى عام ٩٠٩ هـ — ٩١٠ هـ/١٥٠٣ — ١٥٠٤ م ، وتقع هذه الوكالة بشارع التبليطة (محمد عبده حاليا) بين الجامع الأزهر ومدرسة السلطان الغورى(١٧١) ، وتعتبر من المنشآت التجارية(١٧٢) المهمة فى العصر المملوكى الجركسى (٧٨٤ هـ — ٩٢٢ هـ/١٣٨٢ — ١٥١٧ م(١٧٣) . وقد ارتبطت بعض فئات الطبقات الشعبية بها سواء لأغراض العمل أو لمشاهدة ما يعرض من بضائع وسلع .

وقد أنشأ السلطان قايتباى ثلاث وكالات الأولى بباب النصر وقد أسسها فى عام ٨٨٢ هـ — ١٤٧٧ م(١٧٤) ، وتقع بشارع باب النصر بالقرب من باب النصر خلف جامع الحاكم بأمر الله ، وقد اشتهرت باسم وكالة الدشيشة (أى الذرة التى تدش)(١٧٥) . والثانية بالأزهر وأسست فى عام ٨٨٥ هـ — ٨٨٦ هـ — ١٤٨٠ — ١٤٨١ م ، وكان الغرض من انشائها خدمة الحجاج ، أما الوكالة الثالثة التى أسسها فتقع فى حى السروجية بالقاهرة ولها واجهة طويلة وفى وسطها مدخل محاط به عدة دكاكين ، لم يتبق من هذه الوكالة سوى اجزاء من الواجهة ومن المدخل(١٧٦) .

ومن منشآت ذلك العصـــــر أيضا الفنادق والخانات وتعد الفنادق(١٧٧) من المنشآت التجارية المهمة التى كانت تســتخدم لايواء الأجانب فى القاهرة . وكانت أشبه بالأسواق الكبيرة ، توضع البضائع فى أسفلها ، ويتحول أعلاها ليلا الى مـــكان للنوم(١٧٨) . ويعد فندق دار التفاح(١٧٩) من الفنادق التى كانت تباع فيها بعض أنواع الفاكهة الواردة من الشام(١٨٠) ، وقد عمل به عدد كبير من الطبقات الشعبية وذلك فى أعمال العتالة لنقل الفواكه الى مختلف أسواق القاهرة . وهناك عدد من الحمالين يلبون أى طلب المشترين « فهؤلاء الأفراد على استعداد للقيام بأية خدمة لقاء أجر زهيد(١٨١) . ومن الفنادق التى أنشئت فى الدولة الأيوبية واستمرت تؤدى وظيفتها فى العصر المملوكى فندق بلال(١٨٢) ويقع بين حمام خشيبة(١٨٣) وحارة العدوية(١٨٤) ، وكان التجار يودعون صـــــناديق أموالهم . ودليل ذلك ما ذكره المقريزى(١٨٥) من أنه كان يشاهد داخل هذا الفندق صـناديق للأموال مختلفة الأحجام مصنوعة من الذهب أو الفضـــة بديعة الصنع(١٨٦) . ومن ذلك يتضح أنه كان هناك بعض الفنادق خلال العصر المملوكى تخصـــصت فى أنواع التجارة نحو تجارة اللوز

والجوز والتوابل وغيرها . أما فندق الصالح فيقع بجوار باب زويلة ، وقد أنشأه الملك الصالح علاء الدين على بن السلطان الملك المنصور قلاوون ، وكان يعلوه ربع يضم عدة مساكن(١٨٧) ، واتخذ مسكنا لتجار البطيخ ، كما ضم بعض الدوانيت المخصصة لصغار التجار في طابقه الأول(١٨٨) .

ومن منشآت العصر الايوبى والتى استمرت حتى العصر المملوكى فندق ابن قريش ، الذى أنشأه القاضى شرف الدين ابراهيم بن قريش كاتب الانشاء ثم انتقل بعد ذلك الى حوزة ورثته(١٨٩) ومن فنادق القاهرة المملوكية التى كان ينزل فيها تجار الزيت الذين يأتون من الشام فندق طرنطاى(١٩٠) الذى كان يضم ربعا كبيرا ويحتوى على ستة عشر عمودا من الرخام ، وقد احترق هذا الفندق فى نهاية العصر المملوكى فى عام ٧٢١ هـ/١٣٢١ م ولم يتبق منه شىء يذكر(١٩١) .

ومن الفنادق التى تميزت بعرض أنواع محددة من السلع فندق الخضر الذى كانت تباع فيه الخضر الى جانب الرطب الأمهات والزيتون الأخضر ، وفندق القصب وكان مخصصا لبيع القصب والسكر ، وفندق دار الخضر الذى خصص لبيع الخضار ، وفندق العسل الذى كان يباع فيه العسل الى جانب بعض الفنادق الأخرى نحو فندق الدقيق وفندق الصبانيين(١٩٢) .

ويستخلص من العرض السابق أن معظم هذه الفنادق التى وجدت فى القاهرة ابان العصر المملوكى انشئت فى العصر الأيوبى ، واستمرت الى ما بعد ذلك حتى اندثر بعضها فى اواخر دولة المماليك الثانية ، ولم تكن الفنادق فى العصر المملوكى وقفا على أغراض السكنى بل عرضت بها بعض أنواع السلع والبضائع،

وتخصص بعضها فى عرض أنواع محددة منها ، وقد أقامت بعض الطبقات الشعبية فى ذلك العصر فى الرباع التى تعلو بعض هذه الفنادق ، كما عملت بها فى بعض الأنشـــطة الثانوية كحمالين أو موزعين للبضائع على ما يسمونه حاليا (بتجار التجزئة) . . .

وتعد الخانات من المنشآت التجارية المهمة فى عصر دولة المماليك ، فقد تخصص كل منها فى نوع محدد من التجارة ، وقد سميت بالخانات ومفردها خان تأثرا بالفرس الذين كانوا يطلقون على الحانوت أو المكان الذى ينزل به التجار كلمة خان(١٩٣) . ومن هذه الخــانات التى تواجــدت فى القـــاهرة المملوكية « خان مسرور»(١٩٤) الذى يتكون من مبنين احدهما كبير يقع بالقرب من باب الزهومة الى سوق الحريريين ، والآخر أصغر حجما ويقع بالقرب أيضا من باب الزهومة الى الجامع الازهر ، وقد كان مسرور هذا من خدام القصر فى الدولة الفاطمية ، وبعد زوال دولة الفواطم التحق بخدم صلاح الدين الأيوبى ، وفى ايام الكامل انقطع للعبادة واستقر بداره ثم بنى هذا الخان ، وكان قبل بنائه مساحة يباع فيها الرقيق ، ويرد أعيان التجار من الشام ببضائعهم الى هذا الخان ، كما كانت تودع به اموال اليتامى والمعوزين من الطبقات الشعبية ، وقد تهدمت أماكن متعددة منه مع تدهور الأحـــوال الاقتصادية لدولة المماليك الثانية ، وضعف الاهتمام بأبنية ومنشآت القاهرة فى ذلك الوقت(١٩٥) . ويقع خان السبيل(١٩٦) خارج باب الفتوح ، وقد بناه الخادم بهاء الدين قراقوش الذى بنى السور المحيط بالقاهرة وجعله لأبناء السبيل(١٩٧) ، وكان ذلك فى الدولة الأيوبية واستمر هذا الخان فى العهد المملوكى ، وفى عام ٦٦٤هـ/ ١٢٦٥ م أمر السلطان بيبرس بجمع أصحاب العاهات ، فجمعوا بهذا الخان ، ونقلوا الى مدينة الفيوم(١٩٨) ، وقد اشتمل هذا الخان على بعض البستايين والمبانى ويعد من أحياء الحسينية(١٩٩) .

وبالقرب من الجامع الأزهر يقع أحد الخانات المهمة فى القاهرة المملوكية وهو خان منكورش الذى يقع بحى سوق الخيميين، وقد بناه الأمير منكورش الذى كان احد مماليك السلطان صلاح الدين وتتدرج فى الوظائف حتى صار احد الأمراء ، وقد توفى فى عام ٥٧٧ هـ/١١٨١م(٢٠٠) . واستمر هذا الخان فى العهد المملوكى وعرف بخان النشارين ، وقد وقف على جهات البر(٢٠١) .

ويقع خان الخليلى بحى الزراكشة العتيق(٢٠٢) ، وكان موضعه تربة القصر الموجود فيها قبور الخلفاء الفاطميين والتى عرفت بتربة الزعفران ، انشأه الأمير جهاركس الخليلى أمير آخور(٢٠٣) ، الملك الظاهر برقوق ، وكان كثير البر ، وقف هذا الخان على الفقراء(٢٠٤) . يتبين مما سبق ان كل خان من خانات القاهرة المملوكية كان مخصصا لنوع واحد من التجارة ، كما يتضح لنا ان الوكالات والفنادق والخانات مسميات لنوع واحد من المنشآت التجارية ، وقد اكد المقريزى هذه الحقيقة عند حديثه على وكالة قوصون اذ ذكر « أن هذه الوكالة فى معنى الفنادق والخانات(٢٠٥). هذا عن أهم الوكالات والفنادق والخانات التى تواجدت فى العصر المملوكى والتى ترددت عليها الطبقات الشعبية بغرض العمل أو المشاهدة .

وفيما يتعلق بتواجد الطبقات الشعبية بالمساجد ابان العصر المملوكى فقد تناولت هذا الموضوع بالتفصيل فى المدخل والفصل الأول والفصل الثانى(٢٠٦) .

وتعتبر خانقاوات العصر المملوكى من العمائر الدينية المهمة، التى انتشرت فى مصر خلال ذلك العصر وكانت مخصصة لايواء الصوفية المنقطعين للعبادة(٢٠٧) . وقد ارتبطت وظيفة بعض

الخانقاوات فى عصر المماليك ببعض المظاهر الدينية نحو اقامة خطبة الجمعة ، ولذا اطلق عليها الجامع الخانقاه تميزا لها عن المسجد الجامع الذى اقتصرت وظيفته على اقامة الصلاة(٢٠٨) .

وفى عهد دولة المماليك البحرية كان لبعض الخانقاوات غرض مزدوج بجمع ما بين الطابع الدينى والتعليمى ، وقد اطلق على هذا الضرب من الخانقاوات اسم المدرسة الخانقاه تميزا لها عن الخانقاه الموقوفة على الغرض التعليمى فحسب(٢٠٩) . ومن الخانقاوات التى زخرت بها القاهرة فى العصر المملوكى خانقاه ركن الدين بيبرس(٢١٠) والتى تقع بحى الجمالية تجاه الدرب الأصفر(٢١١) وهى من أحسن الخانقاوات بناء واتساعا وصنعة ، انشأها الملك المظفر ركن الدين بيبرس الجاشنكير المنصورى(٢١٢) قبل ان يعتلى السلطنة فى عام ٧٠٦ هـ/١٣٠٦ م وبنى بجانبها رباطا(٢١٣) كبيرا يمكن الوصول اليه من داخلها وشيد بجانب الخانقاه قبه تضم قبرا ليدفن فيه ، وقد اكتمل بناؤها فى عام ٧٠٩ هـ/١٣٠٩م(٢١٤) . ووقفها بيبرس على المتصوفة الكهول والشيوخ والبالغين من العرب والعجم على اختلاف طبقاتهم(٢١٥). والحق بالخانقاه ربعمائة صوفى(٢١٦) ، وقد أقام بالرباط مائة من المسلمين المتصوفة الفقراء الذين لا مأوى لهم ، هذا بخلاف الشيخ، والامام(٢١٧) ، والمؤذن ، والخادم والبواب(٢١٨) . ويوجد بالخانقاه « خازن الكتب » أو شاهد خزانة الكتب وهو من الثقاة الأمناء القادرين على القيام بخدمة الكتب وهو مثل أمين المكتبة (فى عصرنا الحالى وفى العصر المملوكى كان يتسلم الكتب ويضعها بالخزانة وكانت مدة استعارة الكتب فى بعض الخوانق تصل الى شهر على الأكثر(٢١٩) ، وتكون للفقراء الذين يصعب عليهم الحصول عليها(٢٢٠) ، وعلى الخازن ترتيب الكتب وتنظيمها

وتجليدها اذا تمزقت(٢٢١) ، وقارىء القرآن أو الواعظ لابد أن يجيد القراءة وان يكون حسن الصوت(٢٢٢) ، والا يستخدم صوته فى الغناء المحرم ، وفى مجالس الخمور والمنكرات(٢٢٣) ، وكذلك يوجد كاتب الغيبة الذى يشترط ان يكون أمينا عادلا ذا ثقة وعليه حصر من يتغيب عن الخانقاه من الصوفية حتى لا يصرف لهم رواتبهم عن مدة الغياب(٢٢٤) .

وتوجد بالخانقاوات خزانة بها السكر والأشربة والأدوية وكذلك وجد الكحال (طبيب العيون) لعلاج الصوفية(٢٢٥) . ومن الوظائف الرئيسية ايضا وظيفة الوقاد الذى كان يعهد اليه تعمير القناديل واضاءتها وطفيها وغسلها وتغيير المياه(٢٢٦) ، وهناك ايضا المبخر وكانت مهمته التبخير فى كل يوم جمعة قبل الصلاة(٢٢٧) ، وبالاضافة الى الوظائف السابقة فى الخانقاه كان يوجد ايضا الفراش وسواق الساقية والرشاش والساقى(٢٢٨) . وقد شغلت بعض فئات الطبقات الشعبية مثل هذه الوظائف الثانوية فى الخانقاه ، هذا الى جانب اتخاذهم الخوانق مأوى لهم ، لما كانت تضمه من كفالة العيش وسد حاجاتهم الاقتصادية الضرورية .

أما عن الحياة الدينية داخل الخانقاه فكان الشيخ يجلس على كرسيه وأمامه المصحف والصوفية حوله بعد عصر كل يوم يقرءون القرآن على مايراه شيخهم(٢٢٩) . ويفرق عليهم أجزاء من القرآن العظيم يطلق عليها الربعات الشريفة ، فيقرأ الشيخ ما تيسر له قراءته من القرآن ثم يتبعه الصوفية فى القراءة ، ثم تختم التلاوة بالدعاء والاستغفار(٢٣٠) ، وقد رتب بالقبة درس للحديث النبوى له مدرس وعدد من المحدثين ، وكان هناك ايضا بعض قراء القرآن الذين يتناوبون القراءة ليلاونهارا(٢٣١) .

ويعتبر المطبخ ضروريا فى الخوانق ، ولهذا زودت الخانقاه بكل ما يحتاجه المقيمون فيها ، حتى يتحقق للخانقاه استقلالها ، فكان الطباخ يعد الطعام للصوفية ، ويقوم الوزان بوزنه هو والخبز(٢٣٢) وكانت الحلوى توزع يوميا على الصوفية(٢٣٣) ، وكذلك فى أيام المواسم كعيدى الفطر والأضحى والحبوب فى يوم عاشوراء من كل عام ، وذلك على حسب ما يراه شيخ الخانقاه(٢٣٤) . ومن عادات الصوفية فى الطعام يأتى الخادم اليهم فى الصباح ، فيعين له كل واحد ما يشتهيه من الطعام ، فاذا اجتمعوا للأكل ، جعلوا لكل صوفى خبزه وطعامه فى اناء لا يشاركه فيه أحد وطعامهم مرتان فى اليوم ولهم كسوة فى الشتاء والصيف ، ومرتبم شهرى من عشرين الى ثلاثين درهما للواحد فى الشهر ، ولهم حلاوة من السكر فى كل يوم جمعة ، وصابون لغسل ملابسهم(٢٣٥) . هذا فيما يخص غير المتزوجين ، أما المتزوجون فلهم خوانق خاصة بهم ، وكان عليهم حضور الصلوات الخمس والمبيت بالخانقاه . ومن عاداتهم أيضا جلوس الصوفى على سجادة خاصة به ، واذا صلى الصبح قرأ سورة الفتح وسورة الملك وسورة عم ، ثم يحضرون نسخا مجزأة من القرآن ، فيأخذ كل فقير جزءا ويختمون القرآن ويذكرون ويفعلون ذلك بعد صلاة العصر(٢٣٦) . وكانت الناس تأتى الى القاهرة يوم الجمعة لمشاهدة صوفية خانقاه سعيد السعداء عندما يتوجهون الى الصلاة بالجامع الحاكمى للتبرك برؤياهم(٢٣٧) .

وعن مساكن الصوفية فقد كان عدد خلاوى الخانقاه لا يقل عن مائة مسكن معظمها يقع خلف الخانقاه(٢٣٨) . ولما خلع بيبرس من السلطنة وقتل ، أمر الناصر محمد بن قلاوون بغلق الخانقاه واستمرت على ذلك لمدة عشرين سنة ثم فتحت فى عام ٧٢٦ هـ/ ١٣٢٥ م واستمرت الى أن انخفض منسوب مياه النيل فى عام ٧٧٦ هـ/١٣٧٤ م فتدهورت أحوالها واقتصر ما يقدم فيها على

الخبز ومبلغ لا يتجاوز سبعة دراهم لكل صوفى(٢٣٩) . وفى عام ٧٩٦ هـ/١٣٩٣ م اغلق مخبز الخانقاه ولم يعد يصـــرف لساكنيها حتى مجرد الخبز ، وصار الصوفية يأخذون كل شهر مبلغا من المال ، وكان بهذه الخانقاه جماعة من أهل العلم والخير ، ومع تدهور احوالها اصبح كل شاغليها من الأســـــاكفة وغيرهم من الطبقات الشعبية ، واستمرت أوقافهاعامرة بهم(٢٤٠) .

وتقع الخانقاه الجمالية بجوار درب راشد(٢٤١) من القاهرة على باب الزقاق المعروف قديما بدرب سيف الدولة نادر(٢٤٢) ، بناها الأمير علاء الدين مغلطاى الجمالى(٢٤٣) وجعلها مدرســـة للحنفية وخانقاه للصوفية فى عام ٧٣٠ هـ/١٣٢٩ م ودفن فيها فى عام ٧٣٢ هـ/١٣٣١م(٢٤٤) . وقد كانت هذه الخانقاه من أشهر خانقاوات القاهرة المملوكية فى تلك الفترة ثم تدهورت احوالها لقلة عناية ولاة أمرها بها ، الأمر الذى أدى الى توقف دورها الدينى والعلمى(٢٤٥) . وكانت تضم فيما سبق عدة مساكن للصوفية من طلبة الحنفية(٢٤٦) .

وتقع الخانقاه الظاهرية(٢٤٧) بشارع المعز لدين الله ، وقد أقيمت على جزء من أرض القصر الغربى الفاطمى الصغير بجوار مدرسة الناصر محمد بن قلاوون(٢٤٨) ، وانشأها الملك الظاهر برقوق فى عام ٧٨٦ هـ/١٣٨٤ م(٢٤٩) ، وهى تسمى المدرسة الخانقاه لأنها قامت بوظيفتـــــين ، التدريس الى جـــــانب أداء الصلاة(٢٥٠) ، وقد وضع السلطان برقوق لها شروطا هى : حضور شيخ الخانقاه وطلاب المذاهب الأربعة وشـــيخ الحديث وطلابه ، وكذلك الصوفية ، خاصة فى صلاة العصر على أن يقرأ كل واحد منهم حزبين كاملين من القرآن الكريم ، ويصـــرف لكل صوفى مبلغا من المال فى كل شهر لشراء قطعة من القماش الصوف

والطعام والصابون والحلوى وكذلك لشراء الكســـوة فى كل عام(٢٥١) .

ومن خانقاوات القاهرة المملوكية ايضـا خانقاه الشرابيشية التى تقع بين الجامع الأقمر وحارة برجوان ، وقد أنشأها نور الدين على بن محمد بو محاسن الشرابيشى وكان ثريا له عدة أوقاف على جهات البر(٢٥٢) .

وتقع الخانقاه الجاولية على جبل يشكر(٢٥٣) بجوار مناظر الكبش(٢٥٤) (شـارع مراسينا)(٢٥٥) وقد اختلفت الآراء حول مؤسسها فقد نسب البعض نشأتها الى الأمير علم الدين سـنجر الجوالى(٢٥٦) فى عام ٧٢٣ هـ/١٣٢٣ م ، ونسبها آخرون الى الأمير سلار(٢٥٧) . أما خانقاه أقبغا فقد كانت جزءا من المدرسة الأقبغاوية بجوار الجامع الأزهر انشأها الأمير أقبغا(٢٥٨) ، وجعل فيها جماعة يحضرون التصوف وأقام لهم شيخا وجعل لهم وقتا خاصا بها(٢٥٩) . هذا عن الخانقاوات التى وجدت بالقاهرة فى العصر المملوكى .

وقد تشابهت الخانقاه مع الرباط فى بعض الأغراض حيث استخدما لايواء الفقراء والصوفية لكن الخانقاه انفردت بوجود نظم وقوانين لها تتطلب شروطا فيمن يلحق بها ، فهى أشبه بالمعاهد الثقافية بالمفهوم المعاصر والتى تمنح اجازة لمن يلتحق بها ، كما يشـــترط أن يكون شـــيوخها من العلماء والفقهاء(٢٦٠) . أما الرباط(٢٦١) فلا يشترط فيمن ينزل فيه أن يكون متبعا لاحدى طرق التصوف ، ولذلك فقد أوقف بيبرس الرباط المجاور للخانقاه على المسلمين الفقراء بصفة عامة(٢٦٢) ، وقد جمعت حياة المرابطين ما بين الطابع الحربى والدينى ، الى جانب ارتباطهم بحيـــاة

التصوف ، واصبحت تسمية « الربط » تطلق على المكان الخاص بالصوفية(٢٦٣) .

ومن أمثلة الربط التى وجدت فى القاهرة فى ذلك العصر رباط البغدادية الذى كان داخل الدرب الأصفر تجاه خانقاه بيبرس، وقد أنشأه ابنه الملك الظاهر بيبرس فى عام ٦٨٤ هـ/١٢٨٥ م للشيخة الصالحة زينب المعروفة ببنت البغدادية فأنزلها به ومعها النســاء التى طلقن أو هجــرن حتى يتزوجن أو يرجعن الى أزواجهن(٢٦٤) . أما رباط الصاحب فيطل على بركة الحبش(٢٦٥)، وقد أنشأه الصاحب فخر الدين أبو عبد الله بن الوزير بهاء الدين فى عام ٦٨٨ هـ/١٢٨٩ م ، وكان من شروط الالتحاق به أن يسكنه عشرة من الفقراء(٢٦٦) . ورباط الفخــرى الذى يقع بين باب الفتوح وباب النصر(٢٦٧) . وقد بناه الأمير عز الدين أيبك الفخرى أحد أمراء الملك الظاهر بيبرس(٢٦٨) .

ورباط الآثار فيقع بالقرب من بركة الحبش ويطل على النيل أنشأه تاج الدين محمد ابن الصاحب فخر الدين ، وقد اســتكمل بعــد وفــاته ، وســبب تســميته برباط الآثار فيرجع لاحتوائه على قطعة من الخشب والحديد يقال انها من آثار الرسول عليه الصلاة والسلام ، وقد اشتراها الصاحب تاج الدين وحملها الى هذا الرباط ، وظلت به يتبرك الناس بها ويعتقدون فيها وقد كثر تردد الناس على هذا الرباط ، وفى عام ٨٠٦ هـ/١٤٠٣ م قل تردد الناس عليه بسبب التدهور الاقتصادى الذى أصاب البلاد من جراء الأوبئة والمجاعات(٢٦٩) . وفى أيام الملك الأشــرف شعبان(٢٧٠) أقيمت فيه دروس للفقهاء الشافعية ، كما أقام فيه عدد من الطلبة يصرف لهم معلوم كل شهر وفى أيام الملك الظاهر برقوق وقف قطعة من الأرض لعمل الجسر المتصل بهذا

الرباط . وقد وجد به خزانة كتب تحتوى على كل ما يحتاج اليه الدارس(٢٧١) . هذا عن أهم الربط التى وجدت فى العصر المملوكى والتى كانت مأوى لفقراء المسلمين والأرامل والمطلقات

وتطلق تسمية الزاوية على (المبنى) بصفة عامة ثم خصصت للدلالة على المسجد محدود المساحة(٢٧٢) ، والزاوية تنشأ برسم شخص معين ينزوى فيها للعبادة فتصبح مقرا له ينقطع فيها وملجأ لبعض مريديه(٢٧٣) . وهكذا يتضح لنا الفرق جليا بين الخانقاه والرباط والزاوية الا أنهم اشتركوا جميعا فى كونهم مأوى وملجأ للفقراء والمحتاجين وأصحاب العاهات والمطلقات وكبار السن والعميان(٢٧٤) .

وعن التدين الشكلى والعاطفى لدى الطبقات الشعبية فى القاهرة فمن خلال مراجعة بعض مصادر(٢٧٥) العصر المملوكى أمكن الوقوف على بعض الملامح التى يمكن من خلالها رصد مظاهر التدين الشكلى والعاطفى لدى هذه الفئة من سكان القاهرة ، ففى هذا العصر وجدت مجالس أطلق عليها مجالس العلم شارك فيها مختلف الطبقات وأخذوا بما كان يدور فيها من مناظرات ومناقشات دينية وأدبية(٢٧٦) .

وقد حرصت الطبقات الشعبية بمختلف فئاتها على الحضور فى هذه المجالس ، وكان لهم دورهم سواء بالتحمس لأحد المتناظرين أو باستحسانهم طريقة عرض موضوع المناظرة والجدل حول مسائله ، فقد وصف الأدفوى فى الطالع السعيد مجلسا للعلم حضره الوالى والقاضى والفقهاء ، كما حضره كثير من الطبقات الشعبية الذين كانوا ينصتون لما يدور فى هذ المجلس ، ولما انتهت المناظرة رفعت الطبقات الشعبية المناظر وعظموه(٢٧٧) . وربما

كان هدف الطبقات الشعبية من حضور مثل هذه المناظرات الترويح عن النفس والالمام ببعض جوانب الفقه الدينى المتصل بحياتهم اليومية الى جانب تذوق بعض الأشكال الادبية التى تجد طريقها فى التعبير من خلال هذه المجالس .

وقد شاركت الطبقات الشعبية فى مجالس الوعظ أيضا ، وأقبلت عليها فى أوقات فراغها ، وكانت هذه المجالس أشبه بمدارس شعبية تحملت عبء تثقيف الطبقات الشعبية الى جانب المساجد ، وكانت هذه المجالس تمتلىء بالناس على اختلاف مستوياتهم حتى بلغ الحاضرون فى بعضها مئات من الناس(٢٧٨) .

وكان الواعظ يعرف الناس بمبادىء الدين ويقـــوم بتذكير الناس بأحكام الشريعة ، اذا ما أعجب الطبقات الشعبية بأحد الوعاظ تحمسوا له واقبلوا على مجالسه لاعتقادهم وثقتهم فى عمله وتفقهه(٢٧٩) .

وكانت هناك استجابة واضحة لدى الطبقات الشعبية من مثل هذه المجالس حتى أن الكثيرين منهم تابوا وسلكوا مسلكا دينيا ملتزما على أيدى من كان يحضر هذه المجالس من الوعاظ ورجال الدين(٢٨٠) ، وفى كثير من الأحيان كانت مجالس الوعظ تشـــد انتباه الطبقات الشعبية وتستولى على عقولهم لدرجة أنهم كانوا يتركون أعمالهم ويتفرغون لها ، وقد تمتع رجال الدين بحب وولاء الطبقات الشعبية منهم الأمر الذى بلور الوعى الدينى لدى هذه الطبقات فى تلك الفترة(٢٨١) .

والى جانب دور هؤلاء الوعاظ فى تنمية التدين لدى مختلف الطبقات فقد حرصوا على ارضائهم والظهور والتواضـــــع فى التعامل معهم(٢٨٢) ، فكان البعض منهم لا يحضر سوى مجالس الفقراء (٢٨٣) ، وينتقد مســـلك بعض الســــلاطين فى بعض الأحيان(٢٨٤) .

وكان التجار وأصحاب الحرف يتعلمون قراءة القرآن الكريم واصول الفقه عن طريق جماعة من الفقهاء رتبها محتسب القاهرة فى كل سوق من أسواق القاهرة(٢٨٥) .

كانت فى القـــاهرة المملوكية بعض الأحياء التى ارتبطت بالطبقات الشعبية وهى ما يسمى بأحياء الطبقات الشعبية ومنها حى البندقانيين الذى كان فى الدولة الفاطمية احد اصطبلات الخلفاء الفاطميين ، فلما زالت الدولة أنشىء هذا الحى وأصبحت فيه مســاكن وسوق وعدة حوانيت لعمل البندق ولذلك عرف الحى بالبندقانيين ، واحتوى أيضا على كثير من الحوانيت المخصصة لبيع مشروب الفقاع بالاضافة الى وجود عدة رباع(٢٨٦) . وقد أقامت بعض الطبقات الشعبية فى مساكن ورباع هذا الحى خاصة لأنها كانت قريبة من أماكن عملها .

ومن الأحياء الأخرى التى اقامت فيها الطبقات الشــــعبية وزاولت اعمالها حى السبع خوخ العتيق(٢٨٧) الذى كان فى أيام الدولة الفاطمية عبارة عن سبع فتحات تؤدى الى الجامع الأزهر وبعد زوال الدولة بنيت مكان هذه الفتحات مساكن وسوق تباع فيها الابر ولذلك عرف بالأبارين(٢٨٨) .

ويعتبر حى الحسينية(٢٨٩) من الأحياء الشعبية المهمة فى القاهرة المملوكية(٢٩٠) ، وقد كان مكتظا بالســكان ، حتى أن الفرن الذى وجد به وظل الى ما بعد عام ٧٩٠ هـ/١٣٨٨ م كان يخبز حوالى سبعة آلاف رغيف يوميا(٢٩١) . وقد شكلت الطبقات الشعبية أغلب سكان هذا الحى . ومن ومن أهم العادات الاجتماعية التى اشتهر بها هذا الحى الفتوة(٢٩٢) .

ويليه من حيث نسبة تواجد الطبقات الشـــعبية حى باب اللوق(٢٩٣) ، الذى يعتبر من الأحياء الكبيرة ، ويقع على مسافة

ميل تقريبا من سور القاهرة ويضـم حوالى ثلاثة آلاف أسـرة ، وبعض الصناع والباعة الذين يعرضون عددا من السلع للبيع(٢٩٤).

وعن حى بولاق « بيلاق » ، فمن خلال بحثى فى بعض كتب التراجم وجدت أسماء لبعض من سكنه من الطبقات الشعبية(٢٩٦). ومن أكثر الأماكن ازدحاما بساكينها من الطبقات الشعبية القرافة التى وجدت مع وجود أول عاصمة اسلامية فى مصر وهى الفسطاط، ومع تطور الفسـطاط والعسكر ، والقطائع ، والقاهرة تطورت القرافة واصبحت اكثر عمرانا عن نشأتها الأولى ، وهناك عوامل ساعدت على سكنى الطبقات الشعبية لهذا المكان منها وجود عدد كبير من مزارات الأولياء(٢٩٧) والصوفية(٢٩٨) الصالحين(٢٩٩) . هذا فضلا عن وجود الربط(٣٠٠) والتى آوت كثيرا من العجائز والأرامل العابدات(٣٠١) . وقد بنى السلاطين والأمراء كثيرا من المساجد والمدارس والخانقاوات واجزلوا العطاء على سـكان القرافة(٣٠٢) .'هذا بالاضافة الى وجود جامع القرافة(٣٠٣) الذى يطلق عليه جامع الأولياء ، فقد كانت الطبقات الشعبية تستخدمه كمأوى لها وبخاصة فى أيام الجمعة حيث يوزع السلاطين والأمراء صدقاتهم على الفقراء من الحلوى واللحوم ومختلف الأطعمة(٣٠٤). وعند حدوث الأوبئة والمجاعات كان يتم حصر حالات الوفاة لسكان القرافتين الكبرى والصغرى(٣٠٥) .

وقد بين ليو الافريقى أثر الأوبئة والمجاعات فى ارتفاع نسبة الوفيات بين سكان القرافة ، فذكر أنها تكون شبه خالية من الناس ابان هذه الأزمات ، بعد ان كانت تموج بهم فيما مضى(٣٠٦) .

ومن الاشارات التى وردت فى المصادر وتوضح سـكنى الطبقات الشعبية بالقرافة ما ذكره المقريزى من ان الأمير يلبغا التركمانى(٣٠٧) ، والأمير طقتمر الدمشقى(٣٠٨) ، والأمير قوصون

بنوا منشآت بالقرافة وتبعهم جنودهم وسائر الطبقات الشعبية ، فبنوا الترب والخوانق والأســـواق والطواحين والحمـــامات. وانقسمت الطرق فى القرافة ، وتعددت بها الشوارع ورغب كثير من الناس فى السكنى فيها(٣٠٩) ، ومن الدلائل على سكنى القرافة أن الرحالة ابن جبير(٣١٠) بات ليلة بالقرافة ، ووصفها بأنها احدى عجائب الدنيا وبها مساجد كثيرة ومشاهد معمورة بالسكان. يلجأ اليها الغرباء والعلماء والصـلحاء والفقراء من كل ناحية ، ويقطن بالقرافة أناس يعملون بها ويحافظون عليها(٣١١) .

وقد وصفت القرافة الكبرى بأنها تضم عمائر كثيرة ، وأن عمائرها تدر ثغر الاسكندرية ، أما القرافة الصغرى فأنها أعمر من الكبرى وأحسن هيئة وأنها تضــاهى مدينة حمص(٣١٢) . ويصف ابن سعيد الاندلسى القرافة بقوله « بت ليالى كثيرة بقرافة الفسطاط ولا تكاد تخلو من طرب ولاسيما فى الليالى القمرية ، وهى معظم مجتمعات أهل مصر وأشهر متنزهاتهم(٣١٣) . وقد تحدث بيلوتى الكريتى عن القرافة ونظامها وطريقة المعيشة فيها(٣١٤) . كما ذكر البلوى المغربى فى رحلته « أن القرافة بلدة كبيرة قائمة بنفسها مستقلة بأسواقها ومساجدها »(٣١٥) . وقد وردت فى بعض المصادر كالنجوم الزاهرة لابن تغرى بردى اسم أحد الأشخاص من الطبقات الشعبية وهو مجاهد بن سليمان بن مرهف بن أبى الفتح المصرى الذى كان خياطا وشاعرا مشهورا وأديبا فاضلا وقد عاش فى القرافة ودفن بها(٣١٦) .

وقد لاحظ بعض الرحالة الأجانب الذين زاروا مصر فى عصر سلاطين المماليك أن بالقاهرة كثيرا من الطبقات الشعبية يتواجدون فى الطرقات نهارا وليلا وأجسادهم شــبه عارية ، وتفاوتوا فى تقدير ذلك العدد بين خمسين الفا ومائة الف(٣١٧) . وبالاضافة الى سكنى القرافة فقد اتخذت الطبقات الشعبية من أســـوار

القاهرة وحدودها مأوى لها واقامت أكواخا خشبية للاقامة فيها كما أقامت بعض الطبقات الشعبية فيما يسمى بعزب الصفيح التي شيدت مبانيها من الصفيح أو الالواح المعدنية .

ومن الأماكن التى تواجدت فيها الطبقات الشعبية قيسارية ابن قريش(٣١٨)وتقع فى وسط سوق الجملون الكبير ويمكن الوصول اليها اما من الجملون أو من سوق الاخفافين ، وقد سكنها البزازون(٣١٩) . وتقع قيسارية الفاضل على يمين الداخل لباب زويلة ، وكان يباع بهذه القيسارية جهاز النساء ، ويعلوها ربع فيه عدة مساكن(٣٢٠) . اقام فيه بعض الطبقات الشعبية من أهل القاهرة . أما قيسارية بيبرس الجاشنكير(٣٢١) فتقع على رأس باب الجودرية وكان موضعها دارا اشتراها بيبرس قبل ان يتولى السلطنة ثم هدمها وانشأ هذه القيسارية ، وكان يعلوها عدة رباع وحوانيت سكنها صناع الاخفاف وبلغت أجرة كل حانوت عشرة دراهم(٣٢٢) . وقد كانت تضم سكنى الطبقات الشعبية بالاضافة الى عدة أماكن لمزاولة أعمالهم .

وقد ضمت بعض أسواق القاهرة عدة رباع ومساكن أقام فيها بعض الطبقات الشعبية فى تلك الآونة وذلك نحو سوق الدجاجين ، وسوق باب الزهومة ، وسوق الشوايين ، وسويقة أمير الجيوش أو سوق الحريريين ، وسوق الجملون الكبير ، وسوق الاخفافين ، وربما كان السبب الرئيسى فى اقامة هذه الفئات من الطبقات الشعبية فى تلك الأسواق التواجد بالقرب من أماكن عملها ، ومتابعة عمليات البيع والشراء التى كانت تتم فى فى هذه الأسواق(٣٢٣) .

هوامش الفصل الأول

(١) سعيد عاشور : المجتمع المصرى فى عصر دولة المماليك ، ص ٨٢

(٢) Ashtor (E) : A social and Economic History of the Near East in the middle ages. London. 1976 PP. 3. 4.

(٣) بتسة ١ : ٢٤ .

(٤) Ibid P. 291.

(٥) ابن الاخوة : معالم القربة ، ص ٣٤٩ ، ص ٣٥٠ .

(٦) Dopp (PH) : Legypte au commncement de quinzieme siecle D'apresla tratie D'emmauue piloti de crete, le Caire, 1950.

(٧) هو أبو عبد الله محمد بن ابراهيم اللواتى (٧٠٣ هـ/١٣٠٤ م) نسبة الى لواته احدى قبائل البربر ، المعروف بابن بطوطة ولقبه شمس الدين ولد فى طنجة ، ولما بلغ العشرين من عمره ذهب للحج ، وكان محبا للتجول فى بلدان العالم ، واستغرقت رحلته تسع وعشرين سنة زار خلالها مصر وسوريا وافريقيا وآسيا الصغرى وروسيا والهند والصين والاندلس والسودان وقد سمى مجموعة اخباره « تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار » المعروفة برحلة ابن بطوطة ، وقصة رحلاته من أطرف القصص وأجزلها نفعا لما فيها من وصف للعادات والأخلاق ، وفوائد تاريخية وجغرافية وأسماء المدن وقد اهتم بها المستشرقون فترجموها . انظر رحلة ابن بطوطة ، ص ٥ ، ص ٦ ، ص ٧ انظر احمد رمضان : الرحلة والرحالة المسلمون ص ٣٦٩ .

(٨) ابن بطوطة : تحفة النظار ، جـ ١ ، ص ١٨ .

(٩) Dopp (P.H) : Le Caire vu par les voyaqeurs occidentaux du Moyen age, Bulletin de la Societe royale de geographie D'Egypte, tome 23, 1950, tome 24, 1951, tome 26 1953.

(١٠) Carre (Jean-Marie) : voyageurs et ecrivains fracais en Egypte, le Carle 1956, P. 4. 6.

سعيد عاشور : المجتمع المصرى ، ص ٨٢ .

(١١) Dopp : Op. Cit., PP. 106 — 107.

(١٢) سعيد عاشور : المجتمع المصرى ، ص ٨٣ .

(١٣) لم نجد لها تعريف .

(١٤) الدكة : المكان المرتفع يجلس عليه وهو (المسطبة) معرب والجمع دكك ومايزال هذا اللفظ مستعملا بالقرى ، وتصنع الدكك من الخشب . ابن الاخوة ، معالم القربة ، ص ١٣٥ هامش (١) .

(١٥) ابن الحاج : المدخل الى الشرع الشريف ، المطبعة المصرية بالأزهر ، ط (١) ١٩٢٩ ، جـ ٢ ، ص ٧٩ .

(١٦) طافور : رحلة طافور ، ص ٩٨ ، ولد طافور فى قرطبة فى مطلع القرن الخامس عشر فى عام ٨١٣ هـ/١٤١٠ م (ت ٨٨٦ هـ/١٤٨٤ م) انخرط طافور فى سلك الخدمة العسكرية حتى عقدت الهدنة بين غرناطة وقشتالة وقام برحلته هذه والتى امتدت من عام ٨٣٩ هـ/١٤٣٥ م حتى عام ٨٤٣ هـ/١٤٣٩ م وكانت رحلته الى الأقطار الأوربية والقاهرة ، ونستدل من كتاباته على حبه للرحلة ، فقد توسل بشتى الوسائل حتى استطاع أن يحصل على اذن بزيارة دير سانت كاترين ، فاستجاب له السلطان برسباى وقد ساعدته بصيرته اللماحة على وصف القاهرة وشوارعها الحافلة اذ ذاك وأسواقها وما بها من مختلف التجارات . طافور ، رحلة طافور فى عالم القرن الخامس عشر الميلادى ، ترجمة وتقديم حسن حبشى ، دار المعارف ١٩٦٨ ، المقدمة ص ك ، ل ، م ن .

(١٧) أولج فولكف : القاهرة مدينة الف ليلة وليلة ، ترجمة أحمد صابحة ، القاهرة ١٩٨٦ ، ص ١٠٠ .

(١٨) المرجع نفسه والصفحة .

(١٩) البلوى المغربى : رحلة البلوى (التاج المفرق فى تحلية علماء أهل المشرق) مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٤٠٠ جغرافيا ورقة ٥٥ ، ٥٦ .

(٢٠) ابن بطوطة : تحفة النظار ، ص ٢٦ .

(٢١) Dopp : Op. Cit., P. 144.

اننى أجد فى ١٢,٠٠٠ سقاء مبالغة وأميل الى الرأى الذى يقول ان عددهم ٥٠٠٠ سقاء خاصة وان السقاء الذى يأتى بالمياه من النيل أو الآبار يروح ويغدى أكثر من مرة .

(٢٢) طافور : الرحلة ، ص ٩٨ ، جاستون فييت : القاهرة مدينة الفن والتجارة ، القاهرة ١٩٩٠ ، ص ٩٠ .

(٢٣) سعيد عاشور : المجتمع المصرى ، ص ٨٣ .

(٢٤) طافور : رحلة طافور ، ص ٩٧ .

(٢٥) السبكى : معيد النعم ، ص ١٤٧ ، ص ١٤٨ .

(٢٦) ابن الصيرفى : نزهة النفوس والأبدان فى تواريخ الزمان ، تحقيق حسن حبشى ، القاهرة ١٩٧٣ ، حـ ٣ ، ص ٢٤١ .

(٢٧) المقريزى : الخطط ، حـ ٣ ، ص ١٧٤ .

(٢٨) المقريزى : السلوك ، حـ ٣ ق (١) طبعة ١٩٧٠ ، تحقيق سعيد عاشور ، ص ٣٥٥ ، مكان هذا السوق مايزال باقيا فى حارة الجمالون تجاه قبة الغورى بشارع المعز لدين الله فى القسم الذى يسمى شارع الغورية بالقاهرة . ابن تغرى بردى : النجوم ، حـ ١١ ، ص ٢٨٧ ، هامش (١١) ، سعيد عاشور ، مصر فى عصر دولة المماليك البحرية ، القاهرة ، ١٩٥٩ ، ص ١٤١ ، ص ١٤٢ .

(٢٩) انظر ص ٣٨ من هذا الفصل هامش (١) .

(٣٠) المقريزى : الخطط ، حـ ٣ ، ص ١٦٧ ، ص ١٦٨ ، أحمد عبد الرازق : شرطة القاهرة زمن سلاطين المماليك ، ط ١٩٨٢ ، ص ٣٠ .

(٣١) على ابراهيم حسن : تاريخ المماليك البحرية ، القاهرة ١٩٤٤ ، ص ٢٦١ .

(٣٢) العسس هو الطواف بالليل وتتبع أهل الريب . المرجع السابق ، ص ٢٦١ .

(٣٣) المقريزى : الخطط ، حـ ٣ ، ص ١٦٧ .

(٣٤) القلقشندى : صبح الأعشى، حـ ٤ ، ص ٦٠ .

(٣٥) المقريزى : الخطط ، حـ ٣ ، ص ١٦٧ وما بعدها .

(٣٦) المقريزى : السلوك حـ ٣ طبعة ١٩٧٠ ، تحقيق سعيد عاشور ، ص ٣٥٥ .

(٣٧) ابن اياس : بدائع الزهور ، تحقيق محمد مصطفى زيادة ، حـ ٢ ق (٢) طبعة ١٩٨٥ ، ص ٢٤١ .

(٣٨) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، حـ ١١ ، ص ١٧٤ .

(٣٩) سعيد عاشور : المجتمع المصرى ، ص ٨٥ .

(٤٠) المرجع السابق نفسه والصفحة .

(٤١) سمى مكانها فى عهد على مبارك بشارع مرجوش . على مبارك ؛ الخطط التوفيقية ، حـ ٣ ، ص ٢٢ على مبارك بن سليمان (١٢٣٩ — ١٣١١ هـ/ ١٨٢٤ — ١٨٩٣ م) وزير مصرى، من المؤرخين العلماء النوابغ . ولد فى قرية برنبال (من محافظة الدقهلية بمصر) تلقن العربية ، وسافر فى عام ١٢٦٠هـ/ ١٨٤٤ م ، مع بعثة مصرية الى باريس ، يتعلم فن المرتفعات والحركات الحربية وعاد الى مصر ، فتدرج فى الوظائف العسكرية ، ثم نصب ناظرا للأوقاف المصرية ، واضيفت اليه المعارف ، فأنشأ مدارس كثيرة ، وله آثار منها دار الكتب المصرية فى القاهرة ، وله العديد من المؤلفات منها « الخطط التوفيقية » وقصة سماها « علم الدين » وحقائق الأخبار فى أوصاف البحار وغير ذلك . الزركلى : الاعلام ط (٢) بطبعة كوستا بدون تاريخ ، طبعة (٥) بيروت ١٩٨٠ ، حـ ٥ ص ١٣٨ ، ص ١٣٩ .

(٤٢) حارة بهاء الدين : تقع داخل باب الفتوح ، عرفت بالطواشى بهاء الدين تراقوش ، اختطها قوم فى الدولة الفاطمية عرفوا بالريحانية والعزيزية فعرفت بهم، فلما سكنها بهاء الدين تراقوش أشتهرت به . القلقشندى : صبح الأعشى ، حـ ٣ ، ص ٣٥٢ .

(٤٣) المدرسة الصيرمية مكانها على عهد مبارك زاوية سوق الشبيبة . على مبارك ، الخطط التوفيقية ، حـ ٣ ، ص ١١ .

(٤٤) انظر المدخل ص ٨ هامش (٤) .

(٤٥) الرواسين من يقومون ببيع رءوس الماعز والضأن والاكارع وغيرها ، الشيزرى : نهاية الرتبة فى طلب الحسبة ، ص ٣٢ .

(٤٦) يفهم من كلام المقريزى أن الرءوس المغموة هى رءوس الماعز والضأن ويبدو ان هذا المكان عرف بذلك لوجود بعض الطبقات الشعبية والتى كانت تقوم بنظافة هذه الرءوس والاكارع ، المقريزى : الخطط ، حـ ٣ ، ص ١٥٥ ، والرءوس

المغمومة أى رءوس الذبائح التى تغم أى تكبر كمرا محكما فى أثناء طبخهـــا وانضاجها . حلمى سالم : اقتصاد مصر الداخلى فى العصر المملوكى ، بدون تاريخ ، ص ٢١٩ هامش (٢) ، والمغمومة المطبوخة ، والغمة فى اللغة الوعاء الذى يحتفظ فيه السمن والمقصود به هنا الوعاء الذى تطبخ فيه الرءوس ، الشيزرى نهاية الرتبة ، ص ٣١ هامش (٥) ، ص ٣٢ هامش (٩) .

(٤٧) المقريزى : الخطط ، حـ ٣ ، ص ١٥٥ .

(٤٨) تعرف ببرجوان الخادم وهو خادم القصور فى أيام العزيز بالله قتله الحاكم بعد ذلك . ويقال انه خلف فى تركته الف سروال بألف تكة حرير وبهذه الحارة كانت تقع دار المظفر بن أمير الجيوش بدر الجمالى ، وحارة برجوان تقع فى المنطقة التى يتوسطها اليوم شارع برجوان وحارة برجوان وما يتفرع منهما من العطف والأزقة بقسم الجمالية . القلقشندى :صبح الأعشى ، حـ ٣ ، ص ٣٥٢ ، ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة : حـ ٤ ، ص ٤٨ ، هامش (٣) .

(٤٩) الجامع الحاكمى : بناه الحاكم بأمر الله الفاطمى بالقرب من باب الفتوح وقد فرغ من بنائه فى عام ٣٨٠ هـ/٩٩٠ م ، وكان حين بنائه خارج القاهرة اذ كان بناؤه قبل بناء باب الفتوح وباب النصر ، وفى سيرة العزيز انه اختط اساسه فى عام ٣٧٩ هـ/٩٨٩ م ، وفى صرة الحاكم ابتداء بعض الوزراء واتمه الحاكم . القلقشندى : صبح الأعشى ، حـ ٣ ، ص ٣٦٠ .

(٥٠) يقع هذا الحمام بجوار حارة برجوان وينسب الى الأمير سنقر الرومى الصالحى أحد الأمراء فى أيام الملك الظاهر بيبرس ، أنشأه بجوار اسطبله تجاه رحبة داره ووقف هذه الدار والاسطبل والحمام فى عام ٦٦٢ هـ/١٢٦٣ م ، وسنقر الرومى الصالحى أحد مماليك الصالح نجم الدين أيوب ترقى عنده فى الخدم ، ولما صار ملك مصر لبيبرس قدم سنقر وأعطاه الاقطاعات الجليلة ولكن بيبرس اعتقله بعد فترة لقتله مملوكين من مماليك بيبرس . المقريزى : الخطط ، حـ ٣ ، ص ١٣٣ .

(٥١) ويقع حمام سويد بآخر سويقة أمير الجيوش عرف بهذا الاسم نسبة الى الأمير عز الدين معالى بن سويد ، وقد كان المقريزى يفتخر بهذين الحمامين يعنى الرومى وسويد لكونهما فى حارة برجوان التى ولد بها . المصدر نفسه والجزء والصفحة .

(٥٢) انظر المدخل ص ٦ هامش(٣) .

(٥٣) البواردى هو تاجر الطيور المحفوظة بالتبريد أو التمليح ، المقريزى : السلوك ، حـ ٢ ، ص ٦١٣ ، هامش (١) ، وقد تم القبض على رجل بواردى بحى السيوفين بالقاهرة وتم تأديبه والتشهير به لما ارتكبه حيث كان يحتفظ فى مخزنه بأعداد هائلة من أنواع الطيور الملحة الفاسدة ، وقد تم اعدامها بواسطة المحتسب، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، حـ ١٠ ، ص ٧٢ ، ص ٧٣ ، المقريزى : الخطط ، حـ ٣ ، ص ١٥٨ ، وفى كتب الحسبة البواردية بائعو المشهيات (الطرشى) ابن الاخوة : معالم القربة ، ص ١٥٩ ، والطرشى كلمة فارسية (ترشى) بمعنى حامض، وتعنى كل المواد الغذائية التى لها طعم حامض وتوجد كمية من الأحماض المختلفة فى تركيبها ، وتستخدم الأحماض كمذاق للغذاء . دكتور محمد معين : فرهنك فارسى ، مؤسسة انتشارات أمير كبير تهران ، ١٣٦٤ ، شمارة (٣) (آخ) ص ١٠٦٨ .

(٥٤) الشمار : بقلة من الفصيلة الخيمية ، ومنه نوع حلو يزرع ويؤكل ورقة وسوقة نيئا ونوع آخر سكرى يؤكل مطبوخا . أحمد حسن الزيات : المعجم الوسيط ، طبعة ١٩٦١ ، حـ ٢ ، ص ٤٩٣ .

(٥٥) خربت هذه السوق لأسباب تتعلق بالناحية الاقتصادية انظر الفصل الثانى .

(٥٦) المقريزى : الخطط ، حـ ٣ ، ص ١٥٥ ، واستمرت هذه السوق منذ عهد المماليك الى عصر على مبارك (١٢٣٩ — ١٣١١ هـ/١٨٢٤ — ١٨٩٣ م) واغلب ما يباع فيها الاقمشة المعروفة بالمنيفاتورة . على مبارك : الخطط التوفيقية ، حـ ٢ ، ص ١١ ، ولفظ مانيفاتورة كلمة ايطالية الأصل (Manifatura) تعنى قطع الملابس ومكان بيع الملابس بائع المنيفاتورة الصـــــنصانى أحمد المرسى : معجم صنصانى تركى عربى طبعة ١٩٧٩ م ، ص ٣٠٤ .

(٥٧) عرفت فى الدولة الفاطمية بسوق القماحين . المقريزى : الخطط : حـ ٣ ، ص ١٥٦ .

(٥٨) بناه الآمر الفاطمى بواسطة وزيره المأمون بن البطائحى واكمل بناءه فى عام ٥١٠ هـ/١١٢٥ م وقد كتب اسم الآمر والمأمون عليه . ولم يكن به خطبة الى أن جدده الأمير يلبغا السالمى أحد أمراء الظاهر برقوق فى عام ٧٧٩ هـ/١٣٩٨ م ورتب فيه خطبه . القلقشندى : صبح الأعشى ، حـ ٣ ، ص ٣٦١ ، انظر سعاد ماهر مساجد مصر وأولياؤها الصالحون ، حـ ١ ، القاهرة ١٩٧١ م ، ص ٣١٤ ، ٣٢٠ .

(٥٩) انظر ص ٣٤ من هذا الفصل .

(٦٠) الشموع الموكبية اى التى تستخدم فى المواكب وكانت الواحدة منها يصل وزنها الى عشرة أرطال . أما الشموع الضخمة التى كان وزنها يصل الى ما يزيد على قنطار فكانت تؤجر لكى تستخدم فى موكب صلاة التراويح . قاسم عبده : دراسات فى تاريخ مصر الاجتماعى ، ص ٩٦ .

(٦١) انظر الفصل الثانى (ص ١٠٨) هامش (٢) .

(٦٢) أدم ادما أصلح والف والصانع الجلد ، أصلحه بنزع الزائد من ادمته الاديم : الجلد واديم كل شىء : ظاهر . ابراهيم انيس : المعجم الوسيط ، حـ ١ طبعة ١٩٧٢ ، ص ١٠ .

(٦٣) شلاق الزعر : سيئو الخلق . والشلاق جمع شلق وهو مرادف للزعر والمراد بهم من يدخلون الخوف فى قلوب الناس ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ ١٠ ، ص ١٢٣ هامش (٢) ، وربما قالوا زعر الخلق والزعرور السيىء الخلق والطبقات الشعبية تقول رجل زعرور . ابن منظور : لسان العرب ، حـ ٥ ص ٤١٢ .

(٦٤) من أعياد النصارى يحتفلون به فى اليوم الحادى عشر من شهر طوبة ويرجعون ذلك الى أن يحيى بن زكريا (المعروف عندهم بيوحنا المعمدان) عمد المسيح (اى غسله) فى نهر الأردن وعندما خرج المسيح عليه السلام من الماء اتصل به روح القدس كما يزعمون ، ولذلك يعمدون أولادهم باسقاطهم فى الماء فى مثل هذا اليوم الذى يطلق عليه يوم الغطاس بالقاهرة . المقريزى : الخطط ، حـ ٢ ، ص ٥ ، انظر الفصل الثالث .

(٦٥) المصدر نفسه : حـ ٢ ، ص ١٥٦ .

(٦٦) ومكان هذه السوق على عهد على مبارك شارع الأمشاطية بالقاهرة على مبارك : الخطط التوفيقية ، حـ ٢ ، ص ١٢ .

(٦٧) حى الخرنشف كان ميدانا للخلفاء الفاطميين وكان لهم سرداب تحت الأرض مدخله من باب القصر يمرون فيه الى الميدان المذكور راكبين ، ثم جعل مصرفا للماء لما بنيت المدرسة الصالحية ، ولما تولى المعز أيبك التركمانى السلطنة بنوا به اصطبلات . وكلمة الخرنشف تعنى ما يتحجر مما يوقد به فى مياه الحمامات من القمامات والمخلفات وغيرها ، ويمكن تحديده الآن بحى الجمالية . القلقشندى : صبح الأعشى ، حـ ٣ ، ص ٣٥٢ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، حـ ٤ ، ص ٤٧ هامش (٥) ، سعاد ماهر : مساجد مصر ، حـ ٥ ، ص ٢٠ ، على مبارك : الخطط التوفيقية ، حـ ٢ ، ص ١٢ .

(٦٨) المقريزى : الخطط ، جـ ٣ ، ص ١٥٦ .

(٦٩) القنيصات بصيغة الجمع والتصغير من قنيص . سعاد ماهر : مساجد مصر ، جـ ٥ ، ص ٣٠ ، قنص من القنص الذى يحبس فيه الطير والقنص المتقبض بعضه الى بعض ، وتقائص الشيء اشتبك ، والقنص شيء يتخذ من قصب أو خشب للطير . ابن منظور : لسان العرب ، جـ ٨ ، ص ٣٤٧ ، والقفاصة : حرفة القفاص والقفاص : صانع الأقفاص : أحمد حسن الزيات : المعجم الوسيط ، جـ ٢ ، ص ٧٠٧ .

(٧٠) بناها السلطان قلاوون وتعتبر من أبدع وأجمل القبـــــاب المزخرفة بالفسيفساء والخشب المذهب تحملها أربعة أعمدة اسـطوانية سميكة والجدران مكسوة بالرخام وتحت هذه القبة القبر المدفون فيه الملك المنصور قلاوون وابنه الملك الناصر محمد ، وتقع فى شارع المعز لدين الله الفاطمى . ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، جـ ٨ ، ص ٣٢٥ هامش (٢) .

(٧١) هذه الارض كانت موقوفة على جامع المقس (ميدان المحطة الآن) . سعاد ماهر ، مساجد مصر ، جـ ٥ ص ٣٠ .

(٧٢) يقع بجانب القبة المنصورية وموضعه اليوم مستشفى قلاوون للعيون بشارع بين القصرين . ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، جـ ٤ ، ص ٤٧ هامش (٤) ، وكلمة بيمارستان كلمة فارسية مركبة من بيمار اى مريض وستان اى محل ويقال له بالتركية خسيه خانة وأول من اتخذ البيمارستان عبد الملك بن مروان . حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد الأثرية طبعة ١٩٤٦ ، ص ١١٤ ، وقد أنشاه المنصور قلاوون الصالحى بحى بين القصرين وكان دارا لست الملك أخت الحاكم الفاطمى فغير المنصور معالمه وزاد فيه ، وقد درس الطب بالبيمارستان المنصورى . القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٤ ، ص ٣٨ ، جـ ١١ ، ص ٢٥٣ ، وقد خصص بالبيمارستان قاعات مختلفة فكان هناك قاعة للرمد ، وللجرحى ، وللنساء ومكان للمبرودين ومكان آخر لطبخ الطعام والأدوية والأشربة ، ومكان آخر لرئيس الأطباء انظر ابن حبيب : تذكرة النبية فى أيام المنصور وبنيه ، هيئة الكتاب ، ١٩٨٦ ، جـ ١ ، ص ٣٠٢ ، ص ٣٠٣ المقريزى : الخطط ، جـ ٣ ، ص ٣٢١ ، وقد وصفه ابن بطوطة فيرحل لته بقوله « وأما المارستان المنصورى فيعجز الواصف عن محاسنه » ابن بطوطة : رحلة ابن بطوطة وقف على تهذيبه أحمد العوامرى وآخرون ١٩٣٣ ، جـ ١ ، ص ٢٧ .

(٧٣) المقريزى : الخطط ، جـ ٣ ، ص ١٥٧ .

(٧٤) المصدر نفسه ، والجزء ، ص ١٥٤ .

(٧٥) محمد بن محمد بن علي بن أحمد أبو عبد الله الحاجي العبدري (نسبة الى بني عبد الدار) بعد عام ٦٨٨ هـ / ١٢٨٩ م ، صاحب الرحلة المعروفة باسمه أصله من بلنسيه سكن بلدة (الحامة) وهي قرية فيها مياه معدنية حارة ، في الطريق بين بسكرة وتوزر في المغرب ، وتوجه حاجا في عام ٦٨٨ هـ / ١٢٧٩ م فدخل باجه وتونس والقيروان ومر بالاسكندرية في ذهابه وايابه ثم عاد الى بلده ، الزركلي : الاعلام ، جـ ٧ طبعة ثانية بدون تاريخ ، ص ٢٦٠ .

(٧٦) ابن الحاج : المدخل ، جـ ٢ ، ص ٧٩ .

(٧٧) المهازيون مفردها مهماز ، والمهماز آلة من حديد تكون في رجل الفارس فوق كعبه ، فوق الخف ، وهو من الذهب أو الفضة وأحيانا من حديد مطلي بالذهب والفضة . القلقشندي : صبح الأعشى ، جـ ٢ ، ص ١٣٦ .

(٧٨) المقريزي : الخطط ، جـ ٣ ، ص ١٥٩ .

(٧٩) الكفت : التطبيق أو التكفيت طريق في الزخرفة قوامها حفر رسوم على سطح معدن ثم ملء الشقوق التي تؤلف هذه الرسوم بقطع أخرى من مادة اغلى قيمة . زكي حسن : فنون الاسلام ، ص ٥٣٠ .

(٨٠) المقريزي : الخطط ، جـ ٣ ، ص ١٥٩

(٨١) المصدر نفسه السابق والجزء ، ص ١٥٩ ، ص ١٦٠ .

(٨٢) الشرابشيين : لفظ فارسي من كلمة سربوش ومعناه غطاء للرأس. محمد التونجي : المعجم الذهبي ، بيروت ١٩٦٩ ، ص ٣٤١ ، والشرابسيين مفردها شربوش وهو/شيء يشبه التاج كأنه شكل مثلث يجعل على الرأس بغير عمامة المقريزي : الخطط ، جـ ٣ ، ص ١٦٠ ، وفي دوزي قلنسوة يرتديها الأمراء بغير عمامة، وقد بطل استخدامها في الدولة الجراكسية (أي البرجية) .

Dozy (R.B.A.) : dictionnaire detaille des noms des vetements chez les Arabes. Amsterdam, 1845, PP. 220. 221 222, 223.

(٨٣) المقريزي : الخطط ، جـ ٣ ، ص ١٦٠ ، ص ١٦١ .

(٨٤) الحياصة : المنطقة بكسر الميم . وهي ما يشد في الوسط وهي من الالات القديمة ، فقد روى أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضى الله عنه كان له منطقه ، ولم يستخدم الحياصة الملوك ، وانما يلبسها الملك للامراء عند الباسهم

الخلع والتشاريف ، وتختلف بحسب درجة الأمير ، فمنها ما يكون من ذهب مرصع بالفصوص ومنها ما ليس كذلك . القلقشندى : صبح الأعشى ، حـ ٢ ، ص ١٣٤ ، وكان السلطان اذا ركب للعب الكرة وزع حوائص من ذهب على بعض الأمراء . المصدر نفسه ، حـ ٤ ، ص ٥٥ ، والحياصة سير فى الحزام والحياصة سير طويل يشد به حزام الدابة . ابن منظور : لسان العرب ، حـ ٧ ، ص ٢٨٥ ، والحوائص مفردها حياصة ويقصد بها الحزام الذى يوضع حول الوسط ويكون مرصعا بالأحجار الكريمة .

Dozy : Op. Cit., PP. 145 , 146 , 147.

(٨٥) المقريزى: الخطط ، حـ ٣ ، ص ١٦٠ .

(٨٦) العلاليق : مفردها علاقة . المقريزى : الخطط ، حـ ٣ ، ص ١٦٢ .

(٨٧) نفس المصدر والجزء ، ص ١٦١ ، ص ١٦٢ .

(٨٨) خشكنانك لفظ فارسى يطلق على الحلوى المصنوعة من الدقيق الذى يعجن ويبسط ويضاف اليه السكر واللوز المقشر وقليل من ماء الورد . ابن الاخوة : معالم القربة ، ص ١٨٣ ، وقد عرف فى مصر بالخشتنات وكان يصنع على شكل حلقة مجوفة يملأ وسطها بالفستق . القلقشندى : صبح الأعشى ، حـ ٣ ، ص ٥١٠ .

(٨٩) البسندود : أصله بالفارسية (بشندة) طعام فارسى مصنوع من دقيق وبلح وفى الأصل السندود القلقشندى : صبح الأعشى ، حـ ٣ ، ص ٥١٠ ، وتصنع من العسل ويبيعونها على أنها مصنوعة من السكر . ابن الاخوة : معالم القربة ، ص ١٨٣ .

(٩٠) المشاش : عسل يطبخ ثم يوضع فى اناء ليجمد فيصبح حلوى . ابن الاخوة : معالم القربة ، ص ١٨٣ .

(٩١) المقريزى : الخطط ، حـ ٣ ، ص ١٦١ .

(٩٢) المصدر نفسه والجزء ، ص ١٦٥ .

(٩٣) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، حـ ٤ ، ص ٥٣ .

(٩٤) تقع فى حى بين القصرين ، بناها الملك الصالح نجم الدين أيوب ، ويعتبر أول من رتب دروسا للمذاهب الأربعة فى عام ٦٤١ هـ/١٢٤٣ م . المقريزى : الخطط ، حـ ٤ ، ص ٢٠٩ ، وهذه المدرسة كانت تشغل مساحة كبيرة من الأرض ، وكانت من أجل مدارس القاهرة ، وحال هذه المدرسة اليوم يؤسف له اذ لم يبق من مبانيها الفخمة الا واجهتها الغربية التى بها الباب العمومى المطل على شارع بين القصرين ابن تغرى بردى : النجوم ، حـ ٦ ، ص ٣٤١ هامش (١) .

(٩٥) المقريزى : الخطط ، جـ ٣ ، ص ١٦٥ .

(٩٦) المصدر نفسه والجزء ، ص ١٦٦ .

(٩٧) نسبة الى الحريريين ، وهو صانع الحرير وتاجره ، وقد ورد الاسم فى كتب أثرية جنائزية على شاهد رخام بمتحف الفن الاسلامى بالقاهرة على هيئة عمود بالمتحف نفسه بتاريخ ١٥ صفر ٦٦٩ هـ/١٢٧٠ م باسم وحيد ربيب القاضى نور الدين بن الحريرى ، وقد أطلق لفظ الحريريين على أماكن فى بعض الكتابات الأثرية ، وربما جاء ذلك من اتخاذ هذه المواضع أسواقا لتجارة الحرير أو صناعته أى لوجود حوانيت الحريريين ومصانعهم فيها . حسن الباشا : الفنون الاسلامية ، جـ ١ ، ص ٤٢٤ .

(٩٨) المقريزى : الخطط ، جـ ٣ ، ص ١٦٦ .

(٩٩) يقع هذا الجامع بشارع المعز لدين الله (الصاغة) عند تقاطعه بشارع السكة الجديدة ، وكان الجامع فى الأصل مدرسة دينية كانت تعرف بمدرســـــة السيوفية ، وقد أقام بهذا المسجد عدد من أولياء الله الصالحين . سعاد ماهر ، مساجد مصر ، جـ ٤ ، ص ٨٢ ، وقد جدد هذا الجامع الأمير عبد الرحمن كتخدا وجعل امامه الشيخ عطية الاجهورى وأنشأ بجواره سبيلا ومكتبا ووقف عليه أوقافا كثيرة شعائرها مقامة من ريعها وعرف بالشيخ مطهر لأن به ضريحا يعرف بالشيخ مطهر . على مبارك : الخطط التوفيقية ، جـ ٢ ، ص ٢٣ .

(١٠٠) المقصود بالعنبريين تجار العنبر المستعمل فى الحلى . المقريزى : السلوك ، جـ ٢ ، ص ٩١ ويعتبر العنبر من الأحجار النفيسة ، وينبع من صخور وعيون فى الأرض ، ويجمع فى قرار البحر ، فاذا تكاثف قطعه الأمواج فترمى به الرياح الى السواحل ، ولا يستطيع احد أن يقترب منه لشدة حرارته وفورانه فاذا أقام أياما وتعرض للهواء تجمد ، فيجمعه أهل السواحل . وللعنبر ألوان مختلفة منها الأبيض ، والأزرق والرمادى ، والاحمر ، وأفضل أنواع العنبر واجوده ما جمع فيه قوة الرائحة وذكاء بعبير ، وللعنبر أنواع كثيرة وفى العصر المملوكى استعملت النساء نوعا من العنبر يقال له الند . القلقشندى : صبح الاعشى جـ ٢ ، ص ٩٧ الى ص ١٢٥ .

(١٠١) قيسارية العصفر تقع بشارع القاهرة لها باب من سوق المهامزين ، عرفت بذلك لأن العصفر كان يدق بها ، أنشأها الأمير علم الدين سنجر المسرورى المعروف بالخياط والى القاهرة ووقفها فى عام ٦٩٢هـ/١٢٩٢م وفى أيام المؤيد شيخ عام

٨١٦ هـ/١٤١٣ م نقل اليها العنبريين فصارت قيسارية عنبر ثم انتقل منها تجار العنبر الى سوقهم فى عام ٨١٨ هـ/١٤١٥ م ، المقريزى : الخطط ، جـ ٣ ، ص ١٤٥ .

(١٠٣) Lane-Poole : The Mohammadan Dynasties, 1966 P. 81.

(١٠٤) وكان يســـجن فيه أرباب الجرائم من قطاع الطرق فى الدولة الفاطمية ، وله رائحة كريهة فلما تولى الناصر محمد بن قلاوون السلطنة هدمه وأنشأ مكانه سوقا للعنبريين . المقريزى : الخطط ، جـ ٣ ، ص ٣٠٥ .

(١٠٥) المصدر نفسه السابق والجزء ، ص ١٦٦ .

(١٠٦) توجد داران للضرب ، دار بالقاهرة والأخرى بالاسكندرية والعمل فيهما واحد ، وهو أن يسبك ما يحمل اليهما من الذهب المختلف حتى يصير ماء واحدا جاريا ويقلب قضبانا وتقطع من أطرافهما بمباشرة النائب فى الحكم ويصير سبيكة واحدة ثم يؤخذ من جملتها أربعة مثاقيل . انظر ابن مماتى : قوانين الدواوين ، ص ٣٣١ ، وبنى دار الضرب على بقايا القصر الفاطمى ، وكان فى بدايته خزانة بجوار الايوان الكبير وفى هذا المكان سجن الخليفة الحافظ لدين الله عام ٥٢٤ هـ/ ١١٢٩ م . المقريزى : الخطط ، جـ ٣ ، ص ٢٤٩ .

(١٠٧) دار الوكالة الآمرية كانت بجانب دار الضرب وموضعها على زمن المقريزى ٧٦٩ هـ/١٣٦٧ م على يمين السالك من سوق الخراطين الى سوق الخبين والجامع الأزهر . انشأها المأمون بن البطائحى وزير الخليفة الآمر بأحكام الله للتجار العراقيين والشاميين المقريزى : الخطط ، جـ ٢ ، ص ٣٢٤ .

(١٠٨) المصدر نفسه ، جـ ٣ ، ص ١٦٧ .

(١٠٩) يفهم من سياق كلام المقريزى من يقومون بعمل وصناعة قسى البندق. المقريزى : الخطط ، جـ ٣ ، ص ٢٤٩ ، ويعتبر هذا الحى من أكبر أحياء القاهرة حيث يشمل المنطقة التى تخترقها اليوم سوق السمك القديم وسوق الصيارف الكبيرة وحارتا السبع قاعات البحرية والقبلية وما بين ذلك من شارع الســـكة الجديدة ، ابن تغرى بردى : النجوم ، جـ ٤ ، ص ٥٢ هامش (١) .

(١١٠) عرفت بهذا الاسم نسبة الى الطائفة الجودرية احدى طوائف العسكر فى الدولة الفاطمية وهو جودر خادم عبيد الله المهدى ، اختطوها حين بنى جوهر القاهرة ، ثم سكنها اليهود بعد ذلك الى ان بلغ الحكم الفاطمى أنهم يهزءون بالمسلمين ، فسد عليهم ابوابها وأحرقهم ليلا . المقريزى : الخطط ، جـ ٣ ، ص ٦ ، القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٣ ، ص ٣٥٣ .

(١١١) تولى السلطنة عدة مرات الأولى في عام ٦٩٣ هـ/١٢٩٣ م ، والثانية في عام ٦٩٨ هـ/١٢٩٨ م ، والثالثة في عام ٧٠٩ هـ/١٣٠٩ م .

(١١٢) المقريزى : الخطط ، جـ ٣ ، ص ١٦٧ .

Lane-Poole : Op. Cit., P. 81.

(١١٣) انظر المدخل ، ص ٢٠ هامش (٥) .

(١١٤) السمور : بفتح السين والميم المشددة المضمومة حيوان برى يشبه السنور وزعم بعض الناس أنه النمس ، وهو حيوان جرىء ليس فى الحيوانات أجرأ منه على الانسان ، لا يؤخذ الا بالحيل ولحمه حار والترك يأكلونه وجلده لا يدبغ كسائر الجلود . كمال الدين الدميرى : حياة الحيوان الكبرى ، ط (٢) طبعة ١٣١٣ هـ ، ص ٢٨ ، ويتخذ منه نفيس الفراء التى يلبسها الملوك وأكابر الأعيان لحسنها ودفائها ، وأحسنه ما كان منه شديد النعومة مائلا الى السواد . القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٢ ، ص ٤٩ .

(١١٥) الوشق نوع من فراء الذئاب . الدميرى : حياة الحيوان ، جـ ٢ ، ص ٣٢٤ .

(١١٦) القماقم : حيوان يشبه السنجاب الا أنه أبرد منه مزاجا وأرطب ولهذا هو أبيض ويشبه جلده جلد الفنك وهو أعز قيمة من السنجاب ، تؤخذ منه الفراء التى تستعمل فى الزينة عند الأغنياء كسلاطين المماليك وأمرائهم وأشباههم من الأثرياء فى القاهرة فى العصور الوسطى الدميرى : حياة الحيوان ، جـ ٢ ، ص ١٩٧ ، المقريزى : السلوك ، جـ ٣ ، ص ٩٨ .

(١١٧) السنجاب : حيوان أكبر من الفأرة وشعره فى غاية النعومة يتخذ من جلده الفراء يلبسه المتنعمون ، وهو شديد الحيل ، اذا أبصر الانسان صعد الشجرة العالية وفيها يأوى ومنها يأكل ويوجد كثير فى بلاد الصقالبة والترك وهو سريع الحركة عن الانسان ، وأحسن جلوده الأزرق الأملس ، الدميرى : حياة الحيوان ، ص ٢٨ ، ص ٢٩ ، ومن ذيله فروة نفيسة كانت تستعمل لتزين الملابس كالقماقم . المقريزى : السلوك ، جـ ٢ ، ص ٩٨ .

(١١٨) المقريزى : الخطط ،) ٣ ، ص ١٦٨ .

(١١٩) جاء فى دوزى أن البخنق خرقة تضعها الجارية فتشد طرفيها تحت حنكها لتقى الخمار من الدهن والدهن من الغبار .

Dozy : Op. Cit., P. 55.

(١٢٠) سوق الجمالون هى التى تعرف اليوم بحارة الجملون المتفرعة أيضا من شارع المعز بحرى جابع الغورى . ابن تغرى بردى : النجوم ، حـ ٨ ، ص ٢٠٩ .

(١٢١) قيسارية الشرب وقفها السلطان الملك الناصر صلاح الدين على صوفية خانقاه سعيد السعداء التى أنشأها ، وكانت اسطبلا وظلت وقفا على الصوفية واكراما لهم حتى عصر الناصر فرج ولما حدثت الفتن وكثرت مصادرات التجارة بطل كل ذلك وعومل سكانها بمنتهى الظلم اما عن موقعها تقع بشارع الغورية . المقريزى : الخطط ، حـ ٣ ، ص ١٤٠ ، القلقشندى : صبح الأعشى ، حـ ٣ ، ص ٣٦٥ .

(١٢٢) المقريزى : الخطط ، حـ ٣ ، ص ١٦٨ ، ص ١٦٩ .

(١٢٣) انظر المدخل ص ٣٠ هامش (٧) . وموضع هذه السوق حاليا حى الغـــورية .

(١٢٤) موضعها على يمين من يدخل من باب زويلة ، نسبت الى القاضى الفاضل عبد الرحيم على بن البيسانى وهى من أوقاف البيمارستان المنصورى ، ويباع فيها جهاز النساء وفوقها ربع به عدة مساكن ويحتمل أن يكون هذا الربع سكن فيه البائعون الذين يعملون فى هذه الحوانيت ، المقريزى : الخطط حـ ٣ ، ص ١٤٤ ، انظر كلمة ربع ص ١٠ من المدخل ، والقيسارية هى احدى المنشآت التجارية بالسوق فى عهد المماليك ، وكانت تتكون من طابقين ، الطابق السفلى به حوانيت ومصانع يدوية يعرض فيها الصناع انتاجهم ، وبالطابق العلوى مساكن لمبيت هؤلاء الصناع . حلمى سالم : حرف وصناعات الأطعمة والأشربة فى العصـــر المملوكى ، رسالة دكتوراه جامعة الاسكندرية كلية الآداب برقم ١٢٦٤ ، ١٢٦٦ ، ١٩٧٠ م ص ٩ هامش (٢) . والقيسارية فى معنى الأسواق من حيث أنها كانت تضم عددا من الحوانيت للتجارة ، كما أنها كانت تختص ببيع نوع معين من البضائع كما هو الحال فى قيسارية شبل الدولة ، وقيسارية بيبرس ، وطاشتمر . آمال العمرى : المنشآت التجارية فى العصر المملوكى ، رسالة دكتوراه ، غير منشورة ، كلية الآثار جامعة القاهرة ، ١٩٧٢ م .

(١٢٥) باب زويلة : وضع القائد جوهر الصقلى بابين متلاصقين بجوار المسجد المعروف باسم سام ابن نوح ، ولما قدم المعز للقاهرة دخل من أحدهما وهو الملاصق للمسجد وبعد ذلك ، صارت الناس تدخل وتخرج منه وتركوا الباب الآخر ، وقد زعم الناس فى تلك الفترة أن من يدخل من هذا الباب لا تقضى له حاجة ، وذلك يرجع الى أن هذا المكان كانت توجد به وسائل اللهو وأهل الغناء وظلت

هذه الأقاويل يرددونها من قبل أن يكون هذا الموضع سوقا لجلوس أهل المعاصى وفى عام ٤٨٥ هـ/١١٩٢ م بنى أمير الجيوش بدر الجمالى باب زويلة الكبير الباقى حتى الآن فى القاهرة . المقريزى : الخطط ، حـ ٢ ، ص ٢٠٦ ، ص ٢٠٧ .

(١٢٦) المصدر نفسه ، حـ ٣ ، ص ١٦٩ .

(١٢٧) يفهم من كلام المقريزى من يقومون بعمل قسى البندق ، هى كلمة فارسية بلفظها واستعمالها ، واقتبس العرب هذه اللعبة أيام الخليفة عثمان بن عفان ، وفى العصر العباسى كان رماة البندق طائفة كبيرة ، يخرجون الى ضواحى المدن ، يتسابقون فى رمى البندق ويعتذرون ذلك من قبيل الفتوة المقريزى : السلوك، حـ ١ ق (١) ص ١٧٢ هامش (١) . أنظر المدخل ص ٧ هامش (٤) .

(١٢٨) نسبة الى قبيلة زويلة التى قدمت مع جوهر الصقلى ، وكانت هناك بئر أقيمت عند هذه السوق برسم اسطبل الجميزة والذى كانت فيه خيول الخلفاء الفاطميين . المصدر نفسه والجزء ، ص ٥ .

(١٢٩) المقريزى : الخطط ، حـ ٣ ، ص ٤٩ .

(١٣٠) الفقاع شراب يتخذ من الشعير سمى بذلك لما يعلوه من الزبد والفقاعات . بدر العينى : السيف المهند فى سيرة الملك المؤيد شيخ المحمودى . القاهرة ١٩٦٧ ، ص ١٥٦ هامش (٣) ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ص ٣٧٩ هامش (١) ، وشراب الفقاع نوعان خاص وخرجى ، وهو الطيب عامة . الشيزرى : نهاية الرتبة ، ص ٥٤ ، والطيب ويسمى الأقسمة والخرجى يصنع من القطارة العال ، ولا يستعمل عسل القصب بسبب حدته ، ويؤخذ الشعير المنقى ويدق ثم يغلى على النار ، وبعد أن يبرد يصفيه ويضاف اليه العسل ، وينبغى لبائع الفقاع ان يحمل المذبة لأجل الذباب ، وعليه غسل الأوانى فى كل يوم . ابن الاخوة : معالم القربة ، ص ١٩٧ .

(١٣١) المقريزى : الخطط ، حـ ٣ ، ص ١٦٩ ، ص ١٧٠ .

(١٣٢) المصدر نفسه السابق والجزء ، ص ١٧٠ .

(١٣٣) لفظ فارسى معناه رأس الخف ، فان سر بمعنى رأس وموزة بمعنى خف . المقريزى : الخطط ، حـ ٣ ، ص ١٧٠ .

(١٣٤) المصدر نفسه والجزء والصفحة .

(١٣٥) موضعه حاليا شارع الفحامين بحى الغورية . على مبارك : الخطط التوفيقية حـ ٣ ، ص ٣٧ .

(١٣٦) انظر ص ٣٧ من هذا الفصل هامش (٤) .

(١٣٧) مفردها تبع وهي طاقية توضع على الرأس انظر ابن الحاج : المدخل : حـ ٤ ، ص ٢٤ .

(١٣٨) المقريزى : الخطط ، حـ ٢ ، ص ١٧١ .

(١٣٩) هذه السوق مازالت موجودة الى عهد على مبارك ، فقد وجدت حوانيت لبيع الكروش بالنسبة للقاهرة الحالية شارع القربية . على مبارك : الخطط التوفيقية ، حـ ٣ ، ص ٦٣ .

(١٤٠) هى فندق تجاه باب زويلة ترد اليه الفواكه المختلفة من بساتين القاهرة والشام ، وتعتبر من الأسواق المركزية فمن خلالها يتم توزيع الفاكهة على أسواق القاهرة وضواحيها ، وقد بنيت هذه الدار بعد عام ٧٤٠ هـ/١٣٣٩ م وتحيط بها حوانيت لبيع الفاكهة . المقريزى : الخطط ، حـ ٣ ، ص ١٥٢ .

(١٤١) الخوخة الكوة أو الفتحة الصغيرة فى باب كبير ، والكوة فى البيت ينفذ منها الضوء ، والخوخة باب صغير فى بوابة كبيرة لسور أو حصن أو فندق ، وكانت العادة فى العصور الوسطى فى مصر وغيرها أن يجعل هذا الباب الصغير للاستعمال اليومى ، فلا تكون هناك حاجة الى فتح البوابة الكبيرة الا عند الضرورة ، وهذا اللفظ أطلق على باب فى سور القاهرة نفسه دون وجود بوابة كبرى . المقريزى : السلوك ، حـ ٢ ق (١) ص ٢١٥ هامش (٢) ، سعاد ماهر : مساجد مصر ، حـ ٤ ، ص ١٤٩ ، ابن منظور : لسان العرب ، حـ ٣ ، ص ٤٩٠ ، الفيروز ابادى : القاموس المحيط ، حـ ١ ، ص ٢٦٧ ، المعجم الوسيط ، حـ ١ ، ص ٢٦١ ، وقد عرف بهذا الاسم لانه كان فى أيام الدولة الفاطمية سبع فتحات تؤدى الى الجامع الأزهر وبعد زوال الدولة بنيت مكانها عدة مساكن . المقريزى : الخطط : حـ ٣ ، ص ٥٦ .

(١٤٢) المصدر نفسه والجزء والصفحة .

(١٤٣) السراج هو متخذ السرج أو صانعه والحرفة السراجة . حسن الباشا : الفنون الاسلامية ، حـ ٢ ، ص ٥٨٩ ، ويفهم من سياق كلام ابن تغرى بردى أن هذه السوق كانت مخصصة لبيع أدوات الاضاءة . ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة حـ ٤ ، ص ٥١ .

(١٤٤) شمس الدين محمد بن الزيات : الكواكب السيارة فى ترتيب الزيارة فى القرافتين الكبرى والصغرى ، القاهرة ١٩٠٧ م ، ص ٧٦ .

Doris. Behrens-Abou Seif : A circassian Mamluk suburb north of Cairo. aarp, art and archaeology research papers December. 1978. London., P. 17. (١٤٥)

(١٤٦) يفهم من كلام ابن الاخوة أن الغرابيل هى المناخل التى استخدمت فى تصفية الدقيق من الشوائب العالقة به . ابن الاخوة : معالم القرية ص ٢٣٤ .

(١٤٧) انظر الفصل الثانى ص ١٣٠ هامش (٢) .

(١٤٨) طافور : الرحلة ، ص ٦٩ .

(١٤٩) محمد عوض : أسواق القاهرة منذ العصر الفاطمى حتى نهاية العصر المملوكى ، رسالة دكتوراه ص ٢٨٨ ، ص ٢٩٠ ، علاء طه رزق : عامة القاهرة فى عصر دولة المماليك ، رسالة ماجستير ، ص ٤١ .

(١٥٠) ابن الصيرفى : انباء الهصر بأنباء العصر ، تحقيق حسن حبشى دار الفكر العربى . القاهرة : ١٩٧٠ م ص ١٣٣ حوادث ٨٧٦ هـ .

(١٥١) المقريزى : الخطط ، حـ ٣ ، ص ٤٤ ، سعيد عاشور : المجتمع المصرى ص ٨٧ .

(١٥٢) ابن اياس : بدائع الزهور ، حـ ١ ق (٢) ص ٣٦٣ ، المقريزى : الخطط ، حـ ١ ، ص ٢٦٦ ، ابن الحاج : المدخل ، حـ ٢ ، ص ٣٢ ، ص ٥٣ ، قاسم عبده : دراسات فى تاريخ مصر ، ص ١١٠ .

(١٥٣) ابن الصيرفى : نزهة النفوس ، حـ ٣ ، ص ٢٣٦ حوادث ٨٣٥ هـ ، القلقشندى : صبح الأعشى ، حـ ٤ ، ص ٥٧ ، ص ٥٨ ، علاء طه : عامة القاهرة ، رسالة ماجستير ، ص ١٠٢ .

(١٥٤) السخاوى : التبر المسبوك فى ذيل السلوك ، طبعة بولاق ١٨٩٦ م ص ٢٦٠ ، ص ٢٦١ .

(١٥٥) انظر الفصل الثالث .

(١٥٦) المقريزى : الخطط ، حـ ٢ ، من ص ٩٦ الى ص ١٠٠ ، علاء طه : عامة القاهرة ، رسالة ماجستير ، ص ٩٨ .

(١٥٧) ابن اياس : بدائع الزهور ، حـ ٣ ، ص ١٨٢ ، ابن تغرى بردى : النجوم حـ ١٥ ، ص ٩٣ ، ابن الحاج : المدخل ، حـ ١ ، ص ٢٤٥ ، ص ٢٤٦ ، ص ٢٧٢ ، علاء طه : عامة القاهرة ، رسالة ماجستير ، ص ٩٨ .

(١٥٨) تسمية الوكالة جاءت من الكلمة العربية التوكيل واستخدم المصريون هذه الكلمة للدلالة على المحل الذى يبيت فيه التجار بأمتعتهم ، حلمى سالم : حرف وصناعات الأطعمة والأشربة ، رسالة دكتوراه ، ص ١٨٣ ، هامش (٣) ؛ والوكالة تخصص لإيواء التجار ، وخزن بضائعهم ، وهى بناء يحيط بساحة مربعة أو مستطيلة . ادوارد وليم لين : المصريون المحدثون شمائلهم وعاداتهم ، تعريب عدلى نور ١٩٧٥ ، ص ٢٧٥ ، ص ٢٧٦ ، فى وسطها حوض ماء وحوله مخازن نسيجة مسقوفة بالحجر تتحمل الحرائق . كلوت بك : لمحة عامة الى مصر ، ح ١ ، تعريب محمد مسعود ، ص ٤٠٢ ، تعلوها مساكن ، لين : المصريون المحدثون ، ص ٢٧٦ ، لإيواء التجار الغرباء ، كلوت بك : لمحة عامة ، ص ٤٠٢ ، وأحيانا تستعمل هذه المخازن كحوانيت ، وللوكالة باب عام واحد يقفل ليلا ، ويحرسه بواب ، لين : المصريون المحدثون ، ص ٢٠٦ .

(١٥٩) آمال العمرى :المنشآت التجارية ، رسالة دكتوراه ، ص ١٦٦ .

(١٦٠) قوصون الساقى الناصرى من مماليك الناصر محمد بن قلاوون عظمت منزلته عند الناصر ، وأحبه حبا كبيرا ، وزوجه ابنته ولما توفى الملك الناصر تعصب قوصون لابنه أبى بكر حتى مكنه من الحصول على السلطنة ، ثم أخذ قوصون يستبد بأمور الدولة عن طريق النيابة للمنصور أبو بكر ، ثم خلع أبا بكر من السلطنة وأخرجه الى مدينة قوص ببلاد الصعيد وقتله ، وأتا كجك ابن السلطان ولقبه بالملك الأشرف ولكن أمور الدولة كلها صارت فى يده فتذمر منه الأمراء وثارت عليه الطبقات الشعبية ونهبوا اسطبله وخانقاته ، وقبضوا عليه فى عام ٧٤٢ هـ/١٣٤١ م وقيدوه واعتقل بالاسكندرية وقتل ، كان كريما خيرا يفرق فى كل سنة للاضحية ألف رأس غنما وغير ذلك ، ومن آثاره الجامع الخانقاه بباب القرافة وداره بالرميلة تحت القلعة ، وحكره المعروف باسمه . ابن حجر : الدرر الكامنة طبعة حيدر اباد ١٩٢٩ م حـ ٢ ، ص ٣٤٢ ، ص ٣٤٣ ، المقريزى : الخطط ، حـ ٢ ، ص ١٠٤ ، ص ١٠٥ .

(١٦١) Scharabi, Moh. : drei traditionelle handelsanlagen in Kairo : wakalat Al-Bazara, wakalat dul-Fiqar und wakalat al?Qutn. (mitteilungen des deutsbhen archaologischen instituts abteilung Kairo) band 34 1978, P. 159.

(١٦٢) انظر المدخل ص ١٧ هامش (٥) .

(١٦٣) المقريزى : الخطط ، حـ ٣ ، ص ١٥١ ؛
Scharabi : Op. Cit., P. 159.

(١٦٤) Scharabi : Op. Cit., P. 159.

(١٦٥) الجوانية نسبة للأشراف الجوانيين . المقريزى : الخطط ، حـ ٣ ، ص ٢١ ، والجوانية تقع بالقرب من باب النصر على يسار الداخل الى القاهرة ، ثم استثقل الناس قول حارة الروم الجوانية فحذفوا صدر الكلمة وقالوا الجوانية ، ولم يزل الاسم يطلق على الجوانية بشارع الجمالية ، ابن تغرى بردى : النجوم حـ ٤ ، ص ٤٢ هامش (٤) .

(١٦٦) هذا الدرب مقابل باب الجوانية عرف بالأمير عز الدين ايدمر الرشيدى من مماليك الأمير الرشيدى الذى هـ وأيضا من مماليك بيبرس البندقدارى ، وقد سكن عز الدين هذا الدرب وكان معروفا بالعقل وصاحب ثروة وجاه . المقريزى : الخطط ، حـ ٣ ، ص ٧٠ .

(١٦٧) المصدر نفسه والجزء ، ص ١٥٢ .

(١٦٨) الاستادار والاستادارية : لفظ فارسى معناه وكيل الخرج أو المئونة ومعناه الاصطلاحى فى دولة المماليك وظيفة من وظائف أرباب السيوف ، وهى الاشراف على الجاشنكيرية ، وله مطلق التصرف فى تلبية احتياجات بيت السلطان من النفقات وغيرها . القلقشندى : صبح الأعشى ، حـ ٤ ، ص ٢٠ ، حـ ٥ ، ص ٥٧ ، ابن تغرى بردى : النجوم ، حـ ٨ ، ص ٣٢٢ ، هامش (١) .

(١٦٩) ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات ، بيروت ١٩٣٨ م (٩) حـ ٢ ، ص ٢٥١ .

(١٧٠) المقريزى : الخطط ، حـ ٣ ، ص ١٥٢ .

(١٧١) Scharabi : Op. Cit., P. 160.

(١٧٢) وتتكون من ثلاثة أدوار أرضى وأول وطباق علوية تتكون من ثلاثة أدوار ، والمدخل من الكتل الحجرية ، أما الأرضى فيوجد به نافورة من الرخام الملون وهى حديثة . آمال العمرى : المنشآت التجارية ، رسالة دكتوراه ، ص ١٨٨ ، ص ١٦٩ .

(١٧٣) Lane-Poole : Op. Cit., P. 83.

(١٧٤) Scharabi : Op. Cit., P. 160.

(١٧٥) آمال العمرى : المنشآت التجارية ، رسالة دكتوراه ، ص ١٨١ ، ص ١٨٥ .

(١٧٦) المرجع نفسه السابق ، ص ١٨٧ .

(١٧٧) جاءت تسمية فندق من الكلمة اليونانية (Pandokeion) التى كانت تطلق على مثل هذا النوع من المنشآت التجارية ظهرت هذه الكلمة لأول مرة على كتابة أثرية فى مدينة الرملة فى القرن ٤ هـ/١٠ م ، وبعد ذلك بدأت تنتشر فى دمشق، وقد ظهرت فى بلاد الشام قبل ظهورها فى مصر : حلمى سالم : حرف صناعات الأطعمة والأشربة ، رسالة دكتوراه ، ص ١٨٣ ، هامش (٣) ، آدم متز : الحضارة الاسلامية ، جـ ٢ ، ص ٢٨٤ .

(١٧٨) آدم متز : الحضارة الاسلامية ، جـ ٢ ، ص ٢٨٤ .

(١٧٩) انظر ص ٤٧ من هذا الفصل هامش (٨) .

(١٨٠) المقريزى : الخطط ، جـ ٣ ، ص ١٥١ ، ص ١٥٢ .

(١٨١) نييت : القاهرة مدينة الفن والتجارة ، ص ٩٠ .

(١٨٢) أنشاه حسام الدين بلال أحد خدام الملك المغيث صاحب الكرك ، وكان بلال هذا حبشى الجنس ، تدرج فى الخدمة واستقر عند الصالح على بن الملك المنصور قلاوون ، وكان كثير البر والصدقات وله أموال عديدة ، ولما خرج الملك الناصر محمد بن قلاوون لقتال التتار عام ٦٩٩ هـ/١٢٩٩ م سافر معه بلال وقتل . المقريزى : الخطط ، جـ ٣ ، ص ١٤٩ .

(١٨٣) يتوصل الى هذا الحمام من سوق باب الزهومة ويسلك فيه الى حارة العدوية وسمى بهذا الاسم من أجل أن الخليفة الظافر لما قتله نصر بن عباس بنى على المكان الذى دفن فيه مسجد الخلعيين وعرف أيضا بمسجد الخلفاء نصبت هناك خشبة حتى لا يمر أحد من هذا المكان راكبا فعرف بخشيبة تصغير خشبة ، ومازالت هناك حتى زالت الدولة الفاطمية وتولى صلاح الدين السلطنة فأزال الخشيبة وعرف هذا الحى بحى حمام خشيبة . المقريزى : الخطط ، جـ ٣ ، ص ٤٦ .

(١٨٤) حارة العدوية نسبة الى جماعة عدويين نزلوا بتلك الحارة ، وكانت تمتد مساكنها بين حارة الخرنشف والبندقانيين . ويتوسطها اليوم شارع خان أبوطاقية وشارع سوق الصيارف الصغير ، والعدوية هى من أول باب الخشيبة الى أول حارة زويلة . ابن تغرى بردى ، النجوم ، جـ ٤ ، ص ٥٢ هامش (٣) .

(١٨٥) تقى الدين أحمد بن على بن عبد القادر بن محمد المقريزى مؤرخ ولد فى عام ٧٦٩ هـ/١٣٦٧ م . اشتغل فى الفنون ، واختلط بأكابر الناس وتولى منصب، حسبة القاهرة ، ونظم ونثر وألف العديد من الكتب . ومن مؤلفاته : درر العقود

الفريدة فى تراجم الأعيان الفريدة والمواعظ والاعتبار ، وعقد جواهر الاسفاط من أخبار مدينة الفسطاط ، واتعاظ الحنفاء ، والسلوك ، واغاثة الأمة ، توفى عام ٨٤٥ هـ/١٤٤٢ م ، السيوطى : حسن المحاضرة ، حـ ١ ، ص ٣٢١ ، أحمد عبد الرازق : دراسات فى المصادر المملوكية ، ص ١١٦ وما بعدها .

(١٨٦) المقريزى : الخطط ، ص ٣ ، ص ١٥٠ .

(١٨٧) كان يقع بشارع قنطرة الدكة فى نهايته الغربية عند تلاقيه بشارع توفيق حيث كان النيل يجرى قديما فى تلك الجهة قبل أن تظهر الأرض التى عليها بولاق الآن . ابن تغرى بردى : النجوم ، حـ ٩ ، ص ٧٠ هامش (٣) .

(١٨٨) Scharabi : Op. Cit., P. 34.

(١٨٩) المقريزى : الخطط ، حـ ٣ ، ص ١٥٣ .

(١٩٠) يقع هذا الفندق ظاهر المقس ، والمقس كانت ضيعة تعرف بأم دنين ، وسميت المقس لأن العشار وهو المكاس كان فيها يستخرج الأموال ، فقيل له المكس ، ثم قيل المقس ، وأم دنين كلها مترادفة لقرية كانت واقعة على شاطىء النيل وقت أن كان النيل يجرى فى عهد الدولة الفاطمية فى المكان الذى يمر فيه اليوم شارع عماد الدين وميدان المحطة وما بعده الى الشمال بشارع الملكة نازلى . ابن تغرى بردى : النجوم ، حـ ٤ ، ص ٥٣ هامش (٧) .

(١٩١) المقريزى : الخطط ، حـ ٣ ، ص ١٥٣ .

(١٩٢) ابن دقماق : الانتصار لواسطة عقد الأمصار ، ط (١) القاهرة ١٨٩٣م حـ ٤ ، ص ٤٠ ، ص ٤١ . طبعه)

(١٩٣) حلمى سالم : حرف وصناعات الأطعمة والأشربة ، رسالة دكتوراه ، ص ١٨٣ ، هامش (٣) ، وكلمة خان فارسية الأصل من كلمة خانة بمعنى دار أو منزل أو بيت أو حوش . وكتور محمد زعفرانى ، دكتور مرتضى آيات الله زاده « شيرازى » : فرهنك اصطلاحات روز مؤسسة انتشارات أمير كبير تهران ١٩٤٤ م، ص ١٢٢ ، وقد استخدمت كلمة خان منذ أقدم العصور الاسلامية للدلالة على ذلك البناء الهندسى الذى يتكون من العديد من الحجرات التى تحيط ببناء مكشوف ، يضم غالبا طابقين ، الأرضى يحتوى على اصطبلات للدواب ، ومن الخارج حوانيت صغيرة ، أما الأدوار العلوية فكانت مقسمة الى مساكن . آمال العمرى : المنشآت التجارية ، رسالة دكتوراه ، ص ١٤٦ ، وقد تأتى كلمة الخانات ومفردها خانة بمعنى أماكن العبث والاستهتار . المقريزى : السلوك ، حـ ١ ، ص ٥٥٣ ، هامش (٥)

(١٩٤) موضعه اليوم مجموعة المبانى التى تحد من الغرب بشارع المعز لدين الله ومن الشمال والشرق شارع خان الخليلى ومن الجنوب شارع جوهر القائد (السكة الجديدة سابقا) . ابن تغرى بردى : النجو الزاهرة ، حـ ٤ ، ص ٤٣ ، هامش (٣) ، حـ ١١ ، ص ٣٦٤ هامش (١) ، واشتمل هذا الخان على مائة بيت ومسجد كانت تقام فيه شعائر الجمعة ، ومكان هذا الخان على عهد على مبارك وكالة رخا بالخرنجية — على مبارك : الخطط التوفيقية حـ ٢ ، ص ٢٤ .

(١٩٥) المقريزى : الخطط ، حـ ٣ ص ٤٩ .

(١٩٦) موضعه اليوم جامع البيومى وحوض الشرب المجاور له بشارع البيومى قريبا من درب الجبيزة وجامع شرف الدين الكردى . ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، حـ ٤ ، ص ٤٦ هامش (١) .

(١٩٧) المصدر نفسه والجزء والصفحة .

(١٩٨) المقريزى : السلوك ، حـ ١ ، ص ٥٣٣ ، العينى : عقد الجمان ، ص ٤٢٨ ، بيبرس المنصورى : التحفة الملوكية ، ص ٥٩ .

(١٩٩) على مبارك : الخطط التوفيقية ، حـ ٤ ، ص ٤ .

(٢٠٠) المقريزى : الخطط ، حـ ٣ ، ص ١٥١ .

(٢٠١) المصدر نفسه والجزء والصفحة .

(٢٠٢) ان تغرى بردى : النجوم الزاهرة : حـ ١١ ، ص ٣٨٤ ، المقريزى : الخطط ، حـ ٣ ، ص ١٥٢ ، ص ١٥٣ . وهذا الحى يقع بين باب انزهومة وحى السبع خوخ . المقريزى : الخطط ، حـ ٣ ، ص ٥٦ .

(٢٠٣) وظيفة يتحدث متوليها على اصطبل السلطان أو الأمير ، ويتولى أمر ما فيه من الخيل والابل وغيرها مما هو داخل فى حكم الاصطبلات . وهذا اللفظ مركب ، أحدهما عربى وهو أمير ، والثانى فارسى وهو آخور ومعناه المعلف ، فيكون معنى أمير آخور أمير المعلف لانه المتولى لأمر الدواب . المقريزى : السلوك ، حـ ١ ، ص ٤٣٨ ، هامش (٣) ، السبكى : معيد النعم ص ٣٧ .

(٢٠٤) المقريزى : الخطط ، حـ ٣ ، ص ١٥٢ ، ص ١٥٣ .

(٢٠٥) المصدر نفسه والجزء ، ص ١٥١ ، وبالرجوع للقلقشندى : صبح الأعشى لم يذكر سوى خان مسرور أما عن ابن تغرى بردى فقد ذكر بعض الخانات والوكالات والفنادق وان كان مصدره هو المقريزى : الخطط .

(٢٠٦) أنظر المدخل ص ١٢ ، ١٣ ، الفصل الأول ٧٤ ، ٧٥ ، الفصل الثانى ١٣٠ .

(٢٠٧) سعاد ماهر : مساجد مصر ، حـ ٢ ، ص ٩ ، ص ١٢ .

(٢٠٨) دولت عبد الله : معاهد تزكية النفوس فى مصر ، القاهرة ١٩٨٠ ، ص ٢٧٣ .

(٢٠٩) دولت عبد الله : معاهد تزكية النفوس ، ص ٢٧٣ .

(٢١٠) ٧٠٨ هـ — ١٣٠٨ م Lane-Poole : Op. Cit., P. 81.

(٢١١) الدرب الأصفر بشارع وكالة الصابون (التى أطلق عليها المقريزى وكالة قوصون) . على مبارك : الخطط التوفيقية ، حـ ٢ ، ص ٧٠ .

(٢١٢) بيبرس البرجى العثمانى الجاشنكير كان من مماليك المنصور قلاوون، وترقى الى أن وصل الى وظيفة جاشنكير وهو اسم وظيفة مركبة من لفظين فارسيين : احدهما جاشنا أو جاشنى ومعناه الذوق ، والثانى كير ومعناه المتعاطى لذلك ، اى أن المعنى الاجمالى وهو الذى يتذوق الطعام . والجاشنكير موظف مهمته أن يذوق الطعام والشراب قبل أن يتناوله السلطان خشية أن يكون مسموما ، ولذلك كان له حق الاشراف التام على اعداد الطعام والشراب ، ومراقبة من يقومون بذلك والتأكد من اخلاصهم . القلقشندى : صبح الأعشى ، حـ ٥ ، ص ٤٦٠ ، حسن الباشا : الفنون الاسلامية ، ص ٣٤٣ ، وكان بيبرس أشقر اللون مستدير اللحية ، ولما خرج الناصر الى الحج استبد بالملك وتلقب بالمظفر ولم يستمر فى السلطنة مدة طويلة . ابن حجر : الدرر الكامنة ، حـ ٢ ، ص ٥٠٢ ، ص ٥٠٥ ، ص ٥٠٦ .

(٢١٣) أصل الرباط ما يربط فيه الخيول ثم قيل لكل ثغر يدفع أهله عمن وراءهم رباطا ، كما قيل أن الرباط والمرابطة انتظار الصلاة بعد الصلاة والمحافظة عليها ، والرباط هو بيت الصوفية . المقريزى : الخطط حـ ٤ ، ص ٢٩٢ ، ص ٢٩٣ ، وعقب الفتوح الاسلامية الأولى جرت العادة بتشييد مؤسسات عسكرية فى الثغور التى هى موضع المخافة من العدو ، وعرفت تلك المؤسسات باسم الربط ، وكانت تلك الربط أشبه بالقلاع الحصينة ترابط فيها حامية لدفع عادية الأعداء ولما أنشئت المدارس النظامية فى مصر ، تحولت بعض الربط الى مدارس وكان لها صـــفة تعليمية . دولت عبد الكريم : معاهد تزكية النفوس ، ص ٤٣ ، ص ٤٥ ، وقد زال هذا الرباط ، ومكانه اليوم الوكالة التى أنشأها سليمان أغا السلاح دار فى عام ١٢٣٣ هـ/١٨١٧ م ومازال موجودة باسم حوش عطر بشارع الجمالية . ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، حـ ٨ ، ص ١٧٤ هامش (٤) .

(٢١٤) المقريزى : الخطط ، ﺣ ٤ ، ص ٢٧٦ .

(٢١٥) حجة السلطان بيبرس الجاشنكير ، محفظة (٤) حجة (٢٢) .

(٢١٦) المقريزى : الخطط ، ﺣ ٤ ، ص ٢٧٦ .

(٢١٧) شيخ الخانقاه هو الرئيس الأعلى للخانقاه ، وكان يشترط فيه أن يكون ورعا معروفا بعلمه الواسع مراعيا للشرع ، وكانت تسند اليه أعمال ادارية ، كالنظر فى أمر الوقف ، وحضور قراءة وثيقة المنشىء سنويا للتأكد من تنفيذ ما جاء فيها والاشراف على الحفلات الدينية . ودولت عبد الكريم : معاهد تزكية النفوس ، ص ٢٧٧ ، ص ٢٧٨ ، ويعتبر ابن خلدون أحد الذين تولوا مشــيخة الخانقاه البيبرسية بعد وفاة شيخها وذلك فى عام ٧٩١ ﻫ/١٣٨٨ م ، وكان يشترط فى شيخها أن يكون عضوا فى هيئة المتصوفين فيها ، فنزل ابن خلدون يوما واحدا فيها ، وقيد من أعضائها حتى يتوافر فيه هذا الشرط ولكن لم يعرف فى تاريخه أنه زاول التصوف العملى أن ركن الى الزهد والاعتكاف كما كان يفعل المتصوفون فى عصره ، ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، تحقيق على عبد الواحد وافى ط (١) ١٩٦٥ م ، ﺣ ١ ، ص ١٢٠ ، ص ١٢١ . الامام من يؤم ، لكنه فى الخوانق كان من الصوفية وكانت معظم الخوانق تكتفى بامام واحد . دولت عبد الكريم : معاهد تزكية النفوس ، ص ٢٧٨ .

(٢١٨) والخادم يقوم بخدمة شيخ الخانقاه ، ويشترط فيه أن يكون ورعا دينا واسع المعرفة بآداب التصوف والاصطلاحات الصوفية وآداب أهل الخوانق مع توفير أوقات العبادة للصوفية البواب كان يعهد اليه منع من لا أخلاق لهم من دخول الخانقاه ، وأحيانا تسند اليه أعمال اضافية كاوقادة من الخوانق الصغيرة ، وعليه المبيت بالقرب من باب الخانقاه بحيث يسمع من يطرق عليه . السبكى : معيد النعم ، ص ١١٤ ، ص ١١٥ ، ص ١٢٦ ، ص ١٤٤ ، دولت عبد الكريم : معاهدة تزكية النفوس ، ص ٢٧٨ ، ص ٢٧٩ ، ص ٢٨٣ .

(٢١٩) محمد محمد أمين : الأوقاف والحياة الاجتماعية فى مصر ١٩٨٠ م ، ص ٢٥٥ الى ص ٢٥٧ .

(٢٢٠) السبكى : معيد النعم ، ص ١١١ .

(٢٢١) سعيد عاشور : المجتمع المصرى ، ص ١٤٦ .

(٢٢٢) محمد أمين : الأوقاف ، ص ١٩٨ ، ص ١٩٩ .

(٢٢٣) السبكى : معيد النعم ، ص ١١١ .

(٢٢٤) محمد أمين : الأوقاف ، ص ٢١٦ ، ص ٢١٧ .

(٢٢٥) المقريزى : الخطط ، حـ ٤ ، ص ٢٨٥ ، سعيد عاشور : المجتمع المصرى ، ص ١٧٢ .

(٢٢٦) محمد أمين : الأوقاف ، ص ١٩٤ ، ص ١٩٥ .

(٢٢٧) دولت عبد الله : معاهد تزكية النفوس ، ص ٢٨٤ ، محمد أمين : الأوقاف ، ص ١٩٣ .

(٢٢٨) المرجع السابق والصفحة .

(٢٢٩) وثيقة بيبرس الجاشنكير .

(٢٣٠) محمد أمين : الأوقاف ، ص ٢١٣ .

(٢٣١) المقريزى : الخطط ، حـ ٤ ، ص ٢٧٦ .

(٢٣٢) محمد أمين : الأوقاف ، ص ٢١٨ .

(٢٣٣) المقريزى : الخطط ، حـ ٤ ، ص ٢٧٦ .

(٢٣٤) وثيقة بيبرس الجاشنكير .

(٢٣٥) ابن بطوطة : الرحلة ، ص ٣٧ .

(٢٣٦) المصدر نفسه ، ص ٣٧ ، ص ٣٨ .

(٢٣٧) المقريزى : الخطط ، حـ ٤ ، ص ٢٧٤ .

(٢٣٨) وقد اندثر معظمها وخاصة الأدوار العليا ، فقد تلاشت معظم جدرانها ومحتوياتها . سعاد ماهر : مساجد مصر ، حـ ٣ ، ص ١٧٠ .

(٢٣٩) المقريزى : الخطط ، حـ ٤ ، ص ٢٧٧ .

(٢٤٠) نفس المصدر والجزء والصفحة .

(٢٤١) هذا الدرب تجاه خزانة البنود عرف بيمين الدولة راشد العزيزى . المصدر نفسه ، حـ ٣ ، ص ٦٨ .

(٢٤٢) هذا الدرب بجوار المدرسة الجمالية فيما سبق درب راشد ودرب ملوخيا عرف بسيف الدولة نادر الصقلبى ، توفى فى عهد الدولة الفاطمية فى عام ٣٨٢ هـ/٩٩٢ م . المقريزى : الخطط حـ ٣ ، ص ٦٨ .

(٢٤٣) كان من مماليك الناصر محمد ، بعثه السلطان فى عام ٧١٨ هـ/١٣١٨ م الى الحجاز ، ثم جعله استادارا فى عام ٧٣٠ هـ/١٣٢٠ م ثم أضاف اليه الوزارة ، ولما كانت الفتنة بثغر الاسكندرية بين أهلها وبين الفرنجة ، بعث السلطان

بالجمالى اليها وقبض على كثير من الطبقات الشعبية ووسط بعضهم وقطع أيدى جماعة وأرجلهم ، وعاد الى القاهرة بعد عشرين يوما ، وقد سفك دماء كثيرة وفى عام ٧٣٢ هـ/١٣٣٢م صرف عن الوزارة وبقى على وظيفة الاستدارية ، ثم سافر الجمالى الى الحجاز فلما عاد توفى فى عام ٨٣٢ هـ/١٤٢٨ م ودفن بهذه الخانقاه . المقريزى ، الخطط ، حـ ٤ ، ص ٢٣٧ ، ص ٢٣٨ .

(٢٤٤) اندثرت أماكن الصوفية ولم يبق منها ألا القبة التى تعلو قبر منشئها ومكان الصلاة وتعرف الآن بزاوية مغلطاى الجمالى بحارة قصر الشوق بقسم الجمالية بالقاهرة . ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، هـ ٩ ، ص ٦٨ ، هامش (١) .

(٢٤٥) المقريزى : الخطط ، حـ ٤ ، ص ٢٣٧ ، ص ٢٣٨ .

(٢٤٦) سعاد ماهر : مساجد مصر ، حـ ٣ ، ص ١٨٣ .

(٢٤٧) مازال هذه الخانقاه موجودة وتعرف اليوم باسم تربة برقوق بشارع المعز لدين الله (بين القصرين سابقا) . ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، حـ ٧ ، ص ٤١ ، هامش (١) .

(٢٤٨) سعاد ماهر : مساجد مصر ، حـ ٤ ، ص ٣٨ .

(٢٤٩) المقريزى : الخطط ، حـ ٤ ، ص ٢٧٩ ، تولى الحكم فى عام ٧٨٤ هـ/ ١٣٨٢ م ، ويعتبر السلطان الأول من ملوك الجراكسة ، كان شجاعا محبا للفروسية، أبطل كثيرا من المكوس فنشطت الحركة التجارية ، وهبطت أسعار الحاجيات المستوردة مما شجع كثيرا من التجار الأجانب على الاتجار مع مصر ، وقد اتسع ملكه ، وأوصى أن تبنى له تربة يلحق بها مسجد وخانقاه ، وقد نفذ ابنه وصيته فأنشأ المدرسة الجامع الخانقاه البرقوقية ، انظى الفصل الثالث ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، حـ ١١ ، ص ٢٢١ ، سعاد ماهر : مساجد مصر ، حـ ٤ ، ص ٣٧ .

(٢٥٠) سعاد ماهر : مساجد مصر ، حـ ٣ ، ص ١٤ .

(٢٥١) حجة وقف السلطان برقوق ، محفظة ١/٩ ، حجة (٥١) .

(٢٥٢) المقريزى : الخطط ، حـ ٤ ، ص ٢٧٩ .

(٢٥٣) يقع هذا الجبل فى الجهة الجنوبية من القاهرة بينها وبين الفسطاط فى حى السيدة زينب وقد انشىء عليه جامع احمد بن طولون ، وينسب جبل يشكر الى يشكر بن جزيلة من لخم وهى احدى القبائل العربية التى نزلت عند الفتح بهذا

الجبل ، ويقال ان الله تعالى كلم موسى عليه السلام فوته . القلقشندى : صبح الأعشى ، حـ ٣ ، ص ٣٤٤ ، وعلى هذا الجبل كانت تنصب المجانيق التى تجرب قبل ارسالها الى الثغور . المقريزى : الخطط ٤ حـ ١ ، ص ٢٢١ ، ويقال ان هذا الجبل قطعة من الجبل المقدس وكان يصلى عليه الصالحون . السيوطى : حسن المحاضرة ٤ حـ ١ ، ص ٨٥ .

(٢٥٤) أنشاها الملك الصالح نجم الدين أيوب فى عام ٦٤٠ هـ/١٢٤٢ م آثار هذه المناظر ظلت باقية حتى زمن المقريزى ٧٦٩ هـ/١٣٦٧ م ، وقد كان من الممكن رؤية باب زويلة والقاهرة وقلعة الروضة والجيزة من فوقها ، ومناظر الكبش تعد من أجمل متنزهات القاهرة المملوكية فى تلك الفترة واروعها بناء وتشييدا وقد نزل بها أبو العباس احمد العباسى لما جاء من بغداد وبايعه الملك الظاهر بيبرس بالخلافة ، وقد هدمت هذه المناظر فى عام ٧٢٣ هـ/١٣٢٣ م فى عهد الملك الناصر محمد بن قلاوون وأعاد بناءها وتجديدها وأنشأ بها اصطبلا للخيول وقد اتخذها بعض أهل القاهرة مكانا للسكنى وذلك فى عام ٧٧٥ هـ/١٣٧٣ م . المقريزى : الخطط ، حـ ٣ ، ص ٢١٦ ، الى ص ٢١٨ .

(٢٥٥) سعاد ماهر : مساجد مصر ، حـ ٣ ، ص ١٤٣ .

(٢٥٦) كان الأمير علم الدين سنجر الجاولى من مماليك حاول أحد أمراء الملك الظاهر بيبرس ثم اتصل بعده ببيت السلطان المنصور قلاوون وأصبح من مماليكه ، وترقى الى أن صار مقدما بالشام ثم واليا لغزة وصادفته محن انتهت فى عام ٧٢٨ هـ/١٣٢٧ م بتعيينه أميرا مقدما بمصر . وكان من المشتغلين بالعلم متخصصا فى الحديث وفى فقه الامام الشافعى . سعاد ماهر : مساجد مصر ، حـ ٣ ، ص ١٤٣ .

(٢٥٧) المرجع السابق والجزء ، ص ١٤٤ .

(٢٥٨) الأمير علاء الدين أقبغا بن عبد الواحد من مماليك الناصر محمد بن قلاوون أعجب به فجعله استادارا للسلطان فى عام ٧٤٢ هـ/١٣٤١ م ومات الناصر وقام من بعده ابنه الملك المنصور فقبض عليه وأخذ سائر أملاكه من الخيل والجمال والجوارى والقماش والأسلحة ، وقتل فى آخر عام ٧٤٤ هـ / ١٣٤٣ م ، وكان يتصف بالظلم والطمع ، جمع من الأموال شيئا كثيرا وأقام جماعة من أهل الشر لتتبع أولاد الامراء وأخذ ما معهم : المقريزى : الخطط ، حـ ٤ ، من ص ٢٢٥ الى ص ٢٢٧ .

(٢٥٩) المصدر نفسه السابق والجزء .

(٢٦٠) أحمد رمضان : المجتمع الاسلامى فى بلاد الشام ، ص ١٥٥ .

(٢٦١) أنظر ص ٦٠ هامش (٥) من هذا الفصل .

(٢٦٢) محمد أمين : الأوقاف ، ص ٢١٩ .

(٢٦٣) مارسية : دائرة المعارف الاسلامية ، بدون تاريخ ، م (١٠) ، مادة ربط ، ص ٢١ ، ص ٢٣ .

(٢٦٤) المقريزى : الخطط ، حـ ٤ ، ص ٢٩٣ ، ص ٢٩٤ .

(٢٦٥) كانت أرضا زراعية تعرف ببركة المعافر وحمير . وكان فى شرقها جنات تعرف بالحبش فنسبت اليها ، وتلك الجنات تعرف بقتادة بن قيس بن حبشى الصدفى، شهد فتح مصر . وهى من أجمل متنزهات القاهرة ، وهذه البركة موقعها اليوم منطقة الأراضى التابعة لزمام تركة الطين الموصل بين مصر القديمة ودير الطين ، ومن الجنوب باقى أراضى ناحية البساتين . ومن الشرق سكن قرية البساتين والجبل الشرقى ومن الشمال صحراء جبانة مصر وجبل الرصد الذى يعرف اليوم بجبل اصطبل عنتر ثم حدود أثر النبى . القلقشندى : صبح الأعشى ، حـ ٣ ، ص ٣٣٦ ، هامش (٢) ، المقريزى ، الخطط ، حـ ٣ ، ص ٢٤٧ .

(٢٦٦) المقريزى : الخطط ، حـ ٤ ، ص ٢٩٢ .

(٢٦٧) يقع باب الفتوح خارج حارة بهاء الدين أمام باب النصر فيقع بالقرب من وكالة قيسون وقد أنشأها الأفضل بن أمير الجيوش . القلقشندى : صبح الأعشى ، حـ ٣ ، ص ٣٤٩ .

(٢٦٨) المقريزى : الخطط ، حـ ٤ ، ص ٢٩٤ ، ص ٢٩٥ .

(٢٦٩) السيوطى : حسن المحاضرة ، حـ ٢ ، ص ١٩٥ ، المقريزى : الخطط ، حـ ٤ ، ص ٢٩٥ .

(٢٧٠) الملك الأشرف شعبان بن حسين ٧٦٤هـ/١٣٦٣ م .
Lane-Poole : Op. Cit., P. 81.

(٢٧١) المقريزى : الخطط ، حـ ٤ ، ص ٢٩٦ .

(٢٧٢) ليفى بروفنسال : دائرة المعارف الاسلامية ، م (١٠) مادة زاوية ، ص ٣٣١ .

(٢٧٣) أحمد رمضان أحمد : المجتمع الاسلامى فى بلاد الشام ، ص ١٥٥ .

(٢٧٤) انظر ابن أيبك الدوادارى : كنز الدر وجامع الغرو حـ ٩ وهو الدر الفاخر فى سير الملك الناصر تحقيق هانس روبرت رويمر ، القاهرة ، ١٩٦٠ ، ص ٣٩١ .

(٢٧٥) الأدفوى : الطالع السعيد الجامع لأسماء نجباء الصعيد ، طبعة ١٩١٤ ص ٤٠٠ ، ص ٤٠١ ، ابن حجر : الدرر الكامنة ، حـ ١ ، ص ١٤ ، ابن العماد : شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ، مكتبة القدس ، ط (١) ١٩٣١ ، حـ ٧ ، ص ١٩٧ .

ابن اياس : بدائع الزهور ، حـ ٣ ، ص ١٠٧ ، السبكى : معيد النعم ، ص ١١٣ ، ابن الفرات ، تاريخ ابن الفرات م (٩) ، حـ ١ ، ص ٢٥ .

(٢٧٦) لطفى أحمد وسائل الترفيه فى عصر سلاطين المماليك رسـالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب جامعة عين شمس ١٩٨٧ ص ٥٨ ، ص ٥٩ .

(٢٧٧) الأدفوى : الطالع السعيد ، ص ٤٠٠ ، ص ٤٠١ .

(٢٧٨) لطفى أحمد : وسائل الترفيه ، رسالة ماجستكر ، ص ٦٠ .

(٢٧٩) ابن العماد : شذرات الذهب ، حـ ٧ ، ص ١٩٧ .

(٢٨٠) المصدر نفسه والجزء ، ص ٥٤ .

(٢٨١) المصدر نفسه والجزء ، ص ١٩٧ ، لطفى أحمد : وسائل الترفيه ، رسالة ماجستير ، ص ٦٢ .

(٢٨٢) المصدر نفسه والجزء ، ص ١٦٣ .

(٢٨٣) ابن حجر : الدرر الكامنة ، حـ ١ ، ص ١٤ .

(٢٨٤) ابن اياس : بدائع الزهور ، حـ ٣ ، ص ١٠٧ .

(٢٨٥) ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات ، م (٩) ، حـ ١ ، ص ٢٥ .

(٢٨٦) المقريزى : الخطط ، حـ ٣ ، ص ٤٩ الى ص ٥١ .

(٢٨٧) انظر ص ٤٨ هامش (١) من هذا الفصل .

(٢٨٨) المقريزى : الخطط ، حـ ٣ ، ص ١٥٦ .

(٢٨٩) تنسب لجماعة الاشراف الحسينين الذين قدموا من الحجاز فى أيام الملك الكامل ابن العادل ، ونزلوا بها واستوطنوها ، وبنوا بها المدابغ وصنعوا الأديم ، ثم سكنها الأجناد وبنوا بها المبانى العظيمة ، وكانت حارة كبيرة تقع خارج

سور القاهرة بالقرب من باب الفتوح ويتوسطها اليوم من الجنوب الى الشمال شارع الحسينية وشارع البيومى من باب الفتوح الى ميدان الأمير فاروق (شارع الجيش) . القلقشندى : صبح الأعشى ، حـ ٣ ، ص ٣٥٥ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، حـ ٤ ، ص ٤٥ ، هامش (٢) .

(٢٩٠) Doris : Op. Cit., P. 17.

(٢٩١) المقريزى : الخطط ، حـ ٣ ، ص ١٧٣ ، انظر الفصل الثانى .

(٢٩٢) امل احمد أمين المصرى ، حى الحسينية فى العصرين المملوكى والعثمانى دراسة حضارية وأثرية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، ١٩٩٠ ، جامعة القاهرة كلية الآثار ، ص ١٥١ .

(٢٩٣) لاق الشىء يلوقه لوقا ، ولوقه لينه وهذه الأرض لما انحسر عنها ماء النيل كانت ارضا لينة والى الآن فى ارض مصر اذا ما نزل عليها ماء النيل لا تحتاج الى الحرث للينها بل تلاق لوقا المقريزى : الخطط ، حـ ٣ ، ص ١٨٩ ، ص ١٩٠ ، وقد ظهرت ارض اللوق فى عهد الدولة الفاطمية والأيوبية كطرح بحر ثم اضيفت اليها طروحات اخرى فى أوائل عهد دولة المماليك البحرية ، وقد بدأت عمارة اللوق منذ عهد الخديو اسماعيل واكتظت بالمبانى والعمائر حتى صارت كلها مشغولة بالدور والقصور . سعاد ماهر ، مساجد مصر ، حـ ٥ ص ١٤ ، وقال عنها القلقشندى « سكنها رعاع الناس واوباشهم » القلقشندى : صبح الأعشى ، حـ ٣ ، ص ٣٥٨ .

(٢٩٤) ليو الافريقى : وصف افريقيا ، ص ٥٨٣ .

(٢٩٥) الاسم الصحيح لبولاق هو « بيلاق » وهى الأرض المرتفعة المطلة على النهر ، أنشأ الخليفة المعز دارا لصناعة السفن فى منطقة أم دنين ، وفى عهد الحاكم أقام مسجدا فى تلك المنطقة ، وأصبحت هذه المنطقة آهلة بالسكان بعد ان كانت دار صناعة فقط وعرفت باسم المقس ، ولما انحسر ماء النيل عن القاهرة امتلات المنطقة بالرمال وأصبح ماء النيل لا يمر بهذه المنطقة الا فى أيام الفيضان وعرفت منذ ذلك الوقت باسم بولاق وكان ذلك فى عام ٧١٣ هـ/١٣١٣ م وأقبل اهل القاهرة على عمارتها وسكنها الأمراء والجند والكتاب والتجار والطبقات الشعبية . المقريزى : الخطط ، حـ ٣ ، ص ٢١٢ ، ص ٢١٣ ، سعاد ماهر مساجد مصر ، حـ ٥ ، ص ١٧ ، ص ١٨ .

(٢٩٦) ومن هؤلاء محمد بن محمد بن عبد الرحمن الشريف ولد فى عام

٨٢٨ هـ/١٤٢٤ م ببولاق واتخذ الحباك حرفة له . السخاوى : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، طبعة ١٣٥٤ هـ ، حـ ٩ ، ص ٢٢٧ .

(٢٩٧) من اشهر مزارات القرافة قبر الامام ابى عبد الله محمد بن ادريس الشافعى الذى توفى فى عام ٢٠٤ هـ/٨١٩ م بالفسطاط ، وقبر الامام الليث بن سعد . المقريزى : الخطط ، حـ ٤ ، ص ٣٤٥ ، ص ٣٤٧ .

(٢٩٨) على سبيل المثال مقبرة ذو النون بن ابراهيم الاخميمى ، وهذه المقبرة مشهورة باجابة الدعاء ، وكان ذو النون ذا علم وحكمة . ابن الزيات : الكواكب السيارة ، ص ٢٣٣ .

(٢٩٩) محمد حمزه اسماعيل : قرافة القاهرة فى عصر سلاطين المماليك ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة القاهرة ، كلية الآثار ١٩٨٧ ، ص ١٨١ ، ص ١٨٢ .

(٣٠٠) ومن أشهر الربط ، رباط بنت الخواص ، ورباط الأشراف ، ورباط الأندلس ، ورباط ابن المكارى ، ورباط الحجازية ، ورباط رياض ، انظر المقريزى : الخطط ، حـ ٤ ، ص ٣٢٣ ، ص ٣٣٤ .

(٣٠١) المصدر نفسه والجزء ، ص ٣٣٣ .

(٣٠٢) محمد حمزه : قرافة القاهرة ، رسالة ماجستير ، ص ١٨١ ، ص ١٨٢ .

(٣٠٣) عرف جامع الأولياء فى العصر الفاطمى باسم جامع القرافة وكان موضعه عند فتح مصر يعرف بحى المغافرة ، وهو مسجد بناه عبد الله بن مانع وعرف بمسجد القبة ، وكان القراء يحضرون فيه ثم بنى عليه المسجد الجديد والذى أنشأته السيدة المعزية وذلك فى عام ٣٦٦ هـ/٩٧٦ م ، وهى أم العزيز بالله ، وقد وجد بهذا الجامع بستان لطيف وصهريج ، كما كان جماعة من الرؤساء يلزمون النوم بهذا الجامع ويجلسون للحديث ، أما اليوم فيعرف جامع الأولياء باسم « حوش عيسى » ، وقد زال ولم يبق منه الا آثار بعض جدرانه ، المقريزى : الخطط ، حـ ٤ ، ص ١٢٠ ، ص ١٢١ ، سعاد ماهر : مساجد مصر ، حـ ١ ، ص ٢٩٥ ، ص ٢٩٨ .

(٣٠٤) المقريزى : الخطط ، حـ ٤ ، ص ٣١٩ .

(٣٠٥) القرافة ما كان منها فى سفح الجبل يقال له القرافة الصغرى ، وما كان منها فى شرقى مصر بجوار المساكن يقال له القرافة الكبرى ، المقريزى : الخطط ، حـ ٤ ، ص ٣١٧ .

(٣٠٦) محمد حمزه : قرافة القاهرة ، رسالة ماجستير ، ص ١٨٦ .

(٣٠٧) هو يلبغا بن طابطا الساقى اليحياوى الناصرى ، الحق أبوه بالخدمة عند الملك الناصر محمد ، أما هو فقد تقدم وحظى بمركز مرموق عند الناصر ، وكان الناصر يرسل له الخيول بسروجها المزركشة ، ولما مرض الناصر كان يلبغا يقوم بتمريضه ، ثم قبض قوصون على يلبغا وأفرج عنه بعد فترة ، وقد تولى يلبغا نيابة حماه ثم حلب ثم دمشق ، ولما أراد الخروج منعه البعض وقبض عليه مرة ثانية وارسل للقاهرة وقتل فى عام ٧٤٨ هـ/١٣٤١ م ، وكان كثير التلاوة للقرآن ، شديد العطف على الفقراء . ابن حجر : الدرر الكامنة ، حـ ٤ ، ص ٤٣٦ ، ص ٤٣٧ .

(٣٠٨) كان من مماليك الناصر وهو صبى ، كما كان يميل اليه كثيرا ، فأمره فى عام ٧١٢ هـ /١٣١٢ م وتوفى فى عام ٧١٦ هـ/١٣١٦ م ، وكان مفرط الجمال . المصدر نفسه ، حـ ٢ ، ص ٢٢٤ .

(٣٠٩) المقريزى : الخطط ، حـ ٤ ، ص ٣٢٠ .

(٣١٠) هو أبو الحسن محمد بن أحمد بن جبير الكنانى ، الاندلسى الشاطبى البلنسى ولد فى بلنسة عام ٥٣٩ هـ/١١٤٤ م ، وقد شغف بعلوم الدين فسمعها من أبيه فى شاطبه ، وأخذ القرآن عن أبى الحسن ، وقد قامت شهرته على كتابه الذى عرف باسمه وهو « رحـــــلة ابن جبير » وبدأ الرحلة فى عام ٥٧٨ هـ/١١٨٢ م وختمها فى عام ٥٨١ هـ/١١٨٥ م . وكتابه حافل بالمشاهد والتجارب التى اكتسبها فى أثناء تجواله فى مختلف البلدان ، وقد استرعى اهتمام المستشرقين لما له من قيمة نفيسة ، توفى فى عام ٦١٤ هـ/١٢١٧ م فى آخر رحلة قام بها الى مصر والاسكندرية ، انظر رحلة ابن جبير ، بيروت ١٩٦٨ م ، ص ٥ .

(٣١١) المصدر نفسه ، ص ١٩ ، الى ص ٢٢ .

(٣١٢) ابن شاهين : زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك ، طبعة ١٨٨٢ ، ص ٢٧ .

(٣١٣) ابن سعيد : المغرب فى حلى المغرب ، ص

(٣١٤) انظر Dopp : Op. Cit., PP. 34 — 35.

(٣١٥) البلوى المغربى : رحلة البلوى ، ص ٦٠ .

(٣١٦) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، حـ ٧ ، ص ٢٤٢ .

(٣١٧) سعيد عاشور : المجتمع المصرى ، ص ٣٨ .

(٣١٨) القاضى المرتضى صفى الدين على بن قريش المخزومى احد كتاب ديوان الانشاء فى أيام السلطان صلاح الدين يوسف قتل شهيدا فى عكا فى عام ٥٨٦ هـ/١١٩٠ م ودفن بالقدس . المقريزى : الخطط ، حـ ٣ ، ص ١٤٠ ، وبالرجوع الى ابن دقماق فى كتابه الانتصار حـ ٤ ، ص ٣٧ ، الى ص ٤٠ فى ذكره للقياسر لم يذكر هذه القيسارية ، كذلك القلقشندى فى صبح الأعشى اما عن ابن تغرى بردى فى كتابه النجوم الزاهرة فقد ذكرها وكان مصدره المقريزى فى كتاب الخطط .

(٣١٩) المقريزى : الخطط ، حـ ٣ ، ص ١٤٠ .

(٣٢٠) المصدر نفسه والجزء ، ص ١٤٤ .

(٣٢١) انظر ص ٦٠ هامش (٤) من هذا الفصل .

(٣٢٢) المقريزى : الخطط ، حـ ٣ ، ص ١٤٤ ، ص ١٤٥ .

(٣٢٣) انظر أسواق القاهرة من ص ٣٠ الى ص ٤٧ (من هذا الفصل) .

الفصـــل الثـــانى

الوضـع الاقتصـادى للعـامة وسياســة الدولة حيـالهم

الوضع الاقتصادى للطبقات الشعبية وسياسة الدولة حيالهم

- حرف وصناعات الطبقات الشعبية
- نظام طوائف الحرف
- صـــــفار التجـــــار
- الشطار والعيارون والحرافيش وأهل الفتوة
- المنقطعون للعبادة

يمكن الوقوف على الوضع الاقتصادى للطبقات الشعبية فى القاهرة ابان العصر المملوكى فى ضوء النظام الاقطاعى السائد فى تلك الآونة(١) ، فقد كانت الدولة المملوكية يسودها النظام الاقطاعى الذى يميزه وجود طبقتين احداهما تمثل الثراء والبذخ والأخرى مترديه فى الفقر والعوز ، نتيجة سوء الأحوال الاقتصادية والأوضاع الاجتماعية (٢) ، وفى ظل هذا النظام استأثر المماليك بكل خيرات البلاد ولم يتركوا لأهلها سوى الفتات(٣) ، وحياة الفقر والفاقة(٤) .

ومن مظاهر القهر الاقتصادى الذى تعرضت له الطبقات الشعبية فى ذلك العصر احتكار الدولة التجارى لبعض السلع الأساسية وتحديد سعرها بما لا يتناسب مع القدرات الشرائية لهذه الطبقات(٥) ، وقد زادت وطأة المعاناة الاقتصادية فى دولة المماليك الثانية (بدأت فى عام ٧٨٤ هـ/١٣٨٢ م)(٦) نظرا لتعدد الفتن والاضطرابات الداخلية وبخاصة فى أواخر هذا العصر مما أثر على الوضع الاقتصادى تأثيرا سلبيا . ومن أشهر هذه الاضطرابات والفتن الداخلية ما حدث فى عام ٨٩٨ هـ/١٤٩٢ م حين ثار المماليك مطالبين السلطان الأشرف قايتباى (٨٧٢ هـ/ ١٤٦٧ م) بصرف رواتبهم ، فاضطربت الأحوال فى القاهرة وأغلقت الحوانيت والأسواق وخشى الناس من وقوع فتنة من جراء ذلك وفى عام ٩٢١ هـ/١٥١٥ م حينما نودى فى العسكر بالخروج لمواجهة العثمانيين ، نزل المماليك من القلعة وهجموا على

الحـارات والبيوت واعتدوا على الناس ، وقد أثرت مثل هذه الاضطرابات فى الحالة الاقتصادية للقاهرة اذ أغلقت الطواحين واختفى الخبز من الأسواق ووقع القحط بين الناس فضـجت الطبقات الشعبية وزادت أحوالها الاقتصادية سوءا وهكذا أسهمت الحروب الداخلية فى تردى الحالة الاقتصادية للطبقات الشعبية ، أما الحروب الخارجية فمنها ما كان بين المماليك وشاه سوار من أمراء التركمان من حروب على الحدود الشمالية للدولة وذلك فى عام ٧٨٢ هـ/١٤٦٧ م ومن هذه الحروب الداخلية أيضا ما دار بين العثمانيين ودولة المماليك فى عامى ٨٩٠ هـ/١٤٨٥ م و ٨٩١ هـ/١٤٨٦ م و ٨٩٣ هـ/١٤٨٧ م ، فقد كانت هجمات العثمانيين تكلف الدولة نفقات طائلة مما أثقل كاهل خزانة الدولة الأمر الذى زاد الوضع الاقتصادى سوءا(٧) ، وهو الأمر الذى دفع بعض الطبقات الشعبية الى الانضمام الى فئة الشطار والعيارين(٨) ، كما اتجه البعض الآخر من أصحاب الموهبة الى قرض الشـعر كوسيلة للتكسب الى جانب حرفهم الأصلية(٩) ، وجاء شعرهم انعكاسا لحالتهم الاقتصادية ، ومعبرا عن مظاهر الفقر والمعاناة اليومية التى اتصفت بها حياتهم فى تلك الفترة(١٠) . وقد انضم البعض منهم الى صفوف الفتوة وانخرط البعض الآخر فى سلك التصـوف بلحاقهم بالخوانق والربط كوسيلة للتحلل من وطأة ما يعانونه من ظروف سياسية واقتصادية سيئة(١١) .

وقد كانت العلاقة بين السلطان والطبقات الشعبية ترتبط بالأحوال الاجتماعية والظروف السياسية والاقتصادية التى تمر بها الدولة ، ذلك بالاضافة الى طبيعة السلطان ذاته وميوله واتجاهاته فى الحكم ، وكانت الضـرائب مؤشـرا مهما يعكس طبيعة هذه العلاقة ، وغالبا ما كان فرض الضرائب سببا من الأسباب الأساسية

فى إثارة الطبقات الشعبية حتى وان كان فرضها مرتبطا بتجهيز الجيش للدفاع عن البلاد(١٢) .

ففى عام ٨٩٢ هـ/١٤٨٦ م احتاج السلطان قايتباى الى أموال لاخراج حملة ضد العثمانين ، فأصدر أوامره الى المحتسب بفرض بعض الأموال على التجار ، ولكن التجار ضجوا من ذلك(١٣). ومن المكوس التى استحدثها السلطان قايتباى للغرض نفسه مكس الغلة الذى فرضه فى عام ٩٠١ هـ/١٤٩٥ م وهو عبارة عن نصف درهم فضة على بيع الغلال وقد تزايد وأصبح بعد ذلك نصفين من الدراهم(١٤) .

كما أصدر السلطان قانصوه الغورى فى عام ٩٠٧ هـ/١٥٠١ م اوامره بأخذ ريع سنة كاملة على الأوقاف الى جانب اجرة عشرة أشهر كاملة من البيوت والربوع والحوانيت والحمامات والغيطان والمراكب ، وذلك للانفاق على الجند ، فثارت الطبقات الشعبية على فرض مثل هذه الضرائب وأغلقت الحوانيت وتعطلت حركة البيع والشراء وشكت الطبقات الشعبية للسلطان مما ادى الى ثورة المماليك عليهم ، فقتل بعضهم وجرح البعض الآخر ونهب الزعر عدة دكاكين ، فلما تزايد الأمر وكادت القاهرة أن تخرب ، نادى السلطان بالأمان وفتح الأسواق وخفض أجرة البيوت والدكاكين ثلاثة أشهر فسكن الحال قليلا(١٥) .

وبالاضافة الى الضرائب المباشرة التى كان يفرضها السلطان على التجار فى صورة اتاوات ، فقد كان السلطان الغورى يفرض نسبة معينة من الخسارة فى بيع السلع تبلغ ثلث سعرها كنوع من الضريبة غير المباشرة الأمر الذى أدى الى اغلاق الأسواق آنذاك لعدة ايام وكان ذلك فى عام ٩١٧ هـ/١٥١١ م(١٦) .

وقد كان بعض السلاطين يفرضون المكوس ثم يتراجعون عنها تحت ضغط ما تقوم به الطبقات الشعبية من حركات تمرد وعصيان وذلك كما حدث فى عام ٧١٥ هـ/١٣١٥ م حينما أصدر السلطان الناصر محمد بن قلاوون أوامره بالغاء المكوس المفروضة على الطبقات الشعبية والتى أثقلت كاهلهم(١٧) ، كما أبطل السلطان قانصـــوه الغورى فى عام ٩١٩ هـ/١٥١٣ م المكوس التى كانت تؤخذ على القمح والبطيخ وسائر الغلال(١٨) .

ومن الضرائب التى فرضها السلطان الغورى على الباعة الجائلين ما عرف باسم « المشاهرة والمجامعة »(١٩) وهى ضريبة تدفع للمحتسب كل شهر يوردها للســـلطان وكان ذلك فى عام ٩٢١ هـ/١٥١٥ م ، وقد اضطر هؤلاء الباعة الى تعويض قيمة هذه الضريبة عن طريق رفع أسعار السلع فاشتد الغلاء ، حتى اضطر السلطان الى الغائها فى عام ٩٢٢ هـ/١٥١٦ م(٢٠) .

وغالبا ما كان السلطان يتخذ موقفا سلبيا ازاء ما يوقعه والى القاهرة من مظالم على الطبقات الشعبية ، ففى عام ٧٢٠ هـ / ١٣٢٠ م وفى عهد الناصر محمد بن قلاوون ارتفعت الأسعار وكثر الزغل(٢١) فى النقود فزاد الغــلاء واغلقت الباعة الحوانيت ، وتوقفت حركة البيع والشراء(٢٢) ، فاعتبر والى القاهرة ذلك نوعا من التمرد وضرب كثيرا من الباعة ، فتعنتت الطبقات الشعبية وظلت على موقفها واستمر اغلاق الحوانيت ، كما امتنع تجار القمح عن بيعه لأصحاب المطاحن والمخابز ، وحينما عاد السلطان الى القاهرة شكت له الطبقات الشعبية ما بها ، فاكتفى بأن وعدهم خيرا(٢٣) . وفى عام ٨٧٩ هـ / ١٤٧٤ م أمر السلطان قايتباى بسك عملة ذات قيمة جديدة أعلى من قيمة العملة القديمة ، ليحصل على الفرق بين السعرين مما خلق حالة من عدم الاستقرار فى الأسواق ، وخسر الناس الكثير من الأموال(٢٤) .

وقد كان للظروف الاقتصادية أثر مهم فى تحديد سياسة الدولة حيال الطبقات الشعبية فى القاهرة ابان العصر المملوكى ، كما كان تدهور الأحوال الاقتصادية ذريعة يستغلها الأمراء والولاة فى كثير من الأحيان لاحكام قبضتهم على مختلف مظاهر الحياة فى القاهرة فى تلك الآونة فحينما مرت القاهرة بأزمة اقتصادية طاحنة فى عام ٧٢٨ هـ/١٣٢٧ م استغل الأمير قدادار والى القاهرة ذلك ، فاشتد بأسه على أهلها ، وانطلقت يده فى سائر الناس ، وفرض مزيدا من الضرائب ، وعين له نائبا من بطالى الحسينية يقوم بجباية الضرائب عنوة من الطبقات الشعبية فى القاهرة ، وفى هذه الفترة قامت الطائفة المعروفة بالمستصنعين (٢٥) بكثير من مظاهر الفساد ، وهددوا أرباب الأموال ، كما أصدر الوالى أيضا اوامره باغلاق الحوانيت بعد العشاء ومنع السير فى الأسواق ليلا ، وأقام هذا الأمير على كل حارة دربا على أن يلزم أهلها باقامته كمظهر من مظاهر تسلطه على القاهرة فى تلك الآونة(٢٦) .

وكلما اشتدت وطأة الأزمة الاقتصادية أو تفشت بعض الأوبئة والمجاعات ، كانت الدولة فى بعض الأحيان تتخذ موقفا ينتقص من حقوق الطبقات الشعبية ، يبلغ فى بعض الأحيان حد الطمع فى حقوق الورثة(٢٧) وكانت الطبقات الشعبية تثور فى بعض الأحيان فى وجه المحتسب الذى غالبا ما يكون سببا فى تعرضهم للظلم ورفع أسعار السلع الضرورية لهم ففى عام ٧٨٢ هـ/ ١٣٨٠ ارتفع سعر الغلال ولجأ كثير من الناس الى تخزينها طمعا فى رفع سعرها مما يعود عليهم بالفائدة الأمر الذى يعود بالضرر على الطبقات الشعبية فلجأت الى السلطان واستغاثوا به لرفع الظلم عنهم . وعزل المحتسب وتعيين آخر بدلا منه(٢٨) .

واستشرت فى دولة المماليك الثانية ارتباط تولى بعض الوظائف عن طريق الرشوة أو ما يطلق عليه فى ذلك العصر

« البذل والبرطلة »(٢٩) ، وقد أصبحت هذه الرشوة حقا مكتسبا بعد ذلك ، بحيث أصبح التأخر عن دفعها يعرض باذلها للسجن والعقاب . وكان من يصيبه الثراء من الطبقات الشعبية . بطريقة أو باخرى يستطيع بفضل ما له أن ينتقل الى طبقة الحكام لفساد الادارة فى أواخر العصر المملوكى .

وهناك حالات تولى فيها أفراد من الطبقات الشعبية بعض المناصب الادارية المهمة وذلك نحو شرف الدين بن على الجيزى أحد باعة السكر والذى عينه السلطان برقوق محتسبا فى عام ٨٠٨ هـ/١٤٠٥ م مثالا سيئا لعلاقة المسئول بطبقته التى ينتمى اليها(٣٠) . وتولى حد الحلوانية ويدعى على على بن ابى الجواد وظيفة ناظر الأوقاف فى عام ٨٠٩ هـ/١٤٠٦ م ، وهو من السوقة وأبوه نجار ، ثم عمل فى صناعة الحلوى وأطلق على نفسه اسم أبو الجود ، واستمر على ذلك حتى تولى نظارة الأوقاف ، فأغلق محل الحلوى(٣١) .

ولم يقتصر دور البذل والبرطلة على تولى الوزارة أو الحسبة بل تجاوز ذلك ليتحقق من خلاله تولى « مشيخة الحرافيش » فقد تولى شخص يدعى حسن هذا المشيخة بعد عزل آخر اسمه أبو بكر وذلك ببذل المال وكان ذلك فى عام ٨٥٠ هـ/١٤٤٦م(٣٢) وللسبب نفسه ايضا استقر القيم محمد على الفالاتى عوضا عن الامام شمس الدين فى رئاسة المشيخة وذلك فى عام ٨٥٢ هـ/ ١٤٤٨ م(٣٣) ، وايضا الشمس محمد البباوى الذى تقرب من السلطان خشقدم (٨٦٥ هـ — ٨٧٢ هـ / ١٤٦١ ، ١٤٦٧ م) حتى اصبح وزيرا له ، وقد اعتبر ذلك احد مساوىء هذا السلطان ، وكان البباوى طباخا اميا لا يقرأ ولا يكتب وفى مدة ولايته صادر جماعة من التجار فضلا عن أنه كان يقتحم البيوت على الناس

ويستولى على أموالهم ، وهناك مثال آخر لقصاب يدعى قاسم شغيته تولى منصب الوزارة فى عام ٨٧٠ هـ/١٤٦٦ م بعد أن دفع مبلغ عشرين ألف دينار(٣٤) .

وقد يكون تولى بعض الأفراد الذين ينتمون الى الطبقات الشعبية نقمة على الطبقة التى ينتمى اليها خاصة اذا كان هدفه الأساسى هو جمع المال والتزلف الى السلطان وحاشيته ، وخير مثال على ذلك محمد بن العظمة الذى كان فراء وعين فى منصب ناظر الأوقاف فى عام ٨٨٧ هـ/١٤٨٢ م ، وما أن استقر فى هذه الوظيفة حتى انطلقت يده فى الناس وسبب لهم غاية الضرر ، والتفت حوله حاشية السوء يزينون له فعلة وما يلحقه بأهله وذويه من الطبقات الشعبية من أذى وضرر(٣٥) . وتولى أحد الفلاحين ويدعى شمس الدين بن عوض منصب الوزارة فى عهد السلطان قنصوه الغورى فى عام ٩٢٠ هـ / ١٥١٤ م ، ورغم أنه لم يغير طبعه وانتماءه الى فئة الفلاحين ، لم يكن حريصا على مصالحهم ولم يلبث السلطان الغورى أن انقلب عليه وقبض عليه وعذبه حتى مات(٣٦) .

ولم تسلم طوائف الحرف من حالات البذل والبرطلة والرشوة التى انتشرت فى العصر الثانى بين الأمراء والسلاطين وبلغت ذروتها فى أواخره ، فقد كانت هناك عادة يلتزم بها مشايخ هذه الطوائف الحرفية تقضى بدفع مبلغ من المال عند تولى محتسب جديد أمور الحسبة(٣٧) .

على أن أهم الحرف التى زاولتها الطبقات الشعبية هى المتعلقة بالأطعمة فهى أكثر الحرف ارتباطا بالطبقات الشعبية . ومنها حرفة الطحانين ، وقد وجد نوعان من المطاحن ، مطاحن

خاصة ومطاحن عامة ، فالخاصة كان يمتلكها الأغنياء فى منازلهم لطحن غلالهم(٣٨) ، اما المطـــاحن العامة فهى التى كان يمتلكها طحانون محترفون مهنتهم طحن الغلال لقاء اجر معين لمن يرغب من الناس(٣٩) وقد زاول هذه الحرفة صانع متمرس يعاونه صبى يتعلم منه كيفية سير العمل ، وقد شـغل البعض عمل الطحان والخباز فى آن واحد ، وكان يرأس الصناع الموجودين بالطاحونة رجل عرف باسم المدولب فى الطواحين(٤٠) .

أما عن أماكن تواجد هذه الطواحين فى القاهرة ، فهناك عدد منها كان يضمها شارع باب البحر(٤١) ، تخصص بعضها فى طحن الحبوب نحو القمح ، وأخرى كانت تقع بباب الشعرية(٤٢) على يمنة السالك طالبا لباب البحر ، وطاحونة اخرى كانت تقع بالقرب من جامع الزاهد(٤٣) . وطاحونة ثالثة بالقرب من سويقة العياطين(٤٤) . وقد وجد بالفسطاط حى للطحانين به صـفان من الطواحين(٤٥) ، وكانت هذه الطواحين تدار بالخيول ، وكثيرا ما تعرضت هذه الخيول للمصادرة من المماليك مما كان يؤدى الى توقف العمل . فقد حدث فى عام ٧٩١هـ / ١٣٨٨ م أن هاجم المماليك الطواحين واخذوا ما بها من الخيول مما ترتب عليه ارتفاع سعر الدقيق(٤٦) ، وفى عام ٩٢٢ هـ/١٥١٦م استولى المماليك على خيول الطواحين ايضا ، وضجت الطبقات الشعبية واغلقت الأسواق ، واضطربت أحوال القاهرة . ويبدو أن السبب فى المرة الأولى يرجع الى حاجة منطاش الأشرفى(٤٧) اليها فى نزاعه مع يلبغا الناصرى(٤٨) ، وفى المرة الثانية أمر الســلطان الغورى العسكر بالاستعداد للسفر ، فما كان منهم الا ان نزلوا للطواحين واستولوا على ما بها من خيول وبغال(٤٩) .

وكان المحتسب(٥٠) يقوم باختبار الدقيق ، فربما خلطوا فيه دقيق الحمص أو الفول حتى يزيد فى الوزن ، ومن يفعل ذلك كان

يتعرض للعقوبة(٥١) ، وكان الخبز فى العصر المملوكى يصنع من دقيق الحنطة ، ولم يكن المقريزى راضيا عن نوعية هذا الخبز وجودته ، فقال عنه انه « متى لبث يوما بليلة لا يؤكل وان اكل يوجد له طعم مختلف لأنه يكون فى هذه الحالة قد فقد تماسكه »(٥٢) ، وقد كان الخبـــاز يلجأ، أحيـــانا الى غش الدقيق بشراء دقيق رديء يخبز به(٥٣) .

وفى العصر المملوكى صنعت أنواع ممتازة من الخبز ، أجودها كان يعرف باسم الخبز الحوارى ، وهذا الخبز كان يصنع من الدقيق الحوارى ، أى الدقيق المحكم النخل الناصع البياض(٥٤) ، وهو بطبيعة الحال لم يكن من نصيب الطبقات الشعبية الكادحة . وفى الفترات التى كانت ترتفع فيها أسعار الحنطة كانت الطبقات الشعبية تضطر الى صنع الخبز من دقيق الذرة ، لكنهم كانوا يضيقون بهذا النوع من الخبز ، وقد عبروا عن ضيقهم هذا بمختلف الطرق ، ومنها الرقص والغناء ، ففى غلاء عام ٨٩٢ هـ/١٤٨٢ م عبر الناس عن ضيقهم بهذا الخبز برقصة كانوا يرقصونها(٥٥) . وقد استخدمت مياه الآبار المالحة وهو ما حذر منه ابن الحاج ، لأن هذه المياه تجعل الخبز ذا مرارة ، أما الماء الصالح العجين فهو الماء العذب (٥٦) . ومن أنواع الخبز التى صـــنعت فى العصـــر المملوكى ايضا نوع عرف باسم الكماج(٥٧) ، يعجن بغير خميرة ، ونوع آخر يصنع من جريش الحنطة ويجفف(٥٨) . وكان الخباز الذى يضبط وهو يبيع خبزا ناقص الوزن يعاقب أحيانا بأن تسمر احدى أذنيه بعارضة باب مخبزه(٥٩) .

وكان الخبز مؤشرا لاستقرار أحوال الطبقات الشـــعبية اليومية ، ولذا فان المصادر التاريخية ذكرت توفر هذه السلعة فى أسواق الأحياء الشعبية والتى توفرت فى النصف الأول من

هذا العصر ، فى حين شحت فى الأسواق فى النصف الثانى منه(٦٠) ، ويشير المقريزى الى احد هذه الأفران والذى كان يقع بحى الحسينية بالقاهرة والذى ظل عامرا الى ما بعد عام ٧٩٠ هـ/ ١٣٨٨ م وقد بلغ أنتاج الخبز اليومى فيه حوالى سبعة آلاف رغيف لكثرة ما حوله من السكان(٦١) ، وهناك فرن آخر بحى الغورية لانتاج الخبز الذى يباع لأهل الشارع(٦٢) .

ويذكر ابن اياس ضمن احداث عام ٨٢٩ هـ/١٤٢٥ م ، أن الباعة والسوقة تعرضوا للعقاب من المحتسب عندما تفاقمت الأزمة والتى تاثر بها أيضا الأغنياء ، مما ادى الى ازدحام الطبقـــات الشعبية على الأفران للحصول على الخبز الذى عز وجوده فى الحوانيت ، وقد وصل الأمر الى أن ازمة الخبز كانت تؤثر على سائر السلع الأخرى كالألبان والاجبان بسبب هلاك البهائم(٦٣) .

وكانت الأفران تستمد احتياجاتها من الدقيق من الطواحين القريبة منها ، حيث يتم خبزه وبيعه ، وقد اعتمد الـــكثير من المنشآت الدينية فى العصر المملوكى على الخبز ، كراتب عينى يصرف للموظفين العاملين بالمنشأة الى جانب طلاب العلم ، وكان لكل فرد منهم قدر معين حسب رتبته ووظيفته(٦٤) .

وزاولت الطبقات الشعبية حرفة الطباخة فقد كانوا يطهون للغرباء الذين يأتون من خارج القاهرة ، والفقراء الذين يعجزون عن القيام بعملية اعداد الطعام فى منازلهم(٦٥) ، وذلك راجع فى المقام الأول لقلة الوقت لأنهم يكونون فى عملهم طوال النهار وجزءا من بداية الليل ، فضلا عن أنه فى الغالب ما تكون نساء هذه الطبقات هى الأخرى تقوم بأعمال لاكتساب الرزق(٦٦) ، وذلك الى جانب ان الغالبية العظمى من سكان القاهرة وبخاصة الطبقات

الشعبية فى العصر المملوكى كانوا لا يكلفون أنفسهم عناء اعداد الطعام فى المنزل ، بل يقومون بشراء ما يحتاجون اليه من الأطعمة من الأسواق ان صباحا أو مساء ، أو عن طريق تناولهم الطعام فى المطابخ(٦٧) ، ولهذا نجد أصحاب المطابخ الشعبية ، يعملون قبل شروق الشمس بساعة حتى ساعة متأخرة من الليل ، وكان طبق الفول الطبق الأساسى فيها(٦٨) .

وقد انتشرت هذه المطابخ والمطاعم فى القاهرة المملوكية ، وقدرها بعض الرحالة بما يزيد عن اثنى عشر الف مطعم ، هذا عدا باعة الطعام الجالين فى الشوارع الذين يحملون الطعام المطهى . كما وجد نوعان من المطابخ ، المطابخ التى كان البطاخون يعدون فيها الأطعمة التى يبيعونها لحسابهم ، والمطابخ التى اعتاد الناس أن يرسلوا اليها ما يريدون طهيه من لحوم وخضروات وغيرها(٦٩) .

كما زاولت الطبقات الشعبية صناعة النقانقيين(٧٠) ، والكبوديين(٧١) ، والبواردييين(٧٢) ، فقد وضعت كتب الحسبة عدة شروط لهم لكى يلتزموا بها ، منها أن تكون أماكنهم قريبة من المحتسب ، حتى يتسنى له مراقبتهم ومنعهم من الغش . وكان محتسب القاهرة فى العصر المملوكى يعين من قبله نوابا عنه فى بعض أحياء القاهرة ، وفى بعض الأحيان يختص بعض هؤلاء النواب بالنظر فى بعض فروع الحسبة مثل مراقبة الخبازين أو الحلوانية أو الطباخين أو الشوائين ، وبرغم من حدوث كثير من الأوبئة والمجاعات فى هذا العصر فقد استطاع المحتسبون توفير المواد الغذائية للشعب واسهم السلاطين بفتح شونهم وتوزيع الغلال على الطحانيين والخبازين . وهكذا أصبحت وظيفة الحسبة فى الطبقة الخامسة من الوظائف الدينية وعم نفعها جميع أنحاء البلاد ،

أما فى العصر الثانى فقد كان المماليك يجلبون رجالا من أرباب الحرف والصنائع ويتركوهم بدون تربية فصـــاروا أرذل الناس واجهلهم بأمور الدنيا ، واستطاع كثير منهم الوصـــول الى هذه الوظيفة بالرشوة والتقرب للسلطان ففسدت أمور الوظيفة(٧٣) .

واندرجت حرفة القصـــابة(٧٤) ضـــمن الحرف التى زاولتها الطبقات الشعبية ، وكان يستحب أن يكون مسلما بالغا عاقلا ، حتى يتم الذبح وفقا للشريعة الاسلامية(٧٥) ، وكان المحتســب يتولى مراقبة القصابين عند غياب العريف(٧٦) ، ولم يمنع ذلك القصابين من أن يقوموا أحيانا بالغش ، وذلك بأن يشهروا فى الأسواق البقر السمان ثم يذبحون غيره(٧٧) ، وقد كان القصابون فى العصر المملوكى يلفون اللحم فى أوراق شجر الموز(٧٨) ، كما امتازوا بأنهم اناس متينو البنية حادو الطباع تربطهم تقاليد طائفية قوية(٧٩) .

كما كانت حرفة الباقلانيين(٨٠) من الحرف التى اشتغلت بها الطبقات الشعبية ، يخضعون لمراقبة المحتســب وذلك لكثرة غشـهم وتدليسهم(٨١) ، ومن وسائل الغش فى ذلك العصر خلط الباقلاء الجيدة مع المســـوسة أو خلط الحنطة جـــديدها مع قديمها(٨٢) .

ومن الحرف التى عملت بها الطبقات الشـــعبية أيضا حرفة الرواسين ، وقد كان بعض الباعة يلجئون الى عدة طرق للغش منها خلط رءوس الماعز بالضأن ، الى جانب بيع الرءوس البائتة ضمن الطازجة فى حالة كساد البيع(٨٣) .

وأما صناعة الحلوى فقد حظيت باهتمام بالغ فخصص لها سوق عرف باسم سوق الحلاونيين(٨٤) أعد لبيع الحلوى(٨٥) ، ويجب أن يتتبع المحتسب الحلوانية بصفة مستمرة لمراقبة غشهم ،

ويبدو أن الحلوانية كانت لديهم طرق كثيرة لغش الحلوى ، فالبعض كان يصنعها بدون عسل النحل ، ويضع فيها عصير الليمون ويوهم المشترى بأنها صنعت بعسل النحل(٨٦) ، والبعض الآخر يغش المشبك والقاهرية(٨٧) بالقند(٨٨) ، بدلا من عسل النحل ، وقد يغشون الخبايص(٨٩) الناعمةالرطبة والصابونية(٩٠) بالنشـــــا الخارجة عن الحد المعتاد(٩١) . وللحلوى أنواع عديدة ، وقد ذكرت كتب الحسبة بعض أنواع الحلوىفى ذلك العصر(٩٢) ، فضلا عن ارتباط استهلاك الحلوى ببعض المناسبات والاحتفالات ، ففى ختان أولاد أحد القضاه استطاع أحد البائعين وهو ابن الزيبق الحلوانى أن يبيع للمتفرجين حلوى بمبلغ مائة وعشرين دينارا(٩٣) .

وأما حرفة اللبانيين فتعتبر من الحرف المهمة التى اهتمت بها الدولة وكلفت المحتسب بمراقبة بائعيها(٩٤) ، وفيما يتصل بصناعة الشرابيين(٩٥) ، فقد تعددت الأشربة فى العصر المملوكى ، فكان هناك شراب الليمون السائل ومن خواصه ازالة الزكام وغير ذلك، وشراب التفاح وهو يقوى الكبد ، وشراب الورد العطرى ، ومن فوائده ازالة الصداع والقروح وماؤه يقوى النفس ، وشراب الأجاص وهو الخوخ ، ويعرف فى القاهرة باسم البرقوق ، وهو شجر ناعم الورق من فوائده تخفيف القروح ، وشراب العناب وهو مفيد فى أورام المعدة والكلى ، وشراب الخشخاش ويعرف فى القاهرة بأبى النوم ، يضاف الى بعض العقاقير(٩٦) ، وشراب الفقاع الذى كان المصريون يقبلون عليه ، فكثرت حوانيت صنعه وبيعه وانتشرت فى أسواق القاهرة وأقبل الناس على شربه(٩٧)، ويصنع شراب الفقاع من الشعير ومن فوائده تفتيت الحصاة كما يدر البول(٩٨) . والجوارشيات(٩٩) صنعت فى العصر المملوكى من نباتات وثمار فواكه متعددة . وقد لاحظ ابن الحاج أن بعض صانعى الأشربة يلجئون الى الغش ، الأمر الذى أدى إلى وجود

نوعين من الشراب ، اولهما لأهل القاهرة والآخر لأهل الريف ، وكان ما يباع لأهل الريف رديئا واقل جودة عن الأول(١٠٠) . ونستنتج مما سبق أن الطبقات الشعبية زاولت هذه الحرفة وكانت تقوم بصناعة بعض هذه الأشربة وبيعها فى الأسواق .

وحرفة الخواصين من الحرف التى امتهنتها الطبقات الشعبية على نطاق واسع ، وقد صنع أصحاب هذه الحرفة القفف من سعف النخيل الأخضر والقديم على السواء ، وهى تستخدم فى اغراض عديدة ترتبط بالحياة اليومية للطبقات الشعبية ، فضلا عن ذلك فقد كان الخواصون يصنعون من الخوص اغطية الأزيار المصلبة بالجريد التي يستخدمها السقاءون فى تغطية أزيار حوانيتهم ، وكذلك كانت تستخدم فى المنازل فى أغراض عديدة(١٠١) .

وكذلك فقد كان القفاصون ينتجون الأقفاص التى تصنع من الجريد ، وتستخدم فى اغراض عديدة وبخاصة الأفران حيث يتم وضع الخبز عليها ، كما تستخدم فى نقل السلع الغذائية الى الأسواق للبيع(١٠٢) . وقد ذكر المقريزى سوق القفيصات التى خصصت للباعة للجائلين التى يجلسون فيها أمام شـــبابيك القبة المنصورية ، بأقفاص صغيرة ، وقد شبك عليها الخواتم وأساور النساء وخلاخيلهن(١٠٣) .

وحرفة البناء من الحرف الأساسية التى عملت بها الطبقات الشعبية(١٠٤) ، وكان العاملون بهذه الحرفة يشـــملهم التدرج الوظيفى الذى شمل كافة الصناع ، فكان بينهم الصبى ، والحرفى والمعلم ، وكان لقب المعلم يطلق على الصانع الذى بلغ درجة عالية من المهارة تمكنه من الاشراف على غيره من الصناع(١٠٥) .

ومن الحرف التى زاولتها الطبقات الشعبية فى العصـــر المملوكى حرفة « الحلاق » « وهو المزين »(١٠٦) والتى كان يمارس

صاحبها الى جانب حلاقة شـــعر الرأس والذقن وظائف أخرى تخرج عن حدود التسمية مثل الختان وثقب الآذان(١٠٧) ، وخلع الأسنان(١٠٨) ، وكان المزين يحتفظ فى دكانه بمختلف الادوات التى تساعده على تأدية عمله ومنها الطشوت والطاسات والبشاكير وغيرها(١٠٩) ، وكان من الشروط التى يجب توافرها فى المزين أن يكون خفيفا رشيقا بصيرا بالحلاقة ، وأن تكون أمواسه جديدة قاطعة(١١٠) .

وفى العصر المملوكى كان يفضل أن تقوم الصانعة (المرأة التى تقوم بعمل الوشم بتزيين النساء ويقتصـــر دور البلان على نظافة أجســـاد الرجال فى الحمامات ، وان تعذر الأمر فهناك الصـــبيان الذين يؤتمون(١١١) ، بشـــرط عدم بلوغهم سن الحلم ، وعدم الخلوة . واذا كانت الصـــانعة شابة فلا تدخل المنازل بزينتها حتى لا تقع فى المحرمات ، ولا تتعلم منها النساء فى البيوت بعضا من خصالها(١١٢) .

اما أصحاب صناعة الفاخرانيين فيصنعون الأوانى الفخارية من قلل وازيار وأكواب وغير ذلك(١١٣) ، وعلى المحتسب مراقبتهم لتعدد حالات الغش فى صناعة الفخار(١١٤) ، وكان البعض يغش فى صناعة الفخار عن طريق عمل أوانى من الحصى المطحون(١١٥)، وفى حالة كشف غش أحدهم يشهر به ويعاقب امام الناس على فعله(١١٦) .

وحرفة الأبارين(١١٧) من الحرف التى يكثر فيها الغش(١١٨)، فالبعض كان يخلط الابر بأنواع رديئة كخلط الفولاذ بالارمهان(١١٩)، وافضل انواع الابر هو المصنوعة من الفولاذ ، وعلى المشتغل بهذه الصـــناعة ان يقســـم على عدم الغش والا عوقب امام الجميع(١٢٠) . هذا وقد تراوحت العقوبة التى كانت توقع على

المخالف من هؤلاء الحرفيين من الطبقات الشعبية فى حالة غشهم لمنتجهم من بين التجريس وهو ان يشـــــهر به فى طرقات القاهرة ويضرب الجرس على راسه ليجتمع حوله الناس ، ثم يضرب أو يوسط علنا ، وهناك عقوبة تقضى بأن يطرح المذنب على ظهر جمل ثم يطاف به ليشهر ، وقد تزفه المغانى ويضرب أو يوسط أمام الناس بالاضافة الى عقوبة اخرى تقضى بضرب المحكوم عليه بواسطة السياف ، على أن تكون الضربة قوية تحت السرة ، فتقسم الجسم نصفين(١٢١) (عقوبة التوسيط) .

وصناعة الأمشاطيين فقد انتشرت بين الطبقات الشعبية فى القاهرة فى العصر المملوكى(١٢٢) ، وتصنع الأمشاط من خشب البقس الرومى وهو خشب صلب ، والردىء من الأمشاط يؤدى الى تقطيع شعر الراس ، ولهذا يلزم الصـــــناع بالصـــــناعة الجيدة(١٢٣) .

أما حرفة المراوحيين فتختص هذه الحرفة بصناعة المراوح من الخوص النقى والجريد الغليظ الذى لا ينكسر ، وقد خضعت لرقابة المحتسب مثلها فى ذلك مثل سائر الحرف الأخرى وذلك لمنع الغش والتدليس(١٢٤) .

وهناك حرف أخرى لا تقل فى الأهمية عن الحرف سابقة الذكر منها حـــرفة الســــــقائيين ، وكانت تطلق على هذه الوظيفة اسم « السقاشربة » ، وكانوا يأخذون أجرا من الأغنياء فى حين كانوا يسقون الفقراء مجانا أو نظير قطعة من الخبز أو أى صنف من الطعام ، وغالبا ما كانوا ينادون نداء قصيرا ، ومن نداءاتهم «سبيل يا عطشان » « الجنة والمغفرة يا صاحب السبيل » « يارب يعوض على » الى غير ذلك من النداءات الأخرى(١٢٥) .

ففى العصر المملوكى كانت الآبار وحدها لا تكفى لتزويد القاهرة بالماء المطلوب للأغراض المختلفة ، علاوة على أن ماء الآبار لم يكن مرغوبا فى الشرب بل يستخدم فى الأغراض الأخرى ، وبقيت الحاجة ملحة لتزويد القاهرة بماء النيل العذب ، الذى ينقل على ظهر الدواب وعلى أكتاف السقائين ، وتولى هؤلاء توزيع الماء الى القاهرة نظير ثمن معين ، ومن هنا لعب السقاءون دورا بارزا فى حياة القاهرة(١٢٦) . وقد حرصت طوائف السقائيين على التواجد بالقرب من مصدر المياه نظرا لما كانوا يتكبدونه من معاناة فى أثناء نقلها وتوزيعها ، فكلما كانت المسافة اقل زاد توطن هذه الطوائف بالقرب منها ، بالاضافة الى ذلك ، توجد طائفة خاصة بالسقاء كانت تقطن خارج باب زويلة وهى التى اختصت بتوزيع المياه داخل القاهرة(١٢٧) . وعند مزاولة السقا لحرفته عليه أن يدخل فى النيل للبعد عن الأقذار(١٢٨) ، ويبدو أن السقاء فى ذلك العصر كان يغش فى بيع الماء ولذلك نرى أن كتب الحسبة وضعت عدة شروط لكى يمتثل لها ويسير عليها(١٢٩) . وهناك طائفة عرفت بسقائى الكيزان وأرباب الروايا والقرب والدلاء ، وهذه القرب مزخرفة وفتحتها مجهزة بأنبوبة من النحاس الأصفر(١٣٠) ، وكان هؤلاء يقفون فى أسواق القاهرة المملوكية ، والبعض الآخر فى الحوانيت يبيعون الماء للأغنياء لقاء أجر معين ، حدده البعض بنصف فلس(١٣١) من عملتهم المحلية(١٣٢) ، وقد شدد عليهم المحتسب بأمرهم بتغطيتها ونظافتها من الاقذار التى بها(١٣٣) . وكان على السقاء أن تكون يداه سالمتين من النجاسة والقذارة(١٣٤) .

وفى بعض الأحيان كانت تحدث ازمة فى مياه الشرب ويشتد الطلب على السقائيين ، الذين لا يتمكنون من تلبية كل الطلبات ، فيضطر الناس الى جلب المياه من نهر النيل بأنفسهم فى جرار

يحملونها على ظهور حميرهم(١٣٥) . وكان بعض الأغنياء يؤجرون سقائيين رغبة منهم فى تقديم هذه السلعة الأساسية صـــدقة للفقراء(١٣٦) . هذا عن حرفة السقائيين وما يتعلق بها وكيفية جلب المياه من النيل ، وعن الغش الذى كان يرتكبه البعض فى المياه باستخدام مياه الآبار بدلا من النيل ، وعن طائفة سقائى الكيزان ، وكيفية تنظيفهم للأزيار والكيزان ومنعهم لأصحاب العاهات والأمراض من الشرب بهذه الكيزان .

أما الأسبلة والغرض منها فلم يفت بعض الأثرياء فى تلك الفترة ان الطبقات الشعبية فى حاجة الى ماء سبيل ، ولذلك شيدوا كثيرا من الأسبلة ، التى مازالت قائمة حتى الآن ، وقد استطاعت تلك الطبقات أن تحصل على حاجتها من المياه سواء فى منازلهم أو للوضوء دون دفع ثمن هذه المياه ، وقد استعملت كلمة ســبيل للدلالة على عين الماء التى يشرب منها الناس(١٣٧) . والأسبلة لا تفتح الا بين صلاتى الظهر والعصر فى أشهر الصيف شديدة الحرارة ، وذلك حتى يتيسر للناس الحصول على الماء البارد(١٣٨). ويعتبر سبيل السلطان قايتباى (٨٧٣ هـ/١٤٦٨ م)(١٣٩) بالصليبة يعد من أروع ما شيده هذا السلطان . وهذا النوع من الأسبلة كان يعلوه « كتاب » لتحفيظ القرآن وتعليم القراءة والحساب لأيتام الطبقات الشعبية(١٤٠) .

ومما يذكر أن المزملات(١٤١) تعتبر موردا لمياه الشرب داخل المنشآت ، توفر للمترددين عليها موردا دائما للمياه وذلك برغم من وجود السبيل ، فالســـبيل كانت وظيفته تزويد عابرى الطريق لا المستقرين داخل المنشآت ، فوجود المزملات يسهل الحصول على مياه رطبة مثلجة صالحة للشرب تحفظ فى أزيار فخارية أو رخامية تساعد على سرعة تبريد المياه وتثليجها(١٤٢) . وكان المزملاتى

يؤدى وظيفته فى أوقات محددة له فى الأيام العادية وفى شـــهر رمضان ، وعمله ملء الأوانى من أزيار أو من أحواض موجودة داخل المنشآت ، ثم يضعها فى النوافذ وتشرب منها الطبقات الشعبية فى الطريق ، وكانت الكيزان تربط عادة بسلاسل من نحاس فى قضبان الشبابيك وذلك حتى لا تتعرض للضياع(١٤٣) .

وهناك شروط يجب أن تتوافر فى المزملاتى ، منها أن يكون سالما من العاهات والأمراض ، وبخاصة الجذام ، وأن يســـهل الشرب على الناس ويحسن معاملتهم ، وقد اســـتخدمت أدوات عديدة فى السبيل مثل سلب(١٤٤) من الليف أو الكتان وآنية شرب وسفنج لمسح أرض السبيل ، وبخور لتبخير الأوانى ، ومكانس وطشوت وأباريق وقلل فخار وغيرها من الأدوات المستخدمة فى السبيل(١٤٥) . هكذا نجد أن كثيرا من الســـــلاطين والأثرياء قد اهتموا بتوفير المياه اللازمة للشرب للطبقات الشعبية دون مقابل ورفقا بالحيوان ، وقد أنشأ البعض أحواضا لسقى الدواب الى جانب تلك الأسبلة الخاصة بالفقراء . وان كنت أرى أن السبب الذى دفع أهل الثراء فى القاهرة المملوكية الى اقامة الأسبلة يكمن فى رغبتهم فى التكفير عن ذنوبهم وخطاياهم من خلال هذا المظهر من مظاهر البر والاحسان ، ذلك الى جانب رغبتهم فى اجتناب ايذاء الطبقات الشعبية لهم فى أثناء تمردهم فى مواجهة تدهور أحوالهم الاقتصادية .

ومن الحرف الأخرى التى زاولتها الطبقات الشعبية حرفة الناطور ويتواجد فى الحمامات ووظيفته حفظ ثيـــاب الناس من الضياع(١٤٦) ، وعن حرفة الأساكفة وهم صناع الأحذية ، يراقبهم المحتسب فى كل وقت خوفا من استخدام شـــعر الخنزير فى الخياطة(١٤٧) ، ويبدو أن ذلك يرجع الى تحريم استخدام بعض

أجزاء الخنزير ، هذا عن اهم الحرف والصناعات التى زاولتها الطبقات الشعبية ، وكانت مصدرا لرزقها ومعولا مهما فى حياتها الاجتماعية .

وبرغم أهمية الحرف كلها للمجتمع فقد وجدت بعض الحرف أطلق عليها الحرف « الرذيلة » أو « الدنيئة » ، أو « السافلة » ، وذلك من وجهة نظر البعض ، وقد تمثلت هذه الحرف فى لاعب الاكروبات ، والقرداتى ، والمكارى ، والكلابزى ، والمكاسح ، وغاسل الموتى ، وحافر القبور ، وسوف نوضح طبيعة كل حرفة من هذه الحرف .

ففى بابه ابن دانيال(١٤٨) « عجيب وغريب » أمكننى الوقوف على بعض الحرف التى زاولتها الطبقات الشعبية خاصة تلك التى أطلق عليها الرذيلة ، وأولى هذه الحرف لاعب الاكروبات وعمله القيام بالعاب مختلفة كالصعود على قطع الخشب الصغيرة ، والوقوف على حد السيوف والاتيان بحركات عجيبة تدهش المتفرج وتشد انتباهه(١٤٩) .

أما حرفة الحاوى الذى يحمل معه دائما صندوقا بداخله الأدوات التى يستخدمها فى حرفته مثل الدف والحبال وبعض الحيات والعصافير ، وقد أجزل الناصر محمد بن قايتباى فى عام ٩٠٢ هـ/١٤٢٦ م العطاء لأحد الحواة بعد أن قام باحضار بعض الحيات ويقطعها امامه(١٥٠) . وحرفة القرداتى من المهن التى زاولتها الطبقات الشعبية ، ويكون مع القرداتى دف يدق عليه ليجمع الناس(١٥١) ، ومن هؤلاء من هم اكثر حيلة ، يعرضون الثعابين ويجعلونها ترقص ، وهذه الالعاب كان الهدف منها تسلية الطبقات الشعبية(١٥٢) .

وحرفة المكارى من الحرف التى زاولتها الطبقات الشعبية ، وكان لدى المكارى حيوانات كبيرة مدربة ، وبالرغم من انه لم يكن يحل للمكارى أن ينقل النسوة اللائى يظن أنهن فى طريقهن لارتكاب المعصية ، فقد كان بعض المكارية فى ذلك العصر يكارون الفاجرات من النساء فى مقابل أجرة مرتفعة(١٥٣) . وكان على المحتسب أن يراقب هؤلاء المكارية مراقبة شديدة ، ويأمرهم أن يعلقوا فى أعناق الدواب الأجراس(١٥٤) . ويبدو أنهم رفقوا بالحيوان فى هذا العصر ، فقد حذر المحتسب من تحميل الدواب أكثر من طاقتها، وعدم ضربها ضربا قويا ، ولا يوقفونها فى العراص(١٥٥) وعلى ظهورها أحمالها(١٥٦) .

وحرفة الكلابزى وهو خادم الكلاب(١٥٧) وجمعه الكلابزة والكلابزية ، ويطلق على الشخص الذى يتولى تربية الكلاب وبيعها، ثم أصبح يطلق على الشخص الذى يركب بكلاب الصيد عند السلطان أو الأمير ، وقد أطلق اللفظ أيضا على الغوغاء والدهماء من الطبقات الشعبية(١٥٨) ، هذا وقد اعتبرها البعض من الحرف الرذيلة التى اشتغلت بها الطبقات الشعبية فى العصر المملوكى ، ويرى السبكى أن مهنة الكلابزى رغم تواضعها ، فهى أكثر قيمة من مهن أخرى محرمة كانت سائدة فى ذلك العصر كعصر الخمر(١٥٩) .

ومن المهن الأخرى التى كانت سائدة فى القاهرة ابان العصر المملوكى مهنة الكاسح وهو الذى يقوم بتنظيف الأسرية ويخبر صاحب المنزل عن ملئها وفراغها(١٦٠) ، وكان المحتسب يراقب عمل الكاسح شأنه فى ذلك شأن أصحاب المهن الأخرى . وحرمة تغسيل الموتى فيقوم بها من يكون محل ثقة وقرأ كتاب الجنائز فى الفقه ، ويأتى دور المحتسب فى اختبار من يزاول هذه المهنة فمن رآه أهلا تركه يعمل بها(١٦١) ، ولا يزاول هذه المهنة الأضراء(١٦٢)

وقد ارتبط بحرفة تغسيل الموتى حرفة حافرى القبور ، والتى كان يراقبها عريف ثقة يعمل على عدم المغالاة فى الاجرة ، ولا يطالبون الضعفاء والفقراء بما هو فوق طاقتهم(١٦٣) .

أما عن حرف نساء الطبقات الشعبية فى العصر المملوكى ، فهناك حرفا زاولتها المراة ، وقد لاحظ ابن تغرى بردى ان معظم النسوة اللائى كن يعملن فى تلك الآونة « كن من الأرامل أرباب الصنائع » ، وذكر أن قرارا صدر بمنع النساء من الخروج وكان من نتيجته أن لحق الأرامل ضرر بالغ(١٦٤) . ويلاحظ أن هذه حالة فردية ولا يمكن تعميمها على العصر كله .

وقد عملت المرأة بحرفة المغزل وكانت مصدرا تعتمد عليه فى رزقها(١٦٥) . وهناك وظائف اخرى زاولتها المرأة فى عصر سلاطين المماليك ، ومن هذه الوظائف الدايات (المولدات) اللائى كن يتواجدن قبل الوقت المحدد للولادة بيومين أو ثلاثة أيام(١٦٥) ، فتنقل الداية كرسى الولادة لمنزل المرأة التى ترغب فى مساعدتها وهذا الكرسى له شكل خاص فريد تجلس عليه السيدة فى أثناء الولادة وكان يغطى بشال أو ملاءة مطرزة ، ويزين ببعض الزهور أو الورود ويوضع أمام منزل السيدة الحامل اعلانا عن قرب وصول وليدها(١٦٧) وفى منازل الأغنياء فان الأم بعد الولادة توضع على السرير لمدة من ثلاثة الى ستة أيام ، أما الفقيرات فانهن لا ينتقلن الى السرير على الاطلاق وبعد يوم يعدن لممارسة الأعمال العادية التى لا تحتاج الى مجهود(١٦٨) .

وقد بين ابن دانيال فى بابه خيال الظل دور الخاطبة واهميته ابان عصر سلاطين المماليك(١٦٩) ، واوضح انها لعبت دورا مهما فى أغلب الزيجات وكان لها النصيب الأكبر منها اذ انها كانت

تعرف « كل حرة وعاهرة وكل مليحة بمصر والقاهرة »(١٧٠) ، وهناك أيضا البلانات(١٧١) اللائى كن يقمن بتحفيف النساء فى الحمامات العامة ، والماشطة(١٧٢) ، التى كانت تقوم بتجميل النساء فى الحمامات أيضا ، وتستعير الفقيرات منهن الثياب والحلى فى مناسبات الزواج والزفاف(١٧٣) .

وهناك كذلك الصانعة ، التى كانت تمشى فى شوارع القاهرة ، وتنادى « الصانعة يا بنات » ومعها المشاريط والنكاسات، وقد غرزت عصابتها بكلاليب الابر التى تستعملها فى عملية الوشم(١٧٤) .

كما عملت النساء فى الدلالة(١٧٥) ، وصناعة الفخار والخزف حيث أشار البعض الى ذلك مستندا الى قاع طبق من الخزف عثر عليه فى اطلال مدينة الفسطاط ، يرجع الى عصر المماليك عليه من الخارج كتابة نصها عمل « خديجة »(١٧٦) .

ومن المهن التى زاولتها المرأة فى تلك الفترة البغاء(١٧٧) . وكان يطلق على من تزاول هذه المهنة بنات الخطأ والخواطىء ، هذا وقد اعترفت الدولة بهن وفرضت عليهن ضريبة محددة ، كما جعلت الدولة المملوكية للبغايا ضامنة عرفت باسم ضامنة المغانى ، تذهب اليها محترفة البغاء لتسجيل اسمها ، وكانت هذه الضامنة تتعهد بدفع مال الى الدولة فى مقابل أن تتولى جمع ضريبة المغانى من النساء البغايا فى مقابل حماية الدولة لهن(١٧٨) ، وقد صدرت عدة قرارات لمنع ممارسة البغاء وخير شاهد على ذلك أنه فى عام ٧١٠ هـ/١٣١٠ م أصدر السلطان الناصر محمد بن قلاوون قرارا بمنع ما كان يفرض من ضرائب على البغايا والمنكرات والفواحش(١٧٩) ، وهذا ما دفع الدولة الى القبض على النساء اللائى أمتهن حرفة « القوادة »(١٨٠) .

ويبدو أن الموقف الرسمى للدولة المملوكية من ممارسة حرفة البغاء مرتبط بالظروف الاقتصادية والاجتماعية وطبيعة من يتولى السلطنة ، فعندما ينقص منسوب مياه النيل يسود اعتقاد بأن ذلك مرجعه الى غضب من الله سبحانه وتعالى على الرعايا لانتشار الرذيلة والفساد ومن هنا يأتى تحريم الحرف المرتبطة بهذا الفساد ومنها البغاء ، وحينما يتولى سلطان جديد السلطنة تصدر بعض القرارات(١٨١) لاسترضاء الرعايا منها الغاء الضريبة المفروضة على مهنة البغاء .

أما فيما يتصل بنساء الطبقات الشعبية فأغلب الظن أن من زاولت مهنة البغاء فى القاهرة ابان العصر المملوكى كانت مدفوعة بظروفها الاقتصادية السيئة وتحت وطأة الفقر والعوز والجوع ، ولم تكن هذه الحرفة مقصورة على الطبقات الشعبية بل ضمت بعض النساء الأجنبيات(١٨٢) .

وأصحاب الحرف من الطبقات الشعبية اندرجوا تحت نظام خاص بكل حرفة وهو ما يعرف بنظام الطوائف . والطائفة الحرفية تعنى « مجموعة من الأشخاص تمارس نشاطا حرفيا واحدا فى المدينة ولها نظام يكفلها »(١٨٣) . وقد أطلق على أهل الحرف « الأصناف » و « أصحاب الحرف » و « أهل الصنايع »(١٨٤) ، والأصناف جمع صنف وان كانت تعنى لغويا الأنواع أو الأشياء المميزة عن بعضها(١٨٥) .

وقد وجد نظام الطوائف(١٨٦) هذا منذ العهد الفاطمى ، فقد ذكر المقريزى نه وجد « فى كل سوق من أسواق القاهرة على أرباب كل صنعة من الصنايع عريف يتولى أمرهم »(١٨٧) ، وعبارة أرباب كل صنعة تعنى الطائفة الحرفية التى تضم داخلها الأشخاص العاملين فى صنعة من الصنائع .

وبداية ظهور الطوائف الاسلامية كما فى راى ماسينيون ان الشيعة الاسماعيلية هى التى أوجدت الطوائف الاسلامية واعطتها طابعها وتقاليدها المميزة التى حافظت عليها ، فالدعاة الاسماعيليين حرصوا على نشر دعوتهم بين الطبقات العاملة فى العالم الاسلامى ، واستغلوا تعرض الحرفيين والصناع — تحت الحكم السنى — لأساليب شديدة من الرقابة والضغط والقيود ، فعملوا على جذبهم وتكوين قوة منهم لتقويض الخلافة السنية(١٨٨). وهكذا لعبت الحركة الاسماعيلية دورا مهما فى تطور الأصناف الاسلامية .

ومما يذكر انه كان لكل طائفة قانون احتوى على قواعد وعادات وشعائر تقرأ شفاهة(١٨٩) ، وقد كتبت هذه القوانين ووصلتنا منها اعداد كبيرة احتوت على ثلاثة أقسام ، القسم الأول احتوى على أساطير تتعلق بأصل الحرفة ، والقسم الثانى فقد احتوى على قائمة بأسماء الأبيار والفروع(١٩٠) لمختلف الحرف ، وبالنسبة للقسم الثالث فانه اشتمل على تعاليم تثقيف المبتدئين(١٩١) .

وكان تنظيم هذه الطوائف على النحو التالى : « الشيخ » يرأس كل طائفة شيخ ، ينتخبه الأساتذة من بين رجال الحرفة وبذلك يصبح المتصرف للحرف ويعاونه رئيس وأمين صندوق وكاتب ، والشيخ وجد فى جميع الطوائف الاسلامية كطوائف مصر فى القرن (١٠ هـ/١٦ م) ، ويلى الشيخ الاختيارية أو المسنون بين أساتذة الطائفة ، ويدعى الواحد عادة أسطى او أحيانا معلم(١٩٢)، وقد تحدث المقريزى عن الصناع بقيسارية طشتمر(١٩٣) قائلا : « كان لهم منظر بهيج وتحت يد كل معلم منهم عدة صبيان من أولاد الاتراك وغيرهم(١٩٤) . ويبدو أن تعبير أستاذ فى بغداد يقابله تعبير معلم فى القاهرة(١٩٥) ، وهم يشكلون القسم الرئيسى من

الطائفة ، أما الصانع فلا يلعب دورا مهما فى الطوائف الاسلامية ولا وجود له عادة اذ ان الانتقال من مبتدىء الى اسـطى يتم راسا(١٩٦) .

وكان لشيخ الطائفة المصرية سلطة كبيرة على أفردا الطائفة، فيعاقب الأسطى الذى يخالف قواعد المهنة ، مثل الحط من قيمة الحرفة فى نظرالناس ، واذا تعرض أحد المعلمين للافلاس أو مر بضائقة مالية فان الشيخ يعقد اجتماعا يحضره أعضاء الطائفة ، ويقدمون له كل ما يحتاج اليه(١٩٧) . وهذا يدل على أنه كانت هناك تقاليد راسخة متفق عليها بين أفراو الحرفة الواحدة . ولما كان دخول أى فرد غريب فى حرفة من الحرف يؤدى الى منافسة أصحابها الأصليين ، فانهم لا يطلعون احدا على طرق صناعتهم الا اذا كان من أبنائهم ، ولا يسمحون لأى شخص مشاركتهم الا اذا كان قد جاء ليحل محل أحدهم ، وفى هذه الحالة يقبل بشـروط خاصـة(١٩٨) .

ومن تقاليد الصناع المصريين ايضا المنافسة فى ابراز مواهبهم وابتكارهم عند القيام بانتاج شىء يدل على الفن والابتكار ، فقد ذكر ليو الافريقى الذى زار القاهرة فى أوائل القرن العاشـر الهجرى (السـادس عشـر الميلادى) ، أنه حين يقوم واحد من الصناع فى مهنته بعمل شىء يدل على الابتكار الذى لم يسبقه فيه أحد ، كان يضع ما صنعه على كسوة حريرية ويطوف به على الدكاكين مصحوبا بموسيقيين ، فيعطيه كل واحد بعض النقود مكافأة له على الابتكار والمهارة وقد بين ليو الافريقى أن أحد السقائين الذين كانوا يتجولون حاملين القرب المعلقة برقابهم ، راهن بأنه سيحمل قربة مليئة بالماء ومربوطة بسلسلة حديدية لمدة سبعة أيام من الصباح الى المساء الى أن ربح الرهان وقد تلقى الحفاوة لفوزه وسار فى موكب ضم الموسيقيين وجميع سقائى القاهرة(١٩٩) .

أما عن تقاليد ترقية الصبى الى مرتبة الصانع ، فعند انتهاء الصبى من تدريبه تحت اشراف أحد المعلمين ، فان معلمه يخبر شيخ الحرفة بذلك فيدعو الشيخ أهل الحرفة لحضور حفل ترقيته ، فيأخذ النقيب باقة من أى عشب أو من زهور ويوزعها على المدعوين، ثم يعلن عن ميعاد الاحتفال(٢٠٠) ، وفى الاحتفال كان المعلم يصطحب صبيه الى مكان الاحتفال حيث يكون هناك شيخ الطائفة ، والنقباء والمخاترة(٢٠١) مجتمعين وتبدأ مراسم ذلك الاحتفال بأن يقرأ الجميع الفاتحة ، وبعد ذلك يسأل الشيخ المعلم والصبى سؤالا تقليديا يستفهم به عن سبب مجيئهما ، فيجيب المعلم بأن الصبى قد أتم تعلم الصنعة ويرغب فى فتح حانوت يمارس فيه المهنة التى تعلمها باختباره فان اطمأن الى اجادته للصنعة يقترب منه ويشد حول وسطه حزاما أو شالا ، ويعتبر الشد شعيرة مميزة لدخول الشخص فى الحرفة ، كما انه دلالة على تقيد الداخل فى الحرفة بواجبات بعينها نحو الجماعة كلها(٢٠٢) .

وفى أثناء عملية الشـــد(٢٠٣) تعقد عدة عقد أقلها ثلاث وأكثرها ست بالنسبة لعدد المعلمين الكبار الموجودين فى الاحتفال، ولهم فى ذلك اصطلاح فالعقدة الأولى تسمى الأسطاوبة ويحلها معلمه الذى رباه وعلمه الصنعة ، والثانية تسمى الرتبة ويقوم بحلها شيخ الطائفة ، والثالثة يحلها أحد الأسطاوات الموجودين فى الحفل(٢٠٤) .

وبعد الشد يحلق للمحتفى به أحيانا جزء من شعره ثم يلبس ملابس خاصة كاللباس أو السراويل عند أهل الحرفة أو الخرقة على الكتفين ، ويؤخذ عليه العهد وبعض التعاليم المتعلقة بواجباته الجديدة مع اجازته بممارسة الصنعة ، ثم يأخذ مكانه على السجادة الى جانب زملائه لتناول الطعام التقليدى ويطلق عليه الوليمة أو التمليح(٢٠٥) .

ونلاحظ ان الرابطة بين اهل الصنايع كانت قوية ، وصار الأفراد يشعرون بالارتباط الوثيق بينهم ، واصبحت من أقوالهم المأثورة « الصناعة نسب » ، وبلغ التماسك حد العصبية للمهنة والاعتزاز بها ، فهناك عائلات توارثت المهنة مثل عائلات الزيات ، والزجاج ، والفراء(٢٠٦) .

وقد خضع العاملون فى الصناعات المختلفة ، مثلهم مثل التجار فى الأسواق للرقابة الحكومية المتمثلة فى المحتسب ، ويلاحظ أن الطوائف الحرفية كانت تشتمل على الفقراء المهاجرين من الريف الى المدن أو الذين فقدوا مركزهم فى التجارة(٢٠٧) .

ومما يذكر ان اهل الذمة من الحرفيين كانوا يعملون تحت رئاسة شيوخ طوائف حرفية مسلمة وان انفرد احدهم برياسة طائفة معينة كالجواهرية(٢٠٨) . ومن تقاليد الصناع ايضا الاسهام فى بعض الاحتفالات المهمة حاملين أدواتهم المستخدمة فى صناعتهم، فعندما عاد السلطان برقوق للسطنة مرة ثانية عام ٧٩٢ هـ/١٣٨٩ م اشترك الصيادون فى استقباله ومعهم شباكهم(٢٠٩) . هذا الى جانب اسهامات بعض أصحاب الحرف الأخرى .

وفى ختام حديثنا عن طوائف الحرفيين يتضح أنها تتسم بسمات خاصة هى ان الطوائف المصرية فى العصر المملوكى نشأت من تلقاء نفسها من الشعب دون تدخل الدولة ، كما أن الانتاج لم يتغير فى الطوائف المصرية سواء فى الأراضى أو فى الحرف منذ القرن السادس الهجرى الثانى عشر الميلادى) حتى القرن الثالث عشر الهجرى (التاسع عشر الميلادى) ، كما بقيت الطائفة طبقة واحدة ، فقد بقى الأستاذ والسيد والصانع والمبتدىء طبقة واحدة فى المجتمع ، واما السمة الثالثة فهى امتياز الطوائف المصرية

بانها تضم بين صفوفها أفرادا من مختلف الأديان ، دهى مفتوحة لليهودى والمسيحى والمسلم على السواء ، فى حين نجد بعض الطوائف تسودها أغلبية غير مسلمة مثل طائفة صناع الذهب ، وأما السمة الرابعة فهى احتفاظ الطوائف المصرية بالحياة الداخلية الروحية وقوانينها الأخلاقية والأدبية ، التى كانت تدرس لكل المبتدئين فى أى حرفة من الحرف(٢١٠) .

وفيما يتعلق بالفائدة التى عادت على أصحاب الحرف من هذه النقابات « الطوائف » فنقول ان هذه النقابات كانت تقوم بدور المؤسسات الاجتماعية التى ترعى الحرفيين وتنظم أحوالهم ، وتقدم العون لهم فى حالات العجز والافلاس وغير ذلك من الظروف الأخرى ، كما كان لها دور رقابى تمثل فى وجود المحتسب ودوره فى الاشراف على الأسواق ، ومدى جودة السلع ، ومراقبة حالات الغش ، كما تولت النقابات أيضا الدفاع عن العمال أمام أصحاب الصناعات والحرف بغية تحسين أوضاعهم الاقتصادية والحفاظ على حقوقهم المهنية ، وكان لرئيس النقابة دور مهم فى فض مشكلات الحرفيين من اعضاء النقابة ، كما كان يرجع اليه فى كل ما يخص النقابة من شئون وأحوال خاصة بالحرفيين .

نشطت التجارة الداخلية فى العصر المملوكى واشتهرت المدن المصرية وفى مقدمتها القاهرة بأسواقها الحافلة بالبضائع المختلفة(٢١١) ، وبحوانيت البزازين الذين يبيعون ثياب الكتان والقطن والأنواع المختلفة من الطرح(٢١٢) ، كما كان هناك نوع من التخصص ، فكان للشمع سوق عرفت بسوق الشماعين ، وسوق للطيور عرفت بسوق الدجاجين ، وسوق الجوخيين التى تخصصت فى بيع الجوخ ، وسوق الحلاويين التى تخصصت فى بيع الحلوى ، وسوق الفراءين التى تخصصت فى بيع الفراء والتجارة فيه ، هذا

بالاضافة الى الأسواق التى تخصصت فى بيع المواد الغذائية(٢١٣)، ومن بين الأسواق التى نشطت فيها الحركة التجارية فى عصر أسرة قلاوون سوق السلاح الذى اختص بتجارة القسى والنشاب وآلات الحرب(٢١٤) .

وعن حركة البيع والشراء فى الأسواق ، فقد حرص سلاطين المماليك على مراقبتها ، فعهدوا الى المحتسبين بالطواف ايلا ونهارا للتفتيش على الباعة وضبط من يحاول التلاعب فى الأسعار أو الأوزان أو أصناف البضائع(٢١٥) .

وبالنسبة للتجار فقد لعبوا دورا مهما فى اقتصاد الدولة ، وكانت تستفيد منهم عن طريق الضرائب المفروضة عليهم ، وان تعرضوا فى بعض الأحيان للتعسف فى فرض الضرائب وجمعها مما يدعوهم للشكوى للسلطان عسى أن يستجيب ويصدر أوامره لرفع أسباب الشكوى(٢١٦) .

ومما يذكر أن طبقة صغار التجار فى القاهرة فى العصر المملوكى كانوا يندرجون ضمن الطبقات الشعبية من الناحية الاقتصادية والاجتماعية ، فهناك من كانوا يمارسون تجارتهم داخل الحوانيت فعرفوا بأصحاب الحوانيت أو الدكاكين ، وغالبا ما كان هؤلاء يزيدون فى أسعار المواد الغذائية(٢١٧) ، وهناك من كان يعرض بضائعه على المصاطب ، فقد وجدت بعض المصاطب التى كانت تؤجر لأكثر من تاجر فى اليوم الواحد ، وقد بلغت أجرة مصطبة كانت مقامة خلف مسجد احمد بن طولون اثنى عشر درهما فى اليوم ، وتنافس التجار عليها ، فكانت تؤجر فى الصباح لبائع يتاجر فى الغزل ، وفى الظهر كانت تؤجر لخباز ، أما عند العصر فكانت لتاجر يتاجر فى الحمص والفول(٢١٨) .

وهناك بعض التجار لم يكن لديهم دكاكين فمارسوا تجارتهم فى الشوارع عن طريق عرض بضـائعهم على الطبليات والدكك فأطلق عليهم أصحاب الطبليات والدكك(٢١٩) . والبعض الآخر كان يجلس تجاه شبابيك القبة المنصورية(٢٢٠) . لعرض تجارتهم على اقفاص صغيرة وقد شبك عليها أساور النساء وغير ذلك من الحلى التى كانت تستخدمها المرأة فى ذلك العصـر(٢٢١) ، وقد عرفوا بأصحاب القفيصات(٢٢٢) . ومنهم أيضا من كان يطوف بمراكب فى برك القاهرة لبيع بضاعته لسكان البيوت المقامة على شواطئها، ففى عام ٩٢٢ هـ/١٥١٦م منعت المراكب من الدخول فى بركة الرطلى لممارسة التجارة ، ثم بعد فترة شفع لهم بعض القضاة فعادوا مرة ثانية لممارسة تجارتهم ، فوجد الحلوانى والفاكهانى وغير ذلك من التجار(٢٢٣) . ويروى ابن اياس ان الناصر محمد بن قايتباى كان ينزل بنفسـه فى المراكب ويبيع كما يفعل التجـار فى بركة الرطلى(٢٢٤) .

وهناك نوع آخر من صغار التجار ، كان لا يستقر فى مكان واحد بل كان جوالا فى مختلف انحاء القاهرة ، والبعض كان يطوف على البيوت ويدخل الأزقة ويسـلك المواضـع البعيدة عن السوق (٢٢٥) . وهناك تاجر « الكتاكيت » الذى كان يبيع بضاعته بالكيل لا بالواحدة ، ويبدو أن ذلك كان من عادة سكان القاهرة فى طريقة البيع(٢٢٦) .

أما عن تجارة الصابون ، فقد وجد بجانب وكالة الصابون بباب النصر شخص يبيع الصابون ، فقد كان صغار التجار يقومون بشراء الصابون من وكالة الصابون بسعر زهيد ثم يقومون مرة ثانية بالاتجار فيه ليحصلون على المكسب(٢٢٧) .

وهناك ايضا تجار الفاكهة ، الذين كانوا يقومون بشرائها من فندق دار التفاح(٢٢٨) ، الذى يعتبر من الأسواق المركزية ،

ترد اليه الفاكهة على اختلاف أصنافها ، من بساتين القاهرة ثم يعاد توزيعها على تجار الفاكهة ، ويبدو أن تجار الفاكهة فى العصر المملوكى تفننوا فى عرض تجارتهم بشكل يجذب المشترى ، فقد كانوا يحرصون على ترتيبها فى شـــكل منظم وأنيق واحاطتها بالرياحين والأزهار ، هذا بالاضافة الى عمل مظلة منعا لوصول حرارة الشمس الى الفاكهة وبالتالى تظل دائما طازجة(٢٢٩) .

كما يبدو أن تجار الفاكهة كانوا يقومون ببيع بضاعتهم بزيادة عن السعر الذى حدده المحتسب ، فقد تعرض بعض تجار العنب للضرب من المحتسب وذلك فى عام ٨٧٤ هـ/١٤٦٩م واشهروا فى القاهرة، وفى عام ٨٧٥ هـ / ١٤٧٠ م تعرض تاجر آخر للضرب لبيعه التين بأزيد من التسعيرة واشهر عاريا مكشوف الرأس ، ثم رسم بصلبه ولطخ بالعســل واوقف فى الشمس « فتســلط عليه النحل والذباب(٢٣٠) .

وصغار التجار من البزازين(٢٣١) ، فالبعض يزاول مهنته فى الدكاكين والبعض الآخر يطوف على المنازل ، وعلى تاجر البز أن يظل واقفا فى دكانه لا ينادى على المشترى اذا مر عليه دون أن يقف للشراء ، واذا رأى احدا يشترى من غيره فلا ينظر له بل ينتظر ويصبر حتى يأتى اليه المشترى ، وكان دكان البزاز دائما مضاء ليتيسر للمشترى مشاهدة القماش ، فربما وجدت بعض العيوب غير الظاهرة(٢٣٢) وفى هذه الحالة على التاجر أن يظهر جميع عيوب السلعة(٢٣٣) .

ويبدو أن تاجر البز فى العصر المملوكى ، كان لديه رجل تقوم وظيفته على زيادة ثمن السلعة أمام المشترى حتى يحفز المشترى على الشراء(٢٣٤) . ومن مظاهر الغش لدى البزازين أن يدعى البزاز أن بضاعته من صنع يده لايهام المشترى بجودتها ، وكان

البعض الآخر يقوم بشراء البضاعة بسعر معلوم ، فاذا انخفض سعرها لا يعلن عن ذلك للمشترى(٢٣٥) .

وكان المحتسب يتفقد دكان البزاز ، ويتفق معه على ثمن محدد لبيع السلعة ، ومن وجده يخالف ذلك تعرض للعقوبة(٢٣٦) .

وهناك التاجر الذى كان مشهورا بالربا ، فقد وجد بسوق أمير الجيوش شخص من صغار التجار كان يتاجر فى الأرز ، وكان مشهورا بالربا والايمان الباطلة ، وقد تعرض من جراء ذلك للعقوبة، وكان ذلك فى عام ٨٨٥ هـ/١٤٨٠ م(٢٣٧) .

أما عن تجار الخضروات فبعضهم كان يلجأ الى وسائل كثيرة للغش ، ومن أمثلة ذلك غش الملوخية فيلجأ التاجر الى وضعها فى حزم وكل حزمة يربطها بالقش ، وفيها من الطين والماء ما يزيد فى وزنها ، وعند بيع الخضروات يقوم البائع بتغير اسم السلعة التى ينادى عليها باسم بعيد عنها ، والبعض أيضا تكون سلعته رديئة فيمدحها بصفات ليست فيها(٢٣٨) . ويبدو أن تجار الخضروات فى العصر المملوكى تفننوا فى عرض تجارتهم ، فكانوا يعرضونها على هيئة أكوام تحاكى الأهرام ، كما كان هناك تجار الطيور ، الذين يبيعون الاوز والحمام وغيرها من أصناف الطيور والدواجن ، وكذلك تجار طيور الزينة كالببغاء والكناريا ، والتى كانت تباع بأقفاصها(٢٣٩) . هذا عن طبقة صغار التجار من الطبقات الشعبية فى العصر المملوكى ، وعن أنواع التجارة التى مارسوها وأسلوب تعاملهم مع الناس ، والصفات التى يجب أن يتحلوا بها .

وهناك فئة أخرى من الحرفيين الذين زاولوا مهنا أخرى الى جانب حرفتهم الرئيسية ، فلجئوا الى قرض الشعر كوسيلة للكسب

فأطلق عليهم شعراء الطبقات الشعبية ، فقد استطاعوا أن يثبتوا وجودهم فى الشعر وفى حرفتهم ، ولهذا وجدنا شعرهم صورة حية تعبر عن حياتهم اليومية وأيضا كان شعرهم نوعا من أنواع التجارة ووسيلة من وسائل الكسب ، وبالطبع فيما يعضد هذا امتلاكهم للموهبة الشعرية ، التى تعينهم فى التكسب عن طريق قرضـــــه .

واول هؤلاء أبو الحسين الجزار (٦٠١ — ٦٧٩ هـ/١٢٠٤ — ١٢٨٠ م) وكما يفهم من اسمه كان يعمل بالجزارة ، ولكن أجره كان لا يكفى معيشته ، بل لم يكن يحصل على نصيبه من اللحم الذى يقوم ببيعه للناس ، فاتخذ من الشعر حرفة أخرى الى جانب حرفته الأصلية كوسيلة للكسب ، وراح يطرق الأبواب المغلقة ويقدم أبياتا يصف فيها بؤسه ، ولكن لم يفلح فى الحصول على ما يريد ، فعاد الى حرفته الأولى وهى الجزارة(٢٤٠) .

يقول أبو الحسين فى حرفته :

اعمـــــل فى اللحـــم للعشـــــا ولا

أنال منه العشاء .. فما ذنبى(٢٤١)

وقال فى زوجة ابنه :

تزوج الشيخ أبى شـــيخه	ليس لهـا عقــــل ولا ذهن
لو برزت صورتها فى الدجى	ما جســــرت تنظــرها الجن
كأنها فى فرشــها رمــــة	وشــــعرها حـــولها قطن
وقائل قــال ما ســـــنها	فقلت ما فى فيها سن(٢٤٢)

ومن الأبيات التى تصف بؤسه :

سقى الله اكناف السكنافة بالقطر
وجاد عليها سكرا دائم الدر

وتبا لأوقات المخلل انها
تمر بلا نفع وتحسب من عمرى

واشتاق ان هبت نسيم قطائف
السحور وسحيرا وهى عاطرة لنشر

ولى زوجة ان تشتهى القاهرية
أقول لها ما القاهرية فى مصر(٢٤٣)

واذا عتب عليه بعض القضاه أن عاد الى الجزارة وترك الشعر اجابه بقوله :

لا تلمنى يا سيدى شرف الدين
على أن رايتنى قصابا

كيف لا اعشق الجزارة ما عشت
حياتى وأرفض الآدابا

وبها صارت الكلاب ترجينى
وبالشعر كنت أرجو الكلابا(٢٤٤) !

وعن السراج الوراق (٦١٥ هـ/١٢١٨ م — ٦٩٥ هـ/١٢٩٥ م) لقبه سراج الدين وحرفته الوراقة(٢٤٥) ، نلمح فى شعره الصفات المصرية وخفة الروح ، اتصل السراج بكثير من أعيان عصره ، وقد وصف حالة أولاده ، وما يعانونه من بؤس بقوله :

قد اقبل العيد وماعندهم   قمح ولا خبز ولا فطـــــره
فارحمهم أن عـــاينوا كعكة   فى يد طفـــل أو رأوا تمره
تشـخص ابصـارهم نحوها   بشـــهقة تتبعها زفرة(٢٤٦)

عاش سراج بالقاهرة ما يقرب من تسعين سنة ، لقى خلالها صعوبات كثيرة ، وخلف لنا الكثير من الوان شعره منها قوله :

رب سامح أبا الحسين وسامحنى
فشـــأنى وشـــأنه الاســـلام

فذنـــوب الـــوراق كل جـــريح
وذنوب الجـزار كل عظــام(٢٤٧)

ومن الشعراء أصحاب الحرف أيضا ابن دانيال الكحال(٢٤٨) (٦٤٦هـ / ١٣٤٨ م) ، كان كالسراج الوراق يتميز بخفة الروح ، اتخذ دكانا بباب الفتوح يزاول فيها مهنته(٢٣٩) ، ويبدو أن هذه الحرفة لم تكن تدر عليه دخلا مناسبا يمكنه من العيش الذى كان يأمله فيقول فى حرفته :

ياسائلى عن حرفتى فى الورى   واضـــيعتى فيهم وافلاسى
ما حال من درهم انفـــاقه   يأخذه من أعين الناس(٢٥٠)

ولذلك نجد ابن دانيال ينصـرف الى مهنته المخايلة وقرض الشعر ، فكان يزاول مهنته فى النهار لينصرف بعدها الى اللعب بخيال الظل(٢٥١) ، وكان يحكم مصر فى ذلك الوقت السلطان بيبرس الذى اصدر فى عام (٦٦٥ هـ/١٢٦٦ م) أمرا يحذر فيه بيع الخمور(٢٥٢) ، الأمر الذى جعل ابن دانيال ينظم قصيدة فى ذلك :

لقد كان حد السـكر من قبل صلبه
خفيف الأذى اذ كان فى شرعنا جلدا

فلما بدأ المصلوب قلتى لصاحبى
الا تب فان الحد قد جاوز الحدا(٢٥٣)

وقد امتاز ابن دانيال فى كثير من شعره بخفة الروح والدعابة، كما اشتهر بالظرف وسرعة البديهة والسخرية اللاذعة حتى شاعت عنه كثير من النوادر والحكايات ، ومن شعره :

مـا عينت عينـاى فى عطلتى
ايشـم مـن حظى ومـن بختى

قد بعت عبـدى وحمـارى وقد
اصبحت لا فوقى ولا تحتى(٢٥٤)

اما النصير الحمامى(٢٥٥) (٦٦٩ هـ / ١٢٧٠ م) فهو نصير ابن احمد بن على المنازى المصرى كان يعمل بأحد حمامات القاهرة الى جانب اشتغاله بالادب ، واستطاع أن يحصل على الكسب من صناعته وقرضه للشعر ، وكان على صلة وثيقة بشعراء الشعب من أمثال السراج والجزار وابن دانيال(٢٥٦) ، عاش النصير الحمامى فى حمامة ، يرتزق من مهنته حتى تقدم به السن وعاقه ضعفه عن القيام بهذه الحرفة(٢٥٧) . وهكذا يتبين كيف كان هؤلاء يتكسبون من قرض الشعر الى جانب مزاولتهم حرفتهم الأصلية وكما ذكرنا آنفا فقد امتلك هؤلاء الموهبة الشعرية التى ساعدتهم على قرض الشعر والتكسب منه .

وهناك فئة من الطبقات الشعبية لعبت دورا مهما فى أوقات الحروب والفتن ، وان كان دورها يزداد اهمية فى أثناء الأزمات ،

فقد كانت تؤلب السلاطين على بعضهم البعض ، وهذه هي فئة الشطار(٢٥٨) وفئة العيارين(٢٥٩) . والعيارون جماعة من باعة الأسواق الفقراء ظهروا منذ أواخر القرن الثاني الهجري(٢٦٠) في بغداد ، ثم انضم اليهم أفراد من مختلف طبقات المجتمع ، وقد انتشر العيارون في سائر المدن الاسلامية ابان الحروب الصليبية ، وذلك لأن المناخ المناسب لهم دائما الحروب والفتن والمنازعات(٢٦١) ، يقاتلون عراة ، وفي أوساطهم المآزر ، وقد اتخذوا لرءوسهم دواخل من الخوص وسموها الخوذ ، ودرقا من الخوص قد قرنت وحشيت بالحصى والرمل(٢٦٢) ، وكان لهم نظام كالجند ، فعلى كل عشرة عريف ، وعلى كل عشرة عرفاء نقيب ، وعلى كل عشرة نقباء قائد ، وعلى كل عشرة قواد أمير ، وقد وضعوا في اعناقهم الجلاجل والصوف الأحمر والأصفر(٢٦٣) .

اما الشطار فهم طائفة من أهل الدعارة والنهب واللصوصية كان لهم زيهم الذي يميزهم ولهم مئزر يأتزرون به على صدورهم يعرف بازار الشطار ، وكانوا يعدون اللصوصية صناعة وليست جريمة ، على اعتبار أن ما يستولون عليه من أموال التجار الأغنياء زكاة لتلك الأموال التي أوصى باعطائها الفقراء ، واذا وصل احدهم لسن الشيخوخة استخدمته الحكومة في مساعدتها على كشف السرقات(٢٦٤) .

وقد كانت طائفة الشطار أكثر انتشارا في البلاد الاسلامية وبخاصة ابان الحروب والفتن ، من العيارين وأطول بقاء منهم ، وتمتاز طائفة الشطار بميلها للفكاهة والمرح واللهو فقد اشتهروا بالنوادر والطرف(٢٦٥) . ومع انتشار هذه الطائفة في البلاد الاسلامية فقد عرفوا في العراق والشام ومصر بالشطار وفي خراسان أطلق عليهم « سربداران »(٢٦٦) .

وفيما يختص بمساكن هؤلاء الشطار فقد كان مأواهم الحمامات والمساجد والطرقات هذا بالاضافة الى الأسواق والمقابر(٢٦٧) ، اى أن العيارين والشطار لم يكن لهم منازل أو بيوت بالمعنى المتعارف عليه .

وبالنسبة لأخلاق العيارين والشطار(٢٦٨) ، فقد اتصفوا بالصبر على الشهوات وتحمل الأذى كالضرب بالسوط وتقطيع الأعضاء ، والصلب وسمل العيون ، وقطع الأيدى والأرجل(٢٦٩) . كماكانوا أمناء على أسرار أصدقائهم ويحافظون على المحارم ، ولا يتعرضون للنسوة ويقدسون شرف الكلمة فضلا عن أنهم كانوا يتجنبون الكذب(٢٧٠) . ولا شك أن هذه الأخلاق والصفات تدل على الشجاعة والقوة والأمانة وتبعد كل البعد عن الذم .

ومن الجدير بالذكر أن مؤرخى(٢٧١) العصر المملوكى اطلقوا على أصحاب الحركات الشعبية اسم الحرافيش(٢٧٢) والزعار(٢٧٣) والعياق (٢٧٤) . وقد اتخذ بعض الحرافيش التسول مهنة له فيذكر السبكى ان كثيرا من الحرافيش اتخذوا السؤال صنعة ، يقعدون على أبواب المساجد يشحذون ولا يدخلون لتأدية الصلاة(٢٧٥) . وقد وصفهم ابن بطوطة « بأنهم طائفة كبيرة أهل صلابة وقوة »(٢٧٦) .

وقد لعب الحرافيش دورا مهما فى الحياة السياسية فى تلك الآونة ، فقد ثاروا على الملك الناصر محمد فى عام ٧٢٣ هـ/ ١٣٢٣ م حين سجن الأمير طشط المعروف بحمص أخضر(٢٧٧) ، حيث اجتمع آلاف من الحرافيش ووقفوا أسفل القلعة ، ونادوا بلسان واحد « يا أعرج النجس » (بعنوان الملك الناصر) أخرجه ، فما كان من الناصر الا أن استجاب لهم فأخرجه من سجنه(٢٧٨) .

كذلك كان للحرافيش سلطان ففى حوادث ٧٩٣ هـ/١٣٩٠ م توفى الشيخ على بن على الجعيدى سلطان الحرافيش ، الذى كانت له كلمة مســموعة على الحرافيش لم تتوافر لأحد من بعده(٢٧٩) . وفى حوادث ٨٩٥ هـ/١٤٨٩ م دخل من القاهرة الى دمشق سلطان آخر للحرافيش يدعى ابن شعبان التف الأوباش حوله والصناقات والطبول تضرب بين يديه ، ثم رجعوا واستقبلوا زوجته باستقباله نفسه فخرج نحو مائتى امرأة بخرق صفر ملفوفة على عصابهن وهن ركوب حولها ، الى أن وصلت الى بيتها(٢٨٠) . يتبين لنا مما سبق أنه قد وجد للحرافيش مشيخة لها تقاليدها ونظامها ولها سلطان يرجع اليه وقت الحاجة وأوامره مطاعة .

ويرجع السبب فى كثرة عدد هؤلاء الحرافيش فى القاهرة الى وجود عدد من الفلاحين لا يملكون أرضا ومن ثم لجئوا الى القاهرة(٢٨١) ، ونتيجة للأوبئة والمجاعات التى تعرضـــت لها القاهرة تدهور الوضع الاقتصادى فى الصناعات الحرفية والتجارة الداخلية فلم يجد هؤلاء المهاجرون صـــناعات أو أعمالا يؤودنها وبالتالى أصبحوا عبئا زائدا على القاهرة(٢٨٢) ، وكثيرا ما صدرت الأوامر من سلاطين المماليك بعودتهم الى بلادهم ولكن دون جدوى، وبالتالى فقدوا ارتباطهم بالأرض ولم يعودوا منتجين بل ظلوا هكذا بدون عمل ، وكانت انتفاضات الحرافيش فى القاهرة عبارة عن أعمال غوغائية مضطربة تخيف السلاطين ولكنها لا تغير شيئا فى الأوضاع القائمة(٢٨٣) .

وان كنت أرى أن وضعهم الطبقى وبخاصة حالتهم الاقتصادية والتى تعتبر المحرك الأول والمهم فى انتفاضاتهم ضد الســلاطين والأمراء لم يكن من القوة بحيث يؤثر فى تغيير الأوضاع . فقد نظر السلاطين الى هؤلاء الحرافيش نظرة احتقار وتعال وعلى أنهم

طبقة لا يهتم بها أو ينظر اليها ، فقد كان جل اهتمامهم بأنفسهم ومماليكهم ومتعتهم دون مراعاة هؤلاء الحرافيش ونسوا تماما أنهم جزء لا يتجزأ من الشعب المصرى .

وقد شاركت الدولة ممثلة فى شخص السلطان الطبقات الشعبية فى بعض مظاهر التكافل الاجتماعى والاقتصادى خاصة فى فترات وقوع الأزمات ، وقد جاء هذا التصرف من السلطة المملوكية فى محاولة منها لدرء خطر الثورة الشعبية ، فحينما شح النيل وعدمت الأقوات فى عام ٦٦١ هـ/١٢٦٢ م أمر السلطان بيبرس بجمع الحرافيش وغيرهم من المعدمين من أهل القاهرة فأخذ جزءا منهم ، ووزع بعضهم على الأمراء والأثرياء لاعالتهم طوال فترة هذه الأزمة(٢٧٤) .

ويبدو أن تصرف بيبرس ومن حذا حذوه قد قصد منه أيضا الحد من ثراء الأمراء المماليك ، واشعارهم بالمشاركة فى المسئولية العامة وانه لما كانت لهم الحقوق فان عليهم الواجبات . ومن السلاطين الذين كانوا يقربون الحرافيش ويعطفون عليهم السلطان المنصور لاجين(٦٩٦ — ٦٩٨ هـ/١٢٩٧ — ١٢٩٩ م) الذى كان على علاقة وثيقة بهم وقد بادلوه التأييد والثقة(٢٨٥) . وعندما وقع القحط بالقاهرة وارتفعت الأسعار واشتد الغلاء على الناس عام ٧٧٥ هـ/١٣٧٣ م أمر السلطان الأشرف شعبان بن حسين (٧٦٤ — ٧٧٨ هـ/١٣٦٣ — ١٣٧٧ م) بفتح عدد من شون القمح والغلال وقام بتوزيعها على الفقراء والمساكين ثم أمر بأن يوزع الفقراء والحرافيش على الأمراء وأعيان التجار لحين زوال هذه الضائقة(٢٨٦) ، واقتداء بما فعله السلطان الظاهر بيبرس والأشرف شعبان خصص السلطان برقوق فى عام ٧٨٢ هـ / ١٣٨٠ م للفقراء والحرافيش فى القاهرة عشرين اردبا من الدقيق توزع عليهم لمواجهة موجة الغلاء وندرة القمح فى تلك الآونة(٢٨٧) .

ولم تقتصر علاقة سلاطين المماليك بأهل القاهرة من الفقراء والحرافيش على مثل هذه المظاهر من التكافل الاجتماعي والاقتصادي الوقتي المرتبط بفترات الأزمات ، بل كانوا يتقربون الى الطبقات الشعبية في بعض الأحيان خاصة في بعض المناسبات مثل يوم عاشوراء الذي أمر فيه السلطان الغوري في عام ٩١٢ هـ/١٥٠٦م بأن يجمع الفقراء والحرافيش وقام بنفسه بتوزيع عطايا من الذهب عليهم(٢٨٨) ، كما قام في عام ٩١٤ هـ / ١٥٠٨ م بجمع هؤلاء الحرافيش ووزع عليهم عطايا من الفضة أيضا(٢٨٩) . وربما كان السبب في هذه المحاولات للتقرب من هؤلاء الحرافيش هو محاولة تفريغ مشاعر السخط والتمرد الكامنة في نفوسهم قبل أن تتحول الى رغبة في الثورة ضد رموز السلطة في تلك الفترة خاصة وأن ما سبق عرضه من بعض مظاهر التكافل الاجتماعي والاقتصادي الرسمي لا يمثل سياسة اقتصادية واجتماعية ثابتة تجاه هذه الفئة من الطبقات الشعبية ولا يتجاوز دور مثل هذه المظاهر مجرد محاولة التخفيف الوقتي لما يثقل كاهل الطبقات الشعبية من أعباء اقتصادية واجتماعية متعددة .

وكانت السياسة التي درج عليها المماليك حيال الطبقات الشعبية كانت سياسة القهر ومن ذلك أن الأمير قوصون(٢٩٠) قد أمر بتسمير بعض الطبقات الشعبية فسمر منهم تسعة على باب زويلة ثم أمر بتتبع الطبقات الشعبية والقبض عليهم ، وفي يوم آخر سمر قوصون أيضا ثلاثة من الطواشية(٢٩١) وعددا من الحرافيش على باب زويلة(٢٩٢) . وفي نطاق الفساد السياسي والاجتماعي في العصر المملوكي تودد بعض الأمراء من الحرافيش واستخدموهم في أعمال السلب والنهب ضد بعضهم البعض ، ويروى في ذلك أنه في أثناء فتنة قوصون(٢٩٣) أيضا أباح بعض الأمراء للطبقات الشعبية نهب بيت الأمير قوصون فأقبلت الطبقات

الشعبية كالجراد المنتشر لما فى نفوسهم من كره لهذا الأمير ونودى لهم « يا كسابة(٢٩٤) عليكم باسطبل قوصون فانهبوه »(٢٩٥) .

وقد تزايد عدد الحرافيش فى شوارع القاهرة بصورة واضحة فى أواخر العصر المملوكى(٢٩٦) ، فكان المار فى هذه الشوارع يجد بعضهم وقد غطت أجسامهم الهلاليل والأتربة وتبادلوا الشتائم والصيحات ، العنيفة ، ويهدد بعضهم بل يصل الأمر لحد الاشتباك بالأيدى وتنتهى المشاجرات ويتفرقون دون نتائج(٢٩٧) .

واستعان السلاطين أيضا بالزعار(٢٩٨) ففى عام ٧٦٩ هـ/ ١٣٦٧ م حدثت فتنة « المماليك اليلبغاوية »(٢٩٩) الذين كانوا يتعرضون الناس ويهجمون على النســاء فى الحمامات ويخطفون الصبيان والأقمشة والبضائع من الدكاكين فكان ذلك من أسباب تذمر الناس عليهم ، ولما شرع المماليك اليلبغاوية للقتال تصدى لهم الزعر بالحجارة والمقاليع وقبضوا عليهم وأحضروهم للوالى ؛ ثم نودى بعد ذلك بالأمان والبيع والشــراء ففرح الناس بزوال مماليك يلبغا وخروجهم من القاهرة(٣٠٠) .

ونلمس مشاركة الزعر السياسية أيضا فى الفتنة التى حدثت فى عام ٧٨٤ هـ/١٣٨٢ م والتى كانت بين السلطان برقوق ونائبه يلبغا الناصرى والتى انتظر الزعر قيام الفتنة على أثرها للقيام بأعمال النهب كما هى عادتهم ابان الفتن والمنازعات ، ولما تخاذل الأمراء المماليك عن نصرة السلطان برقوق ، حاول برقوق التودد والتقرب من الزعر ففرق عليهم أموالا كثيرة فعظم أمرهم وتعطلت الأسواق وأخذ الناس فى شراء القوت اللازم لهم خوفا من الفتنة وما يترتب عليها من نتائج وعندما تقدمت عساكر الناصرى من القاهرة اغلقت الأبواب كلها الا باب زويلة وانتشــــرت الزعر

وامتلأت بهم القاهرة واشتد فسادهم وسلبهم ونهبهم(٣٠١) ، وقد تفرق الزعر على بيوت الأمراء ، فنهبوا ما وجــدوا حتى خربوا البيوت وأخذوا أبوابها وخشبها ، وهاجموا منازل الناس خارج القاهرة واستمروا على ذلك ، وصارت القاهرة غوغاء ، وأهلها رعية بلا راع على حد قول ابن تغرى بردى(٣٠٢) .

ونلاحظ مشاركة الزعر أيضا فى فتنة يلبغا الناصرى(٣٠٣) ومنطاش(٣٠٤) والتى حدثت فى عام ٧٩١ هـ/١٣٨٨ م ، فقد خرج منطاش وتقرب من الزعر وأعطاهم الأموال والذهب فتعصبوا له ووقفوا ضد الناصرى ، وكان الواحد يثب فى الهواء حتى يخطف السهم قبل أن يأخذه غيره ويأتى به الى منطاش وطائفة أخرى تقوم بنقل الحجارة(٣٠٥) . وقد كان للزعر فى هذه الفتنة دور كبير مما أدى الى هزيمة الناصرى ، ولما تأكد منطاش من هزيمة الناصرى أباح للزعر بالنهب والســـلب فتفرقوا الى بيوت المنهزمين فنهبوا وأخذوا ما استطاعوا(٣٠٦) ، وفى الفتنة التى حدثت فى عـــام ٨٠٢ هـ/١٣٩٩ م امتدت الأيدى الى بيوت الأمراء المنهزمين بالسلب أيضا ، فنهبوا جميع ما كان فيها(٣٠٧) ، كما نهبوا بعض المساجد ثم نهبوا مدرسة السلطان حسن وهدموا الســجون وأخرجوا من فيها من أرباب الجرائم ، وانتشرت الفوضى فى القاهرةفى تلك الآونة(٣٠٨) . ولا يغيب عن أذهاننا أن أعمال السلب والنهب التى قام بها الزعر ترجع فى المقام الأول لما كان يحيطهم من بؤس وفقر وحرمان ومعاناة من الجوع ولهذا امتدت أيديهم الى كل شىء حتى المساجد لم تخل من عبثهم .

فضلا عن ذلك نجد أن بعض السلاطين حاولوا التودد والتقرب من الزعر فكان يشاركهم ألعابهم الأمر الذى كان يؤدى فى كثير من الأحيان الى غضب الأمراء عليه لأن ذلك من شأنه الاســـتهانة

بالسلطان والأمراء ، ففى أيام الملك الكامل شعبان وفى عام ٧٤٦ هـ/١٣٤٥ م كثر لعب الناس بالحمام وتزايد شلاق الزعر(٣٠٩)، ثم نودى بالقاهرة بعدم التعرض لأحد من ارباب الملاعيب وبخاصة لاعبى الحمام ، فتزايد الفساد وذلك بسبب حب السلطان شعبان لهذه الالعاب وشغفه بها ، ثم أصدر السلطان أوامره باحضار الأوباش فلعبوا أمامه بالليخة(٣١٠) وفى أثناء اللعبة قتل رجل رفيقه فخلع السلطان على بعضهم ، واستمر السلطان على ذلك وأعرض عن تدبير الأمور(٣١١) .

كذلك كان المظفر حاجى (٧٤٧ هـ/١٣٤٦ م) أكثر شغفا من السلطان شعبان بأرباب الملاعيب فضلا عن اجتماعه بالأوباش فيذكر ابن تغرى بردى فى عام ٧٤٧ هـ/١٣٤٦ م ان الملك المظفر حاجى أمر باعادة أرباب الملاعيب ، ونطاح الكباش ، ومناقرة الديوك ونودى فى القاهرة بذلك ، وكان السلطان اذا لعب مع الأوباش يتعرى ويلبس تبان الجلد ويصارع معهم ويلعب بالرمح والكرة ويظل طوال النهار هكذا(٣١٢) . هؤلاء هم الزعر وهذا هو دورهم سواء فى حالات الفتن والمنازعات بين السلاطين بعضهم البعض أو بين الأمراء ، كذلك دورهم فى فترات السلم حيث يتضح كيف كان بعض السلاطين يتقربون اليهم ويجذلون العطاء لهم ، نحو السلطان الناصر محمد بن قلاوون الذى كان ينظر فى المظالم المقدمة من الطبقات الشعبية يومى الاثنين والخميس من كل أسبوع فيما عدا شهر رمضان(٣١٣) . الأمر الذى حدا ببعض الأمراء الى الحنق على بعض السلاطين بسبب معاملتهم الكريمة لهم ، كذلك يتبين لنا أن ما قام به الزعر من سلب ونهب وتخريب كان موجها فى المقام الأول نحو من كان يسيىء معاملتهم من الأمراء والسلاطين ولذلك نجدهم يسلبون بيوت هؤلاء الأمراء فضلا عن القيام بتخريبها ، أى

أن حركتهم لم تكن موجهة نحو الطبقات الشعبية التى كان بعضها يعانى من الفقر والفاقة والعوز وتدهور الأحوال الاقتصادية .

وهناك طائفة أخرى وصفها المقريزى بالزعارة والشجاعة يقال لهم « البـــدورة » أو « الأويراتية »(٣١٤) ، ويرجـــح بعض الباحثين أن هؤلاء هم أصل فتوات الحسينية الذين اشـــتهروا بالزعارة والشجاعة الى جانب القوة الجسدية والجمال(٣١٥) .

والعياق(٣١٦) يأتى ذكرهم فى حوادث عام ٧٨٧ هـ/١٣٨٥م حيث أمر السلطان برقوق بمنع ما كان يحدث فى يوم النوروز من فساد وفوضى(٣١٧) . فقد كان السواد الأعظم من العياق يتفنون فى الطرقات ويتراشون بالماء المتنحس ويقطعون الطريق ، فكان هذا اليوم من الأيام التى يمتنع فيها أهل القاهرة عن الخروج الى الشوارع والأسواق حيث تغلق الحوانيت أبوابها وتتعطل حركة البيع والشراء(٣١٨) .

وهناك المناسر (السراق) الذين كثروا فى القاهرة فى أثناء الفتنة التى وقعت فى عام ٨٠٢ هـ/١٣٩٩ م حتى صار فى كل حارة مركز لهم ؛ وكان نشاطهم موجها نحو الأسواق والأمراء والتجار ، والمنسر الواحد يتكون عادة من مائة نفر ما بين مشاة وراكب ومعهم تسى ونشاب وهذا يعنى أنهم تجمعوا فى شكل طوائف منتظمة(٣١٩) وقد أصدر السلطان الأشرف قايتباى أوامره بتوسيط شخص من كبار المنسر يقال له أحمد الدنف وذلك فى عام ٨٩١ هـ/١٤٨٦ م(٣٢٠)

وانتهى الأمر بالحرافيش الى اللحاق بالخـــوانق والربط والزوايا وذلك بحثا عن الطعام والمأوى والملبس وان كان ذلك لم يمنع قيامهم بأعمال اللصوصية والنهب والمشاركة فى بعض الأحداث السياسية(٣٢١) ، وفيما يتعلق بالزعار فقد ظلوا عاطلين أو شبه

عاطلين الا من بعض المهن المتدنية ، كما كان بعضهم اما من ارباب السجون أو بقايا الجند المتطوعة(٣٢٢) . هكذا نلاحظ مشاركة الطبقات الشعبية فى الفتن والثورات التى لم تكن من ارادة تلك الطبقات ولم يكن اشتراكها فى هذه الأحداث من تلقاء نفسها وانما بوازع من المماليك الذين عملوا على تصفية بعضهم البعض لأغراض سياسية ترمى الى الاستحواذ على السلطنة .

والفتوة(٣٢٣) جماعة يمكن أن تقترن بالطبقات الشعبية من المجتمع المصرى . وقد اخذت الصوفية كلمة الفتوة وما تدل عليه من معانى النبل والسماحة وادخلتها فى معجم كلماتها(٣٢٤) فيقول الحارث المحاسبى(٣٢٥) « ان الفتوة هى أن تنصف ولا تنتصف » ويعرف الجنيد(٣٢٦) الفتوة بأنها « كف الأذى وترك الشكوى والفتوة اتباع المكارم واجتناب المحارم »(٣٢٧) ، كما تعرف « بأنها اظهار النعمة واسرار المحنة ، وترك ما تهوى لما تخشى »(٣٢٨) .

والفتوة(٣٢٩) ذات صلة مباشرة بالطبقات الشعبية فى القاهرة فى العصر المملوكى ، فقد شاع نظام الفتوة العسكرية فى بداية الأمر ، وورث هذه الفتوة بعض المماليك فى القاهرة فتعلموا الأعمال الحربية وتمرنوا عليها ، واتخذوا من الصيد وسيلة لتعلم الفروسية(٣٣٠) ، وكان سقوط الدولة العباسية فى عام ٦٥٦ هـ/ ١٢٥٨ م ركودا للفتوة ثم ظهرت الدولة العباسية الأسمية فى القاهرة فعادت معها الفتوة ، ففى عام ٦٥٩ هـ/١٢٦٠ م وفى يوم عيد الفطر ركب السلطان الظاهر بيبرس مع الخليفة المستنصر بالله وصليا صلاة العيد بالقاهرة ثم حضر الخليفة الى خيمة السلطان والبس بيبرس سراويل الفتوة بحضور الأمراء(٣٣١) . وهذا دليل على اهمية دور الفتوة فى عصر المماليك فى القاهرة واستمرار قوتها من أيام الأيوبين وحتى عصر المماليك(٣٣٢) ، وقد اعتاد

سلاطين المماليك فيما بعد حتى القرن (٨ هـ/١٤ م) على منح سراويل الفتوة للأمراء والأعيان المصريين فى بعض الأحيان ، وهو النظام الذى ضم فى جانبه الشعبى أرباب الحرف وأهل الصنائع وغيرهم من الباعة والسوقة والمعدمين وأشباه المعدمين والعاطلين(٣٣٣) . وقد لعبت بعض هذه التنظيمات الحرفية دورا ثوريا متميزا فى التاريخ المصرى عن طريق انضمامهم لثورات أو تمرد الطبقات الشعبية ضد المماليك(٣٣٤) . هذا وقد تدهورت أحوال الفتوة فى عصورها الأخيرة ونجم عن ذلك خروجها عن المكارم والفضائل والشهامة والمروءة التى اسست عليها ، فأصبحت خطرا على المجتمع ولاقت مقاومة شديدة واتبعها الأشرار والعيارون والزعر ، حتى اطلق على العيارين فى القاهرة فى العصور الأخيرة اسم « الفتوات »(٣٣٥) .

وكان فى كل حى من أحياء القاهرة جماعة من الفتوات أرباب الصنائع والمهن المتدنية ولهم زى خاص ، وغالبا ما كانت تنشب بينهم وبين فتوات الأحياء الأخرى منازعات ومشاجرات ، فقد يخرج فتوات المنشية لمشاجرة فتوات الحسينية فى جبل المقطم بالطوب والحجارة والعصى ، وكان من الطبيعى ان يسقط بعض الجرحى والقتلى(٣٣٦) .

وهناك ظاهرة واضحة اتصفت بها الحياة فى عصر سلاطين المماليك ، وهى انتشار التصوف على نطاق كبير(٣٣٧) . والتصوف معناه تجربة روحية خاصة يعانيها الصوفى(٣٣٧) .

وقد زاد نطاق التصوف فى القرن السادس الهجرى اذ انتشر بين مختلف طبقات الشعب آنذاك وترددت مبادئه وأصوله على السنة الشعراء ، وأصبح للصوفية تأثير على المجتمع بحيث

حد التصوف من النزاع القائم بين مذهبى اهل السنة واهل الشيعة وقرب بينهما(٣٣٩) . وفى منتصف القرن السادس الهجرى أرسى صلاح الدين حجر الأساس للخوانق فى مصر ، وتعتبر خانقاه سعيد السعداء(٣٤٠) أول خانقاه أنشئت على يديه فى عام ٥٦٩ هـ/ ١١٧٣ م(٣٤١) .

وانتشر التصوف فى القرن السابع الهجرى فى القاهرة إبان عصر سلاطين المماليك بين طبقات الشعب بمختلف مستوياتهم الاقتصادية ومذاهبهم العقائدية(٣٤٢) . ومن العوامل التى أدت إلى انتشاره على هذا النحو كثرة الوافدين على مصر من مشايخ الصوفية المغاربة والأندلسيين ، حيث ضاقوا بالحالة التى وصل إليها المسلمون فى المغرب والأندلس فانتقلوا الى مصر حيث لاقوا قبولا كبيرا فيها(٣٤٣) ، وكذلك الحروب الطاحنة التى تعرضت لها مصر من جانب الصليبيين ثم التتار(٣٤٤) . هذا بالاضافة الى انفصال المماليك عن اهل البلاد واستئثارهم بالمناصب المهمة فى الجيش(٣٤٥) ، هذا الى جانب تعرض القاهرة للأوبئة والمجاعات التى حصدت طائفة كبيرة من الطبقات الشعبية . ولكل هذه العوامل حظى التصوف بقبول مختلف طبقات الشعب حيث وجدوه ملاذا الى الله عز وعلا يخففون به من آلامهم وخاصة ابان الأزمات التى تعتريهم(٣٤٧) .

وللصوفية آداب تحدد العلاقة بين الشيخ والمريد(٣٤٨) ، ويبدو أن الخوانق ضمت أيضا الأطفال ، فكان من ضمن آداب الصوفية تقسيم المريدين الى ثلاثة أقسام : كهول وشباب وأطفال وكان لكل فئة قسم خاص وتجتمع يوما واحدا فى الأسبوع للتحاور(٣٤٩) .

وأول الطرق الصوفية التى وجدت فى العصر المملوكى كانت الطريقة الأحمدية نسبة الى السيد أحمد البدوى(٣٥٠) الذى جاء

مصر عام ٦٣٤ هـ/١٢٣٦ م وقد عرف بأبى الثامين لملازمته الثامين صيفا وشتاء(٣٥١) ، وقد اعتاد البدوى أن يجلس على سطح منزله ، ويرنو ببصره الى الشمس ، وكان يقضى ما يقرب من اربعين يوما صائما عن الطعام والشراب(٣٥٢) . وقد عرف أتباع البدوى الأوائل باسم « السطوحية » نسبة الى سكن السطح(٣٥٣) وكان من شعائر البدوى البشت(٣٥٤) الصوف والعلم الاحمر و « البشت » هو خرقة التصوف ، والخرقة هى زى الفقراء ، والعلم الأحمر شعار أحمد البدوى(٣٥٥) ، وعليه فقد كان شعار الطريقة الأحمدية اللون الأحمر . وللسيد البدوى كرامات كثيرة منها : احضار الأسرى من بلاد الافرنج وقد ذكر الرواة قصة امرأة اسر الصليبيون ولدها ، فلاذت بالسيد أحمد البدوى تطلب منه احضاره . وما هى الا لحظات حتى جاء الأسير فى قيوده فأخذته أمه وانصرفت ، وهذه كرامة كبرى اعتبرها أتباع السيد أحمد البدوى من أعظم كراماته وصاروا يتحدثون بها . بل ان الطبقات الشعبية فى القاهرة أخذوا يتغنون بقدرة السيد البدوى على احضار أسرى المسلمين ، فصاروا ينشدون العبارة المعروفة .. الله الله يابدوى جاب اليسرى » ، واليسرى هنا تحريف اللفظ « الأسرى »(٣٥٦) ، ومن كراماته أيضا علم الغيب ومن ذلك أن رجلا مر بالسيد البدوى يحمل قربة لبن فأومأ اليها باصبعه ، فتحطمت وانسكب اللبن ، وخرجت منه حية كبيرة . فحمى بذلك الناس من سمها . وقبل أن يقع غلاء ويشتد القحط كان السيد البدوى يعلم ذلك ويحذر الناس ليحتاطوا(٣٥٧) . كذلك نسب الى السيد البدوى قدرته على احياء الموتى وشفاء المرضى ، فكان المرضى يستنجدون به وهو فى قبره فيلبى نداءهم ويشفيهم وبفضل كرامة السيد أحمد البدوى كان الشيخ محمد الفران الذى يخبز له الخبز يحرك النار بيده ويدخل

يده فى الفرن لاخراج الخبز الذى يخبزه للسيد البدوى ... دون أن يصاب بسوء . كذلك كان السيد احمد البدوى يقبض يده على الهواء فيحس بأثر هذه القبضة أناس بعيدون وأيضا ايذاء من يتعرض لسيرته بسوء(٣٥٨) ومن كراماته أيضا عندما حاول البعض الغاء مولده رضى الله عنه فلحق بهم ضرر كبير مثل عزل البعض من منصبه ونفى البعض الآخر ، وتعرض بعضهم للحبس(٣٥٩) . وبعد وفاة السيد البدوى عام ٦٧٥ هـ/١٢٧٦ م صار أتباعه على طريقته ونهجه ، ومن هؤلاء عبد الله صالح(٣٦٠) .

كما انتشرت الطريقة الشاذلية(٣٦١) فى القاهرة المملوكية وتقوم من الناحية السلوكية على العمل بالكتاب والسنة(٣٦٢) ، وتنسب هذه الطريقة الى الشيخ أبى الحسن الشاذلى شيخ الطائفة الشاذلية(٣٦٣) ، الذى وفد من المغرب الأقصى الى القاهرة وكان زاهدا ضريرا(٣٦٤) . وبرغم كونه كفيفا فقد حضر موقعة المنصورة عام ٦٤٨ هـ/١٢٥٠ م وكان يلتقى بالناس على اختلاف طبقاتهم ، كما كان يجالس السلاطين والأمراء(٣٦٥) .

ومن شهر أولياء العصر المملوكى فى القاهرة والذين ذاع صيتهم بالكرامات ابراهيم ابن على بن عمر المتبولى الأنصارى الأحمدى الذى كان يبيع الحمص المسلوق بحى الحسينية بالقاهرة(٣٦٦) ، ومن كراماته رؤيته للرسول (صلى الله عليه وسلم) فى المنام وأيضا عندما اشتهى أصحابه سماطا يحتوى على مختلف الأطعمة أمرهم الشيخ المتبولى بالانتشار ليتطهروا ثم يعودون مرة ثانية ففعلوا ما أمرهم به فوجدوا سماطا ممدودا كما اشتهوا ، ومنها أنه اذا جلس لأحد لأول مرة فكانت لديه القدرة على معرفة ما ارتكبه هذا الشخص من المعاصى والذنوب . وفى عهد السلطان قايتباى (٨٧٣ — ٩٠١ هـ/١٤٦٨ — ١٤٩٦ م) وقع غلاء كبير فاجتمع عند

الشيخ كثير من الطبقات الشعبية ، فصار يطعمهم خبزا خالصا ولما أرادوا أن يأتي لهم بشيء مع الخبز أشار على أحدهم بأن يذهب الى مكان ما وهناك وجد ذهبا كثيرا اشترى به ما يحتاجونه ولما ذهب أحدهم بغير علم الشيخ وجد المكان خال من الذهب(٣٦٧) .

ومن كراماته أيضا أنه حضر وليمة عند أحد الرجال وفي أثناء انشغال الرجل باعدادها سقط ابنه في مياه الخليج ولم يعرف أحد بذلك الا في نهاية الوليمة ، فلما علم الشيخ المتبولي بذلك أشار عليهم بالذهاب الى القنطرة تجاه جامع الظاهر وهناك وجدوا الصبي حيا يرزق وعاش بعد ذلك طويلا(٣٦٨) .

والشيخ ابراهيم أبو لحاف المجذوب الصاحي كان حافيا مكشوف الرأس متلحفا بملاءة حمراء وبيده عصا غليظة(٣٦٩) ، وكان يقيم في برج بقلعة الجبل ولما قرب زوال دولة المماليك الجراكسة تقابل مع السلطان الغوري وأراد أخذ مفاتيح القلعة منه بقوله « أعط مفاتيح القلعة لأصحابها » فقال الغوري هذا مجذوب اتركوه فذهب الشيخ ابراهيم أبو لحاف وسكن القاهرة وتحقق ما قاله من زوال دولة المماليك الجراكسة(٣٧٠) .

ومن الأولياء أصحاب الكرامات أيضا الشيخ ابراهيم بن محمد برهان الدين بن أبي شريف أحد نواب القضاء بالقاهرة أبان العصر المملوكي ، وكان يقرأ القرآن في الليلة الواحدة خمس عشرة مرة وتوفي في عام ٩٢٣ هـ/١٥١٧ م(٣٧١) .

والشيخ ابراهيم بن عصيفير الذي كان يأتي القاهرة راكبا الذئب أو الضبع . وكان هناك شخص دائم الأذى له فدعا عليه ببلاء لا يخرج من بدنه الى أن يتوفى فتورمت رجلاه والتهبت وخرج منهما الصديد وترك الصلاة وأصبح كالأطفال ، ومن كراماته أيضا

أنه كان ينام مع الذئاب واذا توقع شيئا حدث فى الحال نحو توقعه لحدوث حريق فى مكان ما . ومر عليه شخص باناء فيه لبن ، فرماه منه فكسره فاذا فيه حية ميتة(٣٧٢) .

هذا وقد تطوع بعض رجال العلم من الصوفية لالقاء المواعظ والدروس على الطبقات الشعبية فى الطرقات ، غير مقيدين بمكان أو موضوع معين ، وكان يطلق على هؤلاء فى الشـــارع اســم القاص(٣٧٣) .

وبالنسبة لموقف سلاطين المماليك من التصوف فقد عرف عن بعض سلاطين المماليك احترامهم لفقراء « الصوفية » أو على الأقل تظاهرهم بذلك الاحترام كسبا للرأى العام فى البلاد والحصول على محبة الطبقة الشعبية(٣٧٤) ومنهم السلطان الظاهر بيبرس الذى اهتم بالتصوف والمتصوفة(٣٧٥) ، وقد بلغ من احترامه لهم أنه كان يدعوهم الى حضـــور حفلاته الرسمية(٣٧٦) ، كما أنه كان معاصرا للسيد أحمد البدوى(٣٧٧) . كذلك أحب السلطان لاجين الفقراء وعطف عليهم ، وكان يعتقد فى رجال الصـــوفية ومنهم الشيخ محمد بن مسعود الصوفى شيخ الصوفية فى رباط خانقاه سـعيد السـعداء ، وكان يعظمه كما كا نيجمع الفقراء حول مائدته(٣٧٨) . أما السلطان برقوق فقد رتب للمدرسة التى انشأها فيما بين القصرين عدداً من الصوفية وأجزل لهم فى المرتبات(٣٧٩)، بل ان زوجة السلطان خشقدم غلب عليها التصوف فاتبعت الطريقة الاحمدية ونسبت اليها ، وذهبت أكثر من مرة لزيارة ضريح السيد البدوى بطنطا(٣٨٠) وقد وردت أسماء بعض الصوفية فى بعض الكتابات المملوكية منهم أبو بكر بن يونس الصوفى خادم السيدين الشافعى والليث بن سعد ، ومنهم أيضا أبو الخير محمد الصوفى الشافعى وكيل السلطان جقمق(٣٨١) .

هذا عن موقف سلاطين المماليك تجاه التصوف والمتصوفة ، ومع تدهور الأحوال الاقتصادية والسياسية والاجتماعية فى أواخر العصر المملوكى تدهورت أحوال التصوف والمتصوفة ، فأصبحت حياتهم مليئة بالفساد والرذائل الخلقية ، فضلا عن أنهم تخلوا عن النظم والآداب التى عرفوا بها بين الناس(٣٨٢) ، ونتيجة لذلك فقد احترف كثير من الأدعياء التصوف واتخذوه أداة للكسب ، فاحترف التصوف أهل الغفلة من الناس وبالتالى اختلط الدجالون بالصادقين من أهل الطريق(٣٨٣) وضمت الخوانق كثيرا من الدخلاء الذين لم يقبلوا هذه الحياة رغبة فى الزهد وانما هروبا من قسوة الحياة ، الى جانب حياة الفقر والفاقة التى كانت تحياها الطبقات العشبية فتمتعوا داخل الخوانق بحياة رغدة ، وقد شغلت الدنيا أذهانهم فانصرفوا عن الذكر والعبادة الى البحث عن المال والمتعة ، حتى أنه الحق بعض الصوفية بأكثر من خانقاه طمعا فى المال(٣٨٤) ، وهو الأمر الذى دفع الذين يتولون أمر الخوانق باعادة النظر فيمن يلحق بها ، وكان من نتيجة ذلك استبعاد من ازدادوا ثراء من الشيوخ نتيجة وجودهم فى هذه الخوانق(٣٨٥) .

وقد اشتهر الصوفية فى عصر المماليك بأفعالهم الغريبة التى نسبوها للدين ، فحلق بعضهم راسه ولحيته وحاجبيه ورموشه ، وعاش حياة تشبه المجانين زاعما أن ذلك تطهرا ، وقد كان البعض واضعا القرون والبعض الآخر يلطخ نفسه ويضع الريش ، ويحمل غيرهم اعمدة تنتهى بمصابيح تتدلى منها الأضواء(٣٨٦) ، ومن أفعال المجاذيب ان يركب الواحد منهم فى قفص على راس حمال ويزعمون أن ذلك ضرب من التقوى والعبادة ، وقد يتمادى بعض المتصوفة ويدعى النبوة(٣٨٧) وقد وصف البعض هيئة أحد رجال الصوفية فى تلك الآونة بقوله « شيخ مسن فقير حرفوش مكشوف الراس منفوش الشعر ، عليه دلق دقيق ، بالى الخلقة رقيق ، قد

تمكن منه الوسخ ، ونبت فيه ورسخ قد جمعه من عدة رقاع ، له مدلاة يستدفىء بنارها »(٣٨٨) .

وقد فتح بعض المتصــــوفة دكاكين للكوبة(٣٨٩) والبطالة وانشغلوا بالأكل والشرب والغناء ، وكانت هذه الطائفة من المتصوفة تتواجد حيث يسمع الغناء فتصفق وتصيح وتمزق ملابسها ، واذا تمكن الطرب منها فى حالة رقصها جذب حدهم بعض الجالسين ليرقص معه ، واذا كشف أحدهم رأسه كشف الباقون رءوسهم موافقة له(٣٩٠) . وكانت عادة النساء ان يشاهدن غناء الدراويش من فوق الأسطح ، وقد نسب لبعض الصوفية قوله : « أن فى الجنة كراسى يجلس عليها الصوفية وهى تميل بهم وتدور كأنهم يرقصون(٣٩١) ، بل وقد سادت مثل مظاهر اللهو هذه حتى ان بعض السلاطين أصدر أوامره فى عام ٨٥٢ هـ/١٤٤٨ م باقامة المزمار والرقص والغناء فى بعض الزوايا وذلك بمقتضى مرسوم ، ومن الأشعار التى قيلت :

الضرب بالطار والتشبيب بالقصــب
شــيئان قد عرفا باللهو والطــرب

انى لأعجب من قوم وطيشـــــهم
وإن أمـــــرهم من اعجب العجب

ومطربانين لا تصـــفى لقولهمـــا
فالشرع قد حرم الاصــفاء للطرب

وان نقروا الطار أموا يرقصــون له
شــبه القرود الأســحقا المرتكب

صـــوفية احدثوا فى ديننا لعبـــا
وخالفوا دين المصـــطفى العـربى

أهــــل المراقص لا تاخــذ بمذهبهم
قد تمادوا على التمويه والـــكذب

من اقتدى بهم قد ضـــــــل مثلهم
ســحقا لمذهبهم لو كان ذهب(٣٩٢)

والبعض الآخر أباح اختلاط الرجال والنســاء والخلوة بهن والفسق بالاولاد(٣٩٣) ، كما شاع أكل الحشيشة بين مدعى الصوفية وقد أطلق عليها اسم « حشيشة الفقراء »(٣٩٤) ، وكان تاثير ذلك على الطبقات الشعبية كبيرا حتى وصل الأمر بالطبقات الشعبية انهم كانوا يقدمون المتزهدين على العلماء فلو رأوا جبة صوف على جاهل عظموه لدرجة وصلت بهم الى تصديق أولئك المدعين فيما يقولونه حتى ولو خرجوا عن حدود الشرع(٣٩٥) . كذلك زينوا للناس حياة الفقر والقذارة والتسول والرضا بالعيش من الصدقات والنذور التى كانت قوام المعيشة لأولئك الدراويش(٣٩٦) . وربما كان ذلك أحد أوجه التأثير السلبى للصوفية فى تلك الفترة ، فقد خلقوا لديهم حالة من القناعة بأحوالهم المتدنية الأمر الذى عطل لديهم الرغبة فى تغير تلك الأحوال .

وقد وصل بهم الأمر الى تحريف جوانب جوهرية فى الاسلام ومن ذلك قيام البعض بقراءة ما يزعم أنه قرآن كريم(٣٩٧) ، وصعود بعضهم الى منبر المسجد عاريا ليخطب فى الناس ، يضاف الى ذلك التهاون فى فرائض الدين فالبعض كان يظل على وضوئه سبعة أيام امتدت الى أحد عشر يوما ، والبعض الآخر كان يتوضأ أول رمضان فلا يتوضأ ثانية الا بعد العيد بستة أيام(٣٩٨) .

ولجأ بعض من ادعى الصوفية الى السرقة ومن ذلك أنه قبض على صوفى من خانقاه سعيد السعداء لقيامه بفتح مخزن

القمح المخصص للخبز وسرق بعضه ، غامر الوالى بضربه بالمقارع وأشهر على حمار فى الأسواق(٣٩٩) . هذا عن أهم انحرافات مدعى الصوفية فى أواخر العصر المملوكى وتدهور أحوالها وقد صدق عليهم قول المقريزى « لا ينسبون الى علم ولا ديانة والى الله المشتكى »(٤٠٠) .

ومن الأهمية أن نشير الى أنه الى جانب سكن الصوفية فى الخوانق والربط والزوايا فان جزيرة الروضة(٤٠١) كانت من الأماكن التى سكنها المتصوفة والزهاد ، ومنهم الشيخ عبد الرحمن بن موسى الصالح الخير(٤٠٢) والشيخ محمد بن وفا(٤٠٣) ، وكذلك سكن الروضة أيضا الشيخ الكازورنى(٤٠٤) الذى ظل مقيما فيها حتى توفى عام ٧٧٤ هـ/١٣٦٣ م(٤٠٥) .

وقدن كان للمرأة دور كبير فى التصوف ، وكانت هناك نساء متصوفات شهيرات(٤٠٦) ، فقد سلكت بعض النساء فى عصر المماليك طريق التصوف ، فلبسن الخرق كما يلبسها المتصوفة من الرجال وأطلق عليهن الشيخات أو الفقيرات(٤٠٧) . وقد نقد ابن الحاج سلوك المتصوفات ورفع أصواتهن بالذكر(٤٠٩) ، وكانت غالبيتهن من بين الأرامل والمطلقات اللائى أقمن فى الأربطة(٤٠٩) والخانقاوات لما أشتهرت به من شدة الضـبط ، وغاية الاحتراز والمواظبة على وظائف العبادات تحت رئاسة شيخاتهن اللائى حرصن على الباس الصـوف لمن تتوب على أيديهن وادخالها فى طريقتهن مثلما يفعل مشايخ الصوفية من الرجال(٤١٠) .

وكان للخانقاوات والربط والزوايا دور سياسى واقتصادى مهم ، فقد اهتم السلاطين ببنائها ومعاونة من يقيم فيها من المتصوفة وذلك لتصبح ملجأ لأهل القاهرة من الطبقات الشعبية ، ولالهاء مثل

هذه الفئة ولفت أنظارها عن احوالها الاقتصادية المتدهورة ، خاصة وانه كان لأهل التصوف مكانة مرموقة لدى الطبقات الشعبية اتخذته لها مظهرا من الطاعة والامتثال لما يأمرون به . كما استخدم السلاطين متصوفة هذه الخانقاوات فى عزل الخلفاء والحد من نفوذهم اذا طمعوا فى تولى السلطنة(٤١١) .

ولعل من الأسباب التى أدت الى اقبال الناس فى القاهرة على الخوانق وتهافتهم على سكناها ، الى جانب ازدياد الشعور الدينى ، كثرة ما أوقف عليها من أوقاف ، فيحدثنا المقريزى(٤١٢) عن الامتيازات التى كان يحصل عليها ساكن الخانقاه فيقول « انه رتب للصوفية فى كل يوم ثلاثة أرغفة زنتها ثلاثة ارطال خبز وقطعة لحم زنتها ثلث رطل فى مرق ، ويعمل لهم الحلوى فى كل شهر ويفرق فيهم الصابون ، ويعطى كلا منهم فى السنة ثمن كسوة قدر اربعين درهما، ومن أراد السفر منهم يعطى تسفيره واذا مات أحد الصوفية وترك عشرين دينارا فما دونها كانت للفقراء »(٤١٣) وكانت المتصوفة من اهل الخوانق والربط على عهد السلطان الظاهر برقوق يفطرون فى شهر رمضان على رطل لحم مطبوخ لكل واحد منهم ، ويفرق عليهم نحو مائة ألف درهم فضة على كل عشرين زاوية الى جانب خمسين رطلا من اللحم وعدة أرغفة(٤١٤) .

كما كانت الخوانق مأوى لطوائف المريدين يقيمون فيها ليلهم ونهارهم ، كما اتخذت كذلك مأوى لأصحاب العاهات وكبار السن والعميان ، فضلا عن المطلقات من النساء(٤١٥) .

ومما يلاحظ أن المصادر المملوكية لا تكاد تروى فى عرضها لتمرد الطبقات الشعبية أن صداما حقيقيا قد وقع بين «الفقراء» من أهل الخوانق والربط والزوايا وسلاطين المماليك مما يوضح

أمرين : الاول مدى هيبة الصوفية فى نفوس الطبقات الشعبية والتى تجاوزت هيبة العلماء والفقهاء وهو ما أشار اليه احد العلماء فى القرن السادس الهجرى بقوله : « ومن فرق الصوفية من ينظر الى الفقهاء والمفسرين والمحدثين وأصناف العلماء بعين الازدراء ، وكثيرا ما كان العوام يتركون أعمالهم ، ويلازمون هؤلاء أياما معدودة»(٤١٦). والأمر الثانى هو أن الأسباب التى قام عليها تمرد الطبقات الشعبية فى القاهرة لم تكن موجودة لدى هؤلاء الصوفية أساسا فى ظل الرعاية الاجتماعية لهم من جانب السلاطين ومن ثم كان من اليسر أن تستخدم هذه الفئة فى خدمة سلاطين المماليك لشغل الطبقات الشعبية عن مشكلات حياتهم اليومية وبالتحدث لهم عن الفضائل والقيم المعنوية ، فضلا عن نشر ما يدعون له فى ظل المجاعات والمظالم والأوبئة المستمرة(٤١٧) . وهكذا نجد ان السلطان والأمراء استطاعوا امتصاص تذمر الفقراء والمحتاجين الذين كانوا يشكلون خطرا كبيرا على ملكهم باقامة الخوانق والربط والزوايا .

هوامش الفصل الثانى

(١) نشأت الدولة الاسلامية فى مجتمع عربى معتمد فى أساسه على التجارة لا الزراعة دون أن يعرف شيئا من الاقطاع ، وقد تبلور الاقطاع فى عهد البويهين واستقر كنظام حربى الى جانب كونه اقتصاديا فى عهد السلاجقة ، ويعتبر عصر سلاطين المماليك العصر الذى اكتملت فيه النظم الاقطاعية الحربية ، وقد اتسم المجتمع الاقطاعى المملوكى بتفاوت كبير بين الطبقة الحاكمة والطبقات المحكومة ، فنجد مظاهر البذخ على أوجها فى قصور السلاطين ، ويقابل هذا الثراء الفاحش الطبقات الشعبية من صغار التجار، وأرباب الحرف كالخباز وغاســـل الموتى والناطور وغيرهم الذين كانوا على النقيض من سابقيهم ، فبقدر ثراء أولئك كان فقر هؤلاء ، بل لقد عمل سلاطين المماليك على أن يظل الفارق بينهم وبين الطبقات الشعبية ثابتا ، فكان يحرم بيع المماليك لأحد الطبقات الشعبية فاذا لم يلتزم هؤلاء بذلك تعرضوا للعقاب الصارم ، ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، حـ ٩ ، ص ٩٢ ، خليل بن شاهين زبدة كشف الممالك ، ص ٢٤ ، ص ١٢٥ ، ابراهيم طرخان ، النظم الاقطاعية فى الشرق الأوسط فى العصور الوسطى ، دار الكتاب العربى ، القاهرة ١٩٦٨ ، ص ٥ ، ص ٦ ، ص ٦٣ ، أحمد رمضان : المجتمع الاسلامى فى بلاد الشام ، ص ٢٢١ ، ص ٢٣٣ .

(٢) Holt (P.M.) scenes of daily life From Mamluk miniatures, the eastern Mediterranean lanos in the period of the Crusades, worminster, England, 1977, P. 79.

Pollak (AN) : sonne notes on the Feudol system of the Mamluks, jras, 1937, P. 97 107, Poltak (N) : Feudalism in Egypt, Syria, Palestin, and the Lebenan, 1250 — 1900, the Royol

asiatic society, London, 1939, PP. 1 — 17, lane poole : history of Egypt P. 252 — 253.

(٣) محمد رجب النجار : الشعر الشعبى فى عصور المماليك ، عالم الفكر ، م ١٤ ، العدد الأول ، ابريل مايو يونيو ، ١٩٨٣ ، ص ٢٠٦ .

(٤) Muir Sir William : The Mamelukor slaves dynasty of Egypt, press, 1968, P .4.

(٥) Sobernhetm (M) : Mamluks, Encyclopaedia of Islam, Vol. 7. leiden 1987. P. 217.

سعيد عاشور : التدهور الاقتصادى فى دولة سلاطين المماليك فى ضوء كتابات ابن اياس (٨٧٢ — ٩٢٣ هـ/١٤٦٨ — ١٥١٧ م) ، دراسات وبحوث اشراف أحمد عزب عبد الكريم ديسمبر ١٩٧٣ وللمؤلف نفسه اضواء جديدة على المؤرخ احمد بن على المقريزى وكتاباته ، مجلة عالم الفكر ، م (١٤) العدد الثانى ١٩٨٣ ، ص ٤٥٤ .

(٦) Lane Poole : The Mohammadan Dynasties, P. 80.

(٧) انظر ابن اياس ، بدائع الزهور ، حـ ٣ ، ص ٢٤٢ .

(٨) انظر ص ١٢٧ من هذا الفصل وما بعدها .

(٩) ابن سعيد المغربى : المغرب فى حلى المغرب ، حـ ١ ، من القسم الخاص بمصر طبعة ١٩٥٣ ، ص ٣١٦ ، ابن تغرى بردى : النجوم ، حـ ٨ ، ص ٨٣ ، ص ٨٤ ، حـ ٧ ، ص ٣٤٥ ، حـ ٩ ص ٢١٥ ، ابن شاكر الكتبى : فوات الوفيات حـ ٢ ، ص ٣٩٨ ، ص ٣٩٩ ، ص ٢٣٦ ، ص ٢٣٧ ، ابن العماد ، شذرات الذهب ، حـ ٥ ص ٣٦٤ ، حـ ٦ ، ص ٢٧ ، الشوكانى ، البدر الطالع بمحاسن ما بعد القرن التاسع طبعة ١٣٤٨ ، حـ ٢ ، ص ١٧١ ، السيوطى : حسن المحاضرة، حـ ٢ ، ص ٣٢٧ ، ابن حجر : الدرر الكامنة ، حـ ٣ ، ص ٤٣٤ ، عبد العليم القبانى : مع الشعراء أصحاب الحرف ، القاهرة ١٩٦٧ ، ص ٤ ، أحمد صادق الجمال : الأدب العامى فى مصر ، القاهرة ١٩٦٦ ، ص ١٩١ ، محمد زغلول سلام ، الأدب فى العصر المملوكى القاهرة ١٩٧١ ، من ص ١٣٥ الى ص ١٥٠ .

(١٠) يقول الجزار عندما حل شهر رمضان وقد وقف أمام « دكان الكنافة » :

ما رأت عينى الكنافة الا   عند بياعها على الدكان
ولعمرى ما عاينت مقلتى قطرا   سوى دمعها من الحرمان

وكم ليلة شبعت من الجوع عشاء اذا جزت بالحلوانى
حسرات يسوقها الطرف للقلب نويل للفكر عند العيان

وهذه أبيات اختلطت فيها أمانى الجياع بأحلام الفقراء :

قالوا تحب الدبس قلت بالسلى
والبيض مشوى تحبه قلت والمقلى

محمد رجب النجار : الشعر الشعبى فى عصور المماليك ، عالم الفكر ، ص ٢٠ .

(١١) انظر ص ١٤٠ وما بعدها ، ص ١٤٣ وما بعدها .
(١٢) علاء طه : العامة فى القاهرة ، رسالة ماجستير ، ص ٨٦ .
(١٣) ابن اياس : بدائع الزهور ، حـ ٣ ، ص ٢٤٢ .
(١٤) المصدر نفسه والجزء ، ص ٣٣١ .
(١٥) ابن اياس : بدائع الزهور ، حـ ٤ ، ص ٥ ، ص ١٧ .
(١٦) ابن اياس ، حـ ٤ ، ص ٢٤٢ .
(١٧) المصدر نفسه السابق والجزء ، ص ٤٨٥ .
(١٨) المقريزى : السلوك ، حـ ٢ ق (١) من ص ١٥٠ الى ص ١٥٣ .
(١٩) أطلق على بعض هذه الأموال اسم المشاهرة لأنها كانت تجبى منهم شهريا ، على حين أطلق على البعض الآخر اسم المجامعة لانها كانت تجبى منهم كل جمعة . قاسم عبده قاسم : أسواق مصر فى عصر سلاطين المماليك القاهرة ١٩٧٨ ، ص ٤٢ ، ص ٤٥ .
(٢٠) ابن اياس : بدائع الزهور ، حـ ٤ ، ص ٣٢٠ ، ص ٣٢٨ ه
(٢١) الزغل النقود المزيفة عامة ، ويسمى مزيفوها باسم الزغلية ، المقريزى : السلوك ، حـ ٢ ق (١) هامش (٤) ص ٢٠٥ .
(٢٢) النويرى : نهاية الأرب فى فنون الأدب ، مخطوط مصور فى ٣٢ جزءا ، دار الكتب المصرية رقم ٥٤٩ معارف عامة ، حـ ٣١ ، ورقة (٢) .
(٢٣) المقريزى : السلوك ، حـ ٢ ق (١) ص ٢٠٥ ، ص ٢٠٦ .
(٢٤) ابن اياس : بدائع الزهور ، حـ ٣ ، ص ١٠٥ ، ص ١٠٦ .
(٢٥) جماعة من الرجال الذين اصطنعهم هذا الوالى وجعل منهم عونا له على ما يريد من وسائل التشديد والمراقبة والتهديد . المقريزى : السلوك ، حـ ٢ ق (١) ، ص ٣٠١ .

(٢٦) المقريزى : السلوك ، حـ ٢ ق (١) ، ص ٣٠١ .
(٢٧) المقريزى : اغاثة الأمة ، ص ٣٧ ، ص ٣٨ .
(٢٨) ابن اياس : بدائع الزهور ، حـ ١ ق (٢) ص ٢١٠ .
(٢٩) انظر د/ أحمد عبد الرازق أحمد : البذل والبرطلة زمن سلاطين المماليك (دراسة عن الرشوة) الهيئة العامة للكتاب ١٩٧٩ ، ص ٢٥ وما بعدها .
(٣٠) المقريزى : السلوك ، حـ ٤ ق (١) ، ص ١١ ابن اياس : بدائع الزهور حـ ١ ق (٢) ، ص ٧٤٣ .
(٣١) ابن اياس : بدائع الزهور ، حـ ٤ ، ص ٤٤ وما بعدها .
(٣٢) السخاوى : التبر المسبوك ، ص ١٤٦ .
(٣٣) المصدر السابق ، ص ٣٤٩ .
(٣٤) Abd Al-Raziq (Ahmed) : Le vizirat et les vizirs D'Egypte au temps des Mamluks, Annales islamologiques, T. XVI, 1980 PP. 235. 236.
ابن اياس : بدائع الزهور ، حـ ٢ ، ص ٤١٤ ، حـ ٣ ، ص ٢٢ ، محمد مصطفى : صفحات لم تنشر من بدائع الزهور فى وقائع الدهور ، القاهرة ١٩٥١ ، ص ١٣٦ ، ص ١٣٧ .
(٣٥) ابن اياس : بدائع الزهور ، حـ ٣ ، ص ١٩٢ .
(٣٦) المصدر السابق نفسه : حـ ٤ ، ص ٣٧٦ ، ص ٣٧٧ .
(٣٧) سيرة الظاهر بيبرس ، الطبعة الأولى خمســـون جزءا ، مطبعة عبد الحميد حنفى بدون تاريخ م (١) ، حـ ٨ ، ص ٤٦٢ .
(٣٨) ابن الحاج : المدخل ، حـ ٤ ، ص ١٥٥ .
(٣٩) الشربينى : هز القحوف فى شرح قصيدة أبى شادوف ، دار الطباعة العامرة بولاق ١٢٧٤ هـ ، ص ١٦٨ ، حلمى سالم : اقتصاد مصر الداخلى وأنظمته فى العهد المماليكى ، الاسكندرية بدون تاريخ ، ص ٨٠ .
(٤٠) محمد محمود الجهينى : شارع باب البحر منذ نشأته وحتى نهاية العصر العثمانى ، رسالة ماجستير غير منشورة جامعة القاهرة كلية الآثار ، ١٩٨٨ ، ص ١٣٧ وما بعدها .
(٤١) بدايته من نهاية شارع سوق الخشب ونهايته شارع قنطرة الدكة ويقع به الجامع المشهور بجامع الشيخ محمد البحر ، على مبارك ، الخطط التوفيقية، حـ ٣ ، ص ٧٧ .

(٤٢) هذا الباب هو أحد أبواب القاهرة الخارجية فى سورها البحرى الذى انشاه صلاح الدين غربى الخليج المصرى فى المسافة التى بين الخليج وباب البحر بالقرب من الخليج . ابن تغرى بردى : النجـــوم الزاهرة ، حـ ١١ ، ص ٦٣ هامش (٣) .

ينقسم هذا الشارع الى قسمين شارع باب الشعرية الصغير ويبدأ من شارع الطنبلى بجوار قنطرة العدوى وينتهى بشارع باب الشعرية الكبير ، والذى يبدأ من أول شارع الشـــعرانى وبداية شارع مرجوش ، على مبارك ، الخطط التوفيقية ، حـ ٣ ، من ص ٧٥ الى ص ٧٧ .

(٤٣) يقع هذا الجامع بخط المقس خارج القاهرة ، اقامة الشيخ المعتقد أحمد المعروف بالزاهد واكتمل بناؤه فى عام ٨١٨ هـ/١٤١٥ م ، وكان الشيخ الزاهد هذا مشهورا بالخير ومن وعاظ الأزهر توفى فى ٨١٩ هـ/١٤١٦ م ، المقريزى : الخطط ، حـ ٢ ، ص ٣٢٧ ، ص ٣٢٨ .

(٤٤) تقع بخط المقس بالقرب من باب البحر ، وقد عرفت باسم مسعود ابن محمد بن سالم العياط لسكنه بالقرب منها ، وهناك من يرجع سبب هذه التسمية الى أنه طرح ناظر الخاص ايام الناصر محمد بن قلاوون على أهل هذه السويقة كمية من عسل القصب والزمهم بدفع عشرين درهما نظير كل قنطار ، فوقفوا بين يد الناصر محمد بن قلاوون ووصل بهم الأمر الى أن عيطوا لقبول رجائهم باعفائهم من هذا الإلتزام فسميت هذه السويقة بعد ذلك باسم سويقة العياطين : المقريزى : الخطط ، حـ ٣ ، ص ١٠٧ .

(٤٥) المقريزى : الخطط ، حـ ١ ، ص ٣٤٦ وما بعدها .

(٤٦) ابن اياس ، بدائع الزهور ، حـ ١ ق (٢) ، ص ٤٢٠ ، حـ ٥ ، ص ٢٨ .

(٤٧) هو منطاش الأشرفى نسبة الى الأشرف شعبان بن حسين كان اسمه تمربغا ، تنقل فى المناصب الى أن ولاه برقوق نيابة السلطنة بملطية فى عام ٧٨٨ هـ/ ١٣٨٦ م فجمع كثيرا من التركمان وأظهر العصيان ضد برقوق ، فلما علم برقوق بذلك جهز اليه عسكر ، فاضطر الى الفرار ، واتفق أن يلبغا الناصرى عصى برقوق واستولى على الملكة وأعاد السلطان زين الدين حاجى واستقر منطاش أميرا كبيرا ، ثم استولى منطاش على الملكة ، وعندما علم بقدوم برقوق جهز له جيشا ولكن برقوق هزمه واستولى على السلطنة وقبض على منطاش وقتل فى عام ٧٩٥ هـ/ ١٣٩٢ م ، ابن حجر ، الدرر الكامنة ، حـ ٤ ، من ص ٣٦٤ الى ص ٣٦٦ .

(٤٨) يلبغا الناصري سيف الدين من أتباع يلبغا الكبير الناصري فنسبه كنسبه ، وكان مشهورا بشجاعته وحكمته : وحينما تسلطن برقوق عزله عن امرة حلب ، ثم أفرج عنه وأعيد الى امرة حلب ، وفي هذه المرة اصطدم بمنطاش ، ثم عصى يلبغا برقوق فجهز له عسكرا ولكن الناصري هزمهم ووصل القاهرة واعاد حاجي الى السلطنة وأرسل برقوق الى سجن الكرك الى أن تخلص برقوق من سجنه وجهز جيشا هزم منطاش ، واستولى على السلطنة مرة ثانية ففرح الناس بعودته ، ابن حجر : الدرر الكامنة ، حـ ٤ ، من ص ٤٤٠ الى ص ٤٤٢ .

(٤٩) ابن اياس : بدائع الزهور ، حـ ١ ق (٢) ، ص ٤٢٠ ، حـ ٥ ، ص ٢٨ .

(٥٠) ترتبط وظيفة المحتسب بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ومراعاة الآداب العامة والاشراف على الأسواق ، ويعتقد أنها امتداد لوظيفة Agoranomos في الدولة الهلينية . وظهرت وظيفة الحسبة في القرون الأولى للعصر الاسلامي ، وقد تأخر ظهورها في مصر الى القرن ٦ هـ/١٢ م وربما يرجع السبب في ذلك أن مهام المحتسب كانت من اختصاص القاضي ، ويبدو أنها لم تكن موجودة في عهد الطولونيين ولم تكن مستقرة في عهد الاخشيديين والفاطميين . وأصبحت نظاما ثابتا ومنظما في العصر المملوكي الأول ، ومع ازدياد الرشوة والبذل والبرطلة في العصر الثاني تضاءلت مكانة هذه الوظيفة وأصبح الحصول على هذا المنصب مرتبطا بدفع مبالغ مالية محدودة وذلك في عام ٧٧٩ هـ/١٣٧٧ م ، ومن هنا تولى هذا المنصب غير الأكفاء القادرين على دفع الأعباء المالية لهذه الوظيفة وقد كان العجز عن الوفاء بهذه الأعباء المالية كفيلا بخلع المحتسب من منصبه ، ومن أشهر الأمثلة على ذلك حالة صدر الدين أحمد بن العجمي الذي عين في هذا المنصب عام ٨١٥ هـ/١٤١٣ م بعد أن دفع للسلطان ألف دينار ولما عجز عن الدفع خلع من منصب الحسبة واضطر الى بيع أملاكه لدفعها عليه وبالتالي يفلت من العقوبة .
Ahmed Abd Al-Raziq : La Hisba le Muhtasib en Egypte au temps des Mamluks, annales islamalogiques, TXIII, 1977. PP. 115, 116 126.

(٥١) انظر ص ٩٩ من هذا الفصل .

(٥٢) المقريزي : الخطط ، حـ ٣ ، ص ٤٤ .

(٥٣) ابن الحاج : المدخل ، حـ ٤ ، ص ١٧٢ وما بعدها .

(٥٤) ابن بسام : نهاية الرتبة ، ص ٢٣ ، المقدسي : احسن التقاسيم ، ص ١٩٦ ، حلمي سالم : اقتصاد مصر الداخلي ، ص ٨٢ .

(٥٥) وكانوا يغنون مع رقصهم انظر الفصل الثالث ص ٢٠٦ هامش (٢) .

(٥٦) ابن الحاج : المدخل ، حـ ٢ ، ص ١٧٣ ، ص ١٧٤ .

(٥٧) الكماج جمع كماجة ، وهى كلمة فارسية الأصل ومعناها الخبز شديد البياض ، المقريزى السلوك ، حـ ٢ ، ق (١) ، ص ١٩٦ ، هامش (٤) .

(٥٨) المقريزى : الخطط ، حـ١ ، ص ٤٥ .

(٥٩) أرثر كوول : الصناعات والصناع ، ترجمة موض جندى ، ط ١ ١٩٢٧ ، ص ٤٤ .

(٦٠) علاء طه رزق : عامة القاهرة ، رسالة ماجستير ، ص ٤١ .

(٦١) المقريزى ، الخطط ، حـ ٣ ، ص ١٧٣ .

(٦٢) محمود الجهينى ، شارع باب البحر ، رسالة ماجستير ، ص ١٤١ .

(٦٣) ابن اياس ، بدائع الزهور ، حـ ٢ ، ص ١٠٤ ، علاء طه ، عامة القاهرة فى عصر سلاطين المماليك ، رسالة ماجستير ، ص ٤١ .

(٦٤) محمود الجهينى ، شارع باب البحر ، رسالة ماجستير ، ص ١٣٨ وما بعدها .

(٦٥) ابن الحاج ، المدخل ، حـ ٤ ، ص ١٩٠ .

(٦٦) وقد وضح ابن الحاج ذلك بقوله « أو يقدرون على نعله بمشقة تلحقهم فى محاولته ، المصدر السابق والجزء والصفحة .

(٦٧) Wiet (G) . Les Mosques du Caire, 1932, P. 78.
Dopp : Op. Cit., P. 108.

المقريزى: الخطط ، حـ ١ ، ص ٥٠ ليو الافريقى ، وصف أفريقيا ، ص ٥٩٢ ، جاستون فيت : القاهرة مدينة الفن والتجارة ، ص ١٠٨ .

(٦٨) Wiet : Op. Cit., P. 78.

ليو الافريقى ، وصف أفريقيا ، ص ٥٩٢ . .

(٦٩) سعيد محمد مصيلحى : أدوات وأوانى المطبخ المعدنية فى العصر المملوكى ، رسالة دكتوراه ، جامعة القاهرة كلية الآثار ، ١٩٨٣ ، ص ٢ ، ص١٧ .

(٧٠) كما يفهم من ابن الاخوة أنها كانت عبارة عن السجق الذى يصنع من لحم الضأن ، ابن الاخوة : معالم القربة ، ص ١٥٨ وما بعدها ، والنقانق صانع المصارين المحشوة باللحم والتوابل والبصل . الشيزرى : نهاية الرتبة ، ص ٣٨ .

(٧١) الكبودين الذين يقومون بطهى الكبدة وبيعها للناس ، ابن الاخوة : معالم القربة ، ص ١٥٩ .

(٧٢) البواردييين انظر الفصل الأول ، ص ٣٢ هامش (٧) .

(٧٣) الباز العرينى : الحسبة والمحتسبون فى مصر ، المجلة التاريخية المصرية ، المجلد (٣) عدد (٢) أكتوبر ١٩٥٠م ، ص ١٦٤ ، أما فيما يختص بمحتسب الفسطاط فقد كان يخضع لأشراف الخزانة العامة وكان نفوذه يمتد الى الناحية القضائية فى صعيد مصر ، ولا نجد معلومات تتصل بوظيفة محتسب الفسطاط فيما بعد عام ٨٤٣ هـ/١٤٤٠ م .

Ahmed Abd Al-Raziq : les Muhtasibs de Fastatau temps des Mamluks. annales islamologiques, XIV, 1978 P. 127.

(٧٤) وهى الجزارة ، ابن الحاج، المدخل ، حـ ٤ ، ص ١٨٢ .

(٧٥) المصدر السابق نفسه والجزء والصفحة .

(٧٦) كان يعين من قبل المحتسب لمعاونته فى الاشراف على شئون مختلف الحرف والصناعات بشرط أن يكون ماهرا فى حرفته بصيرا بوسائل الغش والتدليس، مشهورا بالثقة والأمانة ، ويقوم باحاطة المحتسب علما بما يرد للسوق من السلع والبضائع الى جانب ما يطرأ على الاســعار من تغير ان ارتفاعا أو هبوطا . الشيزرى : نهاية الرتبة ، ص ١٢ .

(٧٧) ابن الاخوة : معالم القربة ، ص ١٦١ ، ابن بسام : نهاية الرتبة ، ص ٣٤ ، السبكى : معيد النعم ، ص ١٤٢ وما بعدها .

(٧٨) نعيت : القاهرة مدينة الفن ، ص ١٠٨ .

(٧٩) محمود الجهينى : شارع باب البحر ، رسالة ماجستير : ص ١٥٣ .

(٨٠) أى القوالين ويفهم من كلام ابن بسام ان الباقلانيين هم العلافون . ابن بسام : نهاية الرتبة ، ص ٥١ .

(٨١) المصدر نفسه والصفحة .

(٨٢) ابن الاخوة : معالم القربة ، ص ١٥٢ .

(٨٣) من يقومون ببيع الاكارع جمع لأكرع وكراع ، وهو الجزء المستدق العارى من اللحم من ساق البقر والغنم ، الشيزرى : نهاية الرتبة ، ص ١٧٢ .

(٨٤) انظر الفصل الأول ص ٣٩ .

(٨٥) المقريزي : الخطط ، حـ٣ ، ص ١٦١ .

(٨٦) ابن الاخوة : معالم القربة ، ص ١٨١ وما بعدها .

(٨٧) القاهرية صنف من الحلوى يدخل في صناعتها اللوز والعسل . ابن بسام : نهاية الرتبة ، ص ٥٧ هامش (٤) .

(٨٨) القند لفظ فارسي معرب ، وهو عسل قصب السكر . الشيزرى : نهاية الرتبة ، ص ٤١ هامش (٤) .

(٨٩) الخبايص جمع جبيصة ، وهى الحلوى التى تصنع من دقيق الحنطة مع دهن اللوز أو الشيرج ، ثم يضاف اليها بعد الطبخ شيء من السكر والعسل ، وترفع عن النار لتجمد . الشيزرى ، نهاية الرتبة ص ٤١ هامش (٤)

(٩٠) الصابونية نوع من الحلوى تصنع من الدقيق الذى يحمص بالسمن ، ثم يضاف اليها السكر واللبن ويعمل منه قوالب مثل الصابون . ابن الاخوة معالم القربة ، ص ١٨١ هامش (٣) .

(٩١) المصدر السابق ، ص ١٨٣ .

(٩٢) المصدر السابق ، ص ١٨١ وما بعدها .

(٩٣) ابن اياس : بدائع الزهور : حـ ٣ ، ص ١٨٦ حوادث ٨٨٦ هـ .

(٩٤) ابن الحاج : المدخل ، حـ ٤ ، ص ١٩٣ .

(٩٥) المفرد شرابى وهو صانع الأشربة ، الشيزرى ، نهاية الرتبة ص ٥٦ .

(٩٦) ابن الاخوة : معالم القربة ، ص ١٨٦ هامش ٨ ، ٢ ، ١٤ ، ص ١٨٨ هامش (٥) (٦) (٧) .

(٩٧) حلمى سالم : حرف وصناعات الأطعمة والأشربة فى العصر المملوكى، رسالة دكتوراه ، ص ١٥٠

(٩٨) ابن البيطار : الجامع لمفردات الأدوية والأغذية ، المطبعة العامرة ١٢٩١ هـ ١٨٧٤ م ، حـ ٣ ، ص ١٦٤ ، ص ١٦٥ .

وقد تكلم أبو صالح الأرمنى عن طمى أسوان الذى يصنع منه بعض الأكواب للمشروب الذى عرف باسم الفقاع

Abu — Saleh : Op. Cit., P. 66.

راشد البراوى : اقتصاد مصر ، ص ١٦٧ .

(٩٩) الجوارشيات : هى الأدوية الهاضمة للطعام والتى لها فائدة للمعدة ، ابن الاخوة ، معالم القربة ، ص ١٩٣ هامش ١١ ، وهذه الكلمة فارسية الأصل كوارش وعربت الى جوارش وهو نوع من الحلوى يصنع من السكر ، وعند الأطباء نوع من الأدوية ، السيد آدى شير ، معجم الألفاظ الفارسية المصرية ، بيروت ١٩٨٠ ، ص ٤٠ .

(١٠٠) ابن الحاج : المدخل ، حـ ٤ ، ص ١٤٥ وما بعدها .

(١٠١) محمد محمود : شارع باب البحر ، رسالة ماجستير ، ص ١٥٤ .

(١٠٢) المرجع السابق نفسه والصفحة .

(١٠٣) المقريزى : الخطط ، حـ ٣ ، ص ١٥٧ .

(١٠٤) ابن الحاج : المدخل ، حـ ٤ ، من ص ١٩٤ الى ص ١٩٦ .

(١٠٥) محمد محمود : شارع باب البحر ، رسالة ماجستير ، ص ١٤٨ ، انظر نظام طوائف الحرف ص ١١٠ من هذا الفصل وما بعدها .

(١٠٦) قاسم عبده : دراسات فى تاريخ مصر الاجتماعى ، ص ١٢٩ .

(١٠٧) السبكى: معيد النعم ، ص ١٣٤ ، علاء طه ، عامة القاهرة ، رسالة ماجستير ، ص ٤٥ .

(١٠٨) سيرة الظاهر بيبرس : م (١) حـ ٧ ، ص ٣٩٠ .

(١٠٩) المرجع السابق م (١) حـ ٦ ، ص ٣٧٨ ، علاء طه ، عامة القاهرة ، رسالة ماجستير ، ص ٤٥ .

(١١٠) ابن الاخوة : معالم القربة ، ص ٢٤٢ .

(١١١) المأبونون الذين هم دون مراهقة البلوغ . ابن الحاج : المدخل ، حـ ٤ ص ١٠٦ وما بعدها .

(١١٢) ابن الحاج : المدخل حـ ٤ ، ص ١٠٦ ، ص ١٠٧ .

(١١٣) محمد محمود : شارع باب البحر ، رسالة ماجستير ، ص ١٥٩ .

(١١٤) ابن الاخوة : معالم القربة ، ص ٣٢٦ ، ص ٣٢٧ ، ابن بسام : نهاية الرتبة ، ص ١٥٨ .

(١١٥) ابن بسام : نهاية الرتبة ، ص ١٥٨ .

(١١٦) ابن الاخوة : معالم القربة ، ص ٣٢٨ .

(١١٧) الابارين جمع أبارى نسبة الى عمل الابر . ابن بسام : نهاية الرتبة ، ص ٢٠٠ هامش (٢) .

(١١٨) ابن الاخوة : معالم القربة ، ص ٣٢٨ .

(١١٩) الارمهان لفظ فارسى الأصل (نرم آهن) ومعناه الحديد المطاوع ، المصدر السابق نفسه والصفحة .

(١٢٠) ابن بسام : نهاية الرتبة ، ص ٢٠٠ .

(١٢١) سعيد عاشور : العصر المماليكى ، ص ٣٩٦ ، ص ٤٠١ ، ص ٤٠٢ .

(١٢٢) ابن الاخوة : معالم القربة ، ص ٣٣١ .

(١٢٣) المصدر نفسه والصفحة .

(١٢٤) المصدر نفسه ، ص ٣٤٧ .

(١٢٥) Lane (EW) : an accaunt of the Manners and Customs of the Modern Egyption, London, 1871 Vol. II, P. 17.

(١٢٦) محمد عبد الستار عثمان : أسبلة القاهرة المملوكية ، القاهرة ١٩٨٧ ، المتحف العربى نشرة فصلية تعنى بأخبار المتاحف والآثار ، العدد الثالث ، ص ٨٦ .

(١٢٧) محمد محمود : شارع باب البحر ، رسالة ماجستير ، ص ١٥٦ .

(١٢٨) ابن الاخوة : معالم القربة ، ص ٣٤٩ ، الشيزرى : نهاية الرتبة ، ص ١١٧ ، ابن بسام : نهاية الرتبة ، ص ٢٥ .

(١٢٩) ابن الحاج ، المدخل ، جـ ٤ ، ص ١٧٧ .

(١٣٠) ليو الافريقى : وصف أفريقيا ، ص ٥٩٢ .

(١٣١) الفلس : وجمعه فلوس لا عملة صغيرة وكانت فى القاهرة على نوعين أحدهما المطبوع بالسكة وثانيهما غير المطبوع ، وكان النصف الثانى عبارة من قطع مكسرة من النحاس الأحمر أو الأصفر ويعبر عنها بالعتق ، القلقشندى ، صبح الأعشى ، جـ ٣ ، ص ٤٤٣ ، ص ٤٤٤ ، سعيد عاشور ، العصر المماليكى ، ص ٤٢٨ .

(١٣٢) ليو الافريقى : وصف أفريقيا ، ص ٥٩٢ .

(١٣٣) ابن بسام : نهاية الرتبة ، ص ٢٥ ، ابن الاخوة : معالم القربة ، ص ٣٤٨ .

(١٣٤) ابن الحاج : المدخل ، جـ٤ ، ص ١٨٢ .

(١٣٥) قاسم عبده : دراسات فى تاريخ مصر الإجتماعى ، ص ١٣١ .

(١٣٦) فييت : القاهرة مدينة الفن والتجارة ، ص ٩٧ .

(١٣٧) عبد الرحمن زكي : الأسبلة الأثرية في مدينة القاهرة ؛ مجلة كلية الآثار ، جامعة القاهرة ، العدد الثاني، ١٩٧٧ ، ص ٥٧ ، ص ٥٨ .

(١٣٨) سعيد عاشور : المجتمع المصري ، ص ٩٠ ، ص ٩١ .

(١٣٩) Lane-Poole : the Mohammadan Dynasties, P. 83.

(١٤٠) احمد عبد الرازق : الحضارة الاسلامية في العصور الوسطى ، القاهرة ١٩٨٣ م ، ص ٢٠٠ .

(١٤١) المزملة هي القدر من الفخار تكسى أو تلف أو تزيل بالقماش المبلول لحفظ الماء دون عفن . مصطفى نجيب : المزملة كبورد لمياه الشـــرب بمنشآت القاهرة في العصر المملوكي ، مجلة كلية الآثار ، العدد الثاني ١٩٧٧ ، ص ١٥١ ، ص ١٥٢ .

(١٤٢) المرجع السابق نفسه والصفحة .

(١٤٣) عبد الستار عثمان : اسبلة القاهرة المملوكية ، ص ٨٨ ، ص ٨٩ .

(١٤٤) السلب ضرب من الشجر ينبت متتابعا ويطول ويؤخذ ويبل ثم يشقق فتخرج منه مشاقة بيضاء كالليف واحدته سلبه وهو من أجود ما يتخذ منه الحبال . وقيل السلب ليف المقل وهو شجر يجروف باليمن : ابن منظور : لسان العرب ، حـ ١ ، ص ٤٥٦ ، ابراهيم أنيس ، المعجم الوسيط ، حـ ١ ، ص ٤٤١ .

(١٤٥) سعيد عاشور : المجتمع المصري ، ص ٢١ ، عبد الرحمن زكي : الأسبلة الأثرية ، ص ٥٩ .

(١٤٦) السبكي : معيد النعم ، ص ١٣٧ ، الشيزري : نهاية الرتبة ، ص ٨٨، أحمد رمضان ، المجتمع الاسلامي في بلاد الشام ، ص ١١٧ .

(١٤٧) ابن الإخوة : معالم القربة ، ص ٢٣٢ ، ابن بسام : نهاية الرتبة ص ١٣٠ ، السبكي : معيد النعم ، ص ١٤٦ ، ص ١٤٧ ؛ الشيزري : نهاية الرتبة ، ص ٣٧ .

(١٤٨) انظر ص ١٢٤ من هذا الفصل وما بعدها .

(١٤٩) ابراهيم حماده : خيال الظل ، من ص ٢٠٥ الى ص ٢٠٧ .

(١٥٠) ابن اياس : بدائع الزهور ، حـ ٣ ، ص ٣٥٨ .

(١٥١) احمد أمين : قاموس العادات والتعابير المصرية ١٩٥٣ ، ص ٣٢١ .

(١٥٢) شابرول : دراسة في عادات سكان مصر المحدثين : ترجمة زهير الشايب ، ط (١) ١٩٧٦ ص ١٤٧ .

(١٥٣) السبكى : معيد النعم ، ص ١٤٠ .

(١٥٤) خالف السبكى هذا الرأى بقوله « وأما ما تضعه المكارية من الجلاجل فى رقاب الحمير فانه مكروه : المصدر السابق نفسه ، ص ١٤١ .

(١٥٥) العراص : جمع عرصة ، وهى المكان الواسع الذى لا بناء فيه ، الشيزرى : نهاية الرتبة ، ص ١٣ ، هامش (٦) .

(١٥٦) ابن بسام : نهاية الرتبة ، ص ١٦٥ ، الشيزرى : نهاية الرتبة ، ص ١١٧ ، ص ١١٨ .

(١٥٧) السبكى : معيد النعم ، ص ١٤٥ .

(١٥٨) المقريزى : السلوك ، حـ ٢ ، ص ٢٢٥ ، هامش (١) ، سعيد عاشور العصر المماليكى ، ص ٤٤٤ .

(١٥٩) المصدر نفسه والصفحة ، كان الشيخ على الخوص (شيخا صوفيا جليلا) يعظم أرباب الحرف النافعة فى المجتمع كالسقاء والزبال والطباخ والفخرانى والطوافين بالبضائع على رءوسهم ، عبد الوهاب الشعرانى : الطبقات الكبرى ، بدون تاريخ ، حـ ٢ ، ص ١٣٥ ، ص ١٣٦ .

(١٦٠) السبكى : معيد النعم ، ص ١٤٦ .

(١٦١) الشيزرى : نهاية الرتبة ، ص ١١٣ ، ابن بسام : نهاية الرتبة ، ص ١٧٩ .

(١٦٢) الأضراء : جمع ضرير ، وهو الأعمى . الشيزرى : نهاية الرتبة ، ص ١١٣ ، هامش (٢) .

(١٦٣) ابن بسام : نهاية الرتبة ، ص ١٦٦ .

(١٦٤) ابن تغرى بردى : النجوم ، طبعة ١٩٧١ ، حـ ١٥ ، ص ٩٣ ، ص ٩٤ ، ابن الزيات : الكواكب السيارة ، ص ٣٢ .

(١٦٥) Abd Al-Raziq Ahmed : la femme au temps des Mamlauks, en Egypte, le Caire, 1973. P. 62.

(١٦٦) Lane (EW) Op. Cit., P. 509.

(١٦٧) احمد عبد الرازق : المرأة ، ص ٣٥ ،
Abd Al-Rraziq : Op. Cit., P. 62.
Lane (EW) Op. Cit., P. 509.

(١٦٨) (١٦٩) ابراهيم حماده : خيال الظل ، ص ١٧٤ ، ص ١٧٥ .
احمد عبد الرازق : المرأة ، ص ٣٣ .

Abd AlRaziq : Op. Cit., P. 59.

(١٧١) عن البلانات انظر أحمد أمين : قاموس العادات ، ص ٩٥ .

(١٧٢) الشيزرى : نهاية الرتبة ، ص ٨٧ .

(١٧٣) Abd Al-Raziq : Op. Cit., P. 82.

احمد عبد الرازق : المراة ، ص ٢٤ .

(١٧٤) Abd Al-Raziq : Op. Cit., PP. 75. 77.

(١٧٥) ابراهيم حماده : خيال الظل ، ص ١٧٤ ، ص ٢١٦ ، ص ٢١٧ .
Abd Al-Raziq : Op. Cit., 63.

(١٧٦) حسين رمضان : طوائف الحرفيين ، رسالة دكتوراه ، ص ٢١٧ وما بعدها .

(١٧٧) حرمت الشريعة الاسلامية الزنا وحاربته ، وبينت حدوده ودليل ذلك قوله تعالى : « ولا تقربوا الزنى انه كان فاحشة وساء سبيلا » سورة الاسراء آية (٣٢) ففى هذه الآية يحرم الزنا لأنه اثم كبير ويؤدى الى اختلاط الأنساب . أبو عبد الله الانصارى القرطبى : الجامع لأحكام القرآن : القاهرة ١٩٦٧ م ، جـ ١٠ ، ص ٢٥٣ إلى ص ٢٥٤ ، انظر أيضا سورة النور آية (٢) وتفسيرها جـ ١٢ ، ص ١٥٨ الى ص ١٦٧ ، وسورة الفرقان آية (٦٨) وتفسيرها ، جـ ١٣ ، ص ٧٦ من القرطبى أيضا . وعن موقف الدولة المملوكية من البغاء فقد اباحه بعض السلاطين والبعض الآخر حرمه ودليلنا على ذلك فى عام ٦٦٥ هـ/١٢٦٦ م حين أمر بيبرس باراقة الخمور ومنع البغاء فى القاهرة . محمد بن محمد بن بهادر : فتوح النصر فى تاريخ ملوك مصر ، القرن التاسع ، تاريخ النسخ ٨٨٧ هـ بخط المؤلف ينتهى الى ٧٥١ هـ / ١٣٥٠ م ولم تكمل حوادث هذه السنة ، مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ١٣٢٩ ، ورقة ١٠٨ ، وفى عام ٩١٠ هـ/١٥٠٤ م أمر السلطان الغورى باراقة الخمور وحرق أماكن الحشيش ومنع البغاء . ابن اياس : بدائع الزهور ، جـ ٤ ، ص ٧٦ ، ص ٧٧ ، وفى عام ٩٢٥ هـ/١٥١٩ م توقف النيل فأمر السلطان الغورى بابطال المحرمات من الخمور والبغاء ، وقبض على امراة تسمى أنس كانت تدير منزلها للبغاء وكان عليها مبلغ مقرر توره كل شهر للوالى فأمر السلطان باغراقها فى النيل . ابن اياس بدائع الزهور ، طبعة بولاق ، جـ ٣ ، ص ١٩٧ .

(١٧٨) سعيد عاشور : المجتمع المصرى ، ص ٢٧٧ ، احمد عبد الرازق : المراة زمن المماليك ، ص ٣٥ ، ص ٣٦ .

(١٧٩) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، حـ ٦ ، ص ٤٧ .

(١٨٠) ابن اياس : بدائع الزهور ، حـ ٣ ، ص ١١٨ .

(١٨١) انظر ص ٨٠ من هذا الفصل وما بعدها .

(١٨٢) انظر فرج عبد القادر طه ، نجيه اسحق عبد الله : سيكولوجية البغاء دراسة ميدانية ، القاهرة ١٩٨٤ ، ص ٤٦ .

(١٨٣) حسين رمضان : طوائف الحرفيين ، رسالة دكتوراه ، ص ٤ .

(١٨٤) عبد العزيز الدورى : نشوء الأصناف والحرف فى الاسلام ، مجلة كلية الادأب جامعة بغداد ، العدد الأول ١٩٥٩ م ، ص ١٤١ .

(١٨٥) حسين رمضان : طوائف الحرفيين ، رسالة دكتوراه ، ص ٦ .

(١٨٦) يتفى Lapidus وجود النقابات فيذكر أن غياب دور النقابات والتنظيمات المهنية كان له أثره فى انشطة التجار والصناع .

Lapidus : the grain Economy of Mamluk Egypt, Journal of the Economic and Social History of the orient, Leiden 1969, P. 2

وقد اطلق البعض على الأصناف والطوائف لفظة نقابة مثل برنارد لويس فى بادىء الأمر لم عاد وسحب كلامه فى عام ١٩٦٨ م . وقد اشارت سيرة الظاهر بيبرس الى وجود نظام طوائف الفتوة . سيرة الظاهر بيبرس ، م (١) حـ ٩ ، ص ٤٩٦ .

(١٨٧) المقريزى :اغاثة الامة ، ص ١٨ .

(١٨٨) برنارد لويس :النقابات الاسلامية ، ترجمة عبد العزيز الدورى ، مجلة الرسالة الأعداد ٣٥٥ ، ٣٥٦ ، ٣٥٧ ، ٣٦٢ ، ١٩٤٠ ، ص ٧٣٥ ، ماسينيون : دائرة المعارف الاسلامية ، م (١٤) دار الفكر ، بدون تاريخ ، مادة صنف ، ص ٤٢٥٤ ويؤيد هذا الراى ((كوردلفسكى) فيرى تأثير الطوائف بالنفوذ الاسماعيلى وفلك خلال الأراء والبدع التى لا توافق قواعد الاسلام عند الآخوة ويرجع ذلك الى اخوان الصـــفا .

اما (كوبرولوا) فيرجع الى أبعد من ذلك فيقول ان الاخوة متطرفون ملحدون وانهم من طراء القرامطة أنفسهم فينفى أى أثر أسماعيلى فى حركة الإخوة ويعتبرها سنية قبل أى شىء . عن ألدكتور أحمد رمضان .

(١٨٩) برنارد لويس : النقابات الاسلامية ، مجلة الرسالة ، عدد ٣٥٧ ، ص ٧٨٦ .

(١٩٠) أحمد رمضان : المجتمع الاسلامى فى بلاد الشام ، ص ١١٢ ، والابيار هم حماة أنتخاب الكرف حسب تقاليدهم والفروع هم الحماة الثائريون للشعب المختلفة لأصحاب الحرفة الواحدة ، برنارد لويس : النقابات الاسلامية ، مجلة الرسالة ، ص ٧٨٦ .

(١٩١) برنارد لويس ، النقابات الاسلامية، ص ٧٨٦ ، ص ٧٨٧ .

(١٩٢) أحمد رمضان : المجتمع الاسلامى فى بلاد الشام ، ص ١١٣ ، الدورى، نشوء الأصناف ، ص ١٤٦ على مبارك : الخطط التوفيقية ، حـ ١ ، ص ١٠٠ ، برنارد النقابات الأسلامية ، ص ٧٨٧ .

(١٩٣) تقع هذه القيسارية بجوار سوق الوارقين . انشأها الأمير طشتمر فى عام ٧٣٠ هـ/١٣٢٩ م وكان يعلوها عدة رباع سكنها صناع الازرار ، المقريزى : الخطط ، حـ ٢ ، ص ١٤٧ .

(١٩٤) نفس المصدر السابق والجزء والصفحة .

(١٩٥) الدورى : نشوء الأصناف ، ص ١٤٦ .

(١٩٦) برنارد لويس : النقابات الاسلامية ، ص ٧٨٧ ، أحمد رمضان : المجتمع الاسلامى فى بلاد الشام ، ص ١١٣ .

(١٩٧) حلمى سالم : حرف وصناعات الأطعمة والأشربة ، رسالة دكتوراة ، ص ١٢ .

(١٩٨) سهير القلماوى : ألف ليلة وليلة ، طبعة دار المعارف ١٩٦٦ ، ص ٢٤٧ ، ماسينيون : دائرة المعارف الأسلامية ، مادة صنف م ١٤ ص ٢٥٤ ، كستين ماليوة : دراسة لبعض الصناع والتجار بمصر فى عصر المماليك ، مجلة كلية الآداب ، جامعة المنصورة ، العدد (١) ١٩٧٩ ، ص ٣٦٥ ، سعيد عاشور : العصر المماليكى ، ص ٣٨٤ ، جمال محمود مرسى : المنسوجات الحريرية فى مصر المملوكية رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآثار جامعة القاهرة ١٩٧٦ ، ص ٢٩ .

(١٩٩) ليو الأفريقى : وصف أفريقيا ، ص ٥٩٣ .

(٢٠٠) حلمى سالم : حرف صناعات الأطعمة ، رسالة دكتوراة ، ص ١٤ .

(٢٠١) هم كبار معلمى الحنطة الذين كانوا يعاونون الشيخ فى ادارة شئون الطائفة : المرجع السابق نفسه والصفحة .

(٢٠٢) ماسينيون : دائرة المعارف الاسلامية ، م ١٣ ، مادة شد ، ص ١٨٠ .

(٢٠٣) H.A.R. Gibb and J. Hkramers : Shorter Encycl-opaedia of Islam London, 1953, P. 508.

(٢٠٤) على مبارك : الخطط التوفيقية ، حـ ١ ، ص ١٠١ .

(٢٠٥) ماسينيون : دائرة المعارف الاسلامية ، مادة شد ، ص ١٨٠ .

(٢٠٦) الدورى : نشوء الأصناف والحرف ، ص ١٤٢ .

(٢٠٧) أحمد صادق : تاريخ مصر الاجتماعى — الاقتصادى ، ص ٤٧٢ ، ص ٤٧٣ .

(٢٠٨) حسين رمضان : طوائف الحرفيين ، رسالة دكتوراه ، ص ٢٠ .٢

(٢٠٩) ابن اياس : بدائع الزهور ، حـ ١ ق (٢) ، ص ٤٣٠ .

(٢١٠) برنارد لويس :النقابات الاسلامية ، ص ٩٧٥ ، أحمد رمضان ، المجتمع الاسلامى فى بلاد الشام ، ص ١١٤ .

(٢١١) آمال العمرى : المنشآت التجارية ، رسالة دكتوراه ، ص ١٨ ، سعيد عاشور ، الأيوبيون والمماليك فى مصر والشام ، القاهرة ١٩٧٠ ، ص ٣٥١ .

(٢١٢) عمر رضا كحالة : دراسات اجتماعية فى العصور الوسطى ، دمشق ١٩٧٣ ، ص ١٣٣ ، ص ١٣٤ ، ص ١٣٤ .

(٢١٣) المقريزى : الخطط ، حـ ٣ ، ص ١٥٦ الى ص ١٦٨ ، وللدكتور قاسم أيضا أنظر أسواق مصر فى عصر سلاطين المماليك ، مكتبة سعيد رافت القاهرة ١٩٧٨ م ، انظر دراستنا عن الأسواق الفصل الأول من ص ٣٠ الى ص ٤٨ ، انظر كذلك قاسم عبده ، الأسواق بمصر فى عصر سلاطين المماليك ، مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، المجلدان السادس والثلاثون والسابع والثلاثون ، حـ ١ ، حـ ٢ ، ١٩٧٤ ، ١٩٧٥ ، القاهرة ١٩٨١ م .

(٢١٤) رضا كحالة : دراسات اجتماعية ، ص ١٣٤ .

(٢١٥) سعيد عاشور : العصر المماليكى ، ص ٢٩٧ ، ص ٢٩٨ .

(٢١٦) أحمد رمضان : المجتمع الاسلامى فى بلاد الشام ، ص ١٠٧ ، ومن غرض الضرائب انظر ص ٨٣ وما بعدها من هذا الفصل .

(٢١٧) المقريزى : الخطط ، حـ ١ ، ص ١٠٥ .

(٢١٨) المصدر السابق نفسه ، حـ ٤ ، ص ٣٦ .

(٢١٩) ابن الحاج : المدخل ، حـ ٢ ، ص ٧٩ .

(٢٢٠) انظر الفصل الأول ص ٣٥ هامش (٤) .

(٢٢١) المقريزى : الخطط ، حـ ٣ ، ص ١٥٧ .

(٢٢٢) انظر الفصل الأول ص ٣٥ هامش (٣) .

(٢٢٣) ابن اياس : بدائع الزهور ، حـ ٤ ، ص ٣٥٦ .

(٢٢٤) وفى ذلك قال بعض الشعراء :

كان بها (يقصد بركة الرطلى) للقادرى حلاوة
مشبكها يشدو من المسك والعطر

وكان بها الفكاه يسعى بمركب — بخوخ ورمان يبشر بالبشر

وكان بها الجبان يقلى بمركب — فيجمع بين النار والماء فى البحر

وكان بها للاكلين تطائف — بها عطش تسقى من الغيث بالقطر

ابن اياس : بدائع الزهور ، حـ ٥ ، ص ٥٧ ، ص ٥٨ .

(٢٢٥) ابن الحاج : المدخل ، حـ ٤ ، ص ١٠١ .

(٢٢٦) ليو الافريقى : وصف أفريقيا ،ص ٥٩٢ ، السيوطى : حسن المحاضرة ، حـ ٢ ، ص ٢٣٤ ، فييت القاهرة مدينة الفن والتجارة ، ص ٩٧ ، ص ٩٨ .

(٢٢٧) ابن اياس : بدائع الزهور ، حـ ٥ ، ص ٣٣٣ .

(٢٢٨) انظر الفصل الأول ص ٤٧ هامش (٨) .

(٢٢٩) المقريزى : الخطط ، حـ ٣ ، ص ١٥١ ، ص ١٠٢ ،
Wiet (G.) Op. Cit., P. 78.

(٢٣٠) ابن الصيرفى : أبناء العصر ، ص ١٢٥ ، ص ٢٠٣ ، ص ٢٠٤ .

(٢٣١) البزازون : مفردها بزاز وهم بائعو الثياب ، الشيزرى ، نهاية الرتبة ، ص ٦١ ، هامش (١) .

(٢٣٢) ابن الحاج : المدخل ، حـ ٤ ، ص ٢٨ .

(٢٣٣) ابن الأخوة : معالم القربة ص ٢١٦ .

(٢٣٤) الشيزرى : نهاية الرتبة ، ص ٦١ .

(٢٣٥) ابن الحاج : المدخل ، حـ ٤ ، ص ٢٩ وما بعدها .

(٢٣٦) ابن بسام : نهاية الرتبة ، ص ٨٠ ، وعن العقوبة التى يوقعها المحتسب على المخالف انظر ص ٩٦ من هذا الفصل .

(٢٣٧) ابن الصيرفى : انباء الهصر ، ص ٤٩٨ ، ص ٤٩٩ ، ص ٥٠٠ .

(٢٣٨) ابن الحاج : المدخل ، حـ ٤ ، ص ٩٦ ، ص ١٠٠ .

(٢٣٩) Wiet (G) : Op. Cit., P. 78.

(٢٤٠) ابن العماد : شذرات الذهب ، حـ ٥ ، ص ٣٦٤ وما بعدها ، ابن سعيد المغربى : المغرب فى حلى المغرب ، ص ٣١٦ ، ابن شاكر : فوات الوفيات ، حـ ٢ ، ص ٤٩٨ ، ص ٣٩٩ ، ابن تغرى بردى : النجوم ، حـ ٧ ، ص ٣٤٥ ، السيوطى : حسن المحاضرة ، حـ ٢ ، ص ٣٢٧ ، أحمد صادق الجمال : الادب العامى فى مصر ، ص ١٩١ ، ص ١٩٢ ، عبد العليم القبانى : مع الشعراء أصحاب الحرف ، ص ٤ ، ص ٦ ، محمد زغلول سلام : الأدب فى العصر المملوكى ، ص ١٤٥ ، ص ١٣٦ .

(٢٤١) أحمد صادق : الأدب العامى ، ص ١٩٢ ، عبد العليم القبانى : مع الشعراء ، ص ٤ — ص ٦ .

(٢٤٢) ابن شاكر : فوات الوفيات ، حـ ٢ ، ص ٣٩٨ ، ص ٣٩٩ ، احمد صادق : الشعر العامى ، ص ١٩٧ ومن شعر أبى الحسين الجزار ايضا :

نقلت لقلبى ما يجننك من كسر ... وعلمت جسمى بالمنادفة الخصر

وغادرت دمعى فوق خـدى كأنه ... ثنايك لما لاحت مبتسم الثغر

خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدى ، صلاح الدين ، كتاب تشنيف السمع فى انسكاب الدمع ٦٩٦ هـ ٧٦٤ م مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٧٤٦ أدب ميكروفيلم ١٠٦٢٣ .

(٢٤٣) السيوطى : حسن المحاضرة ، حـ ٢ ، ص ٣٢٧ .

(٢٤٤) ابن سعيد : المغرب فى حلى المغرب ، حـ ١ ، ص ٣١٦ ، القبانى مع الشعراء أصحاب الحرف من ص ٤١ الى ص ٥٥ ، أحمد صادق ، الأدب العامى ، ص ١٩٢ .

ومن شعر أبى الحسين الجزار فى مدح الرسول عليه الصلاة والسلام :

امام الورى المبعوث من آل هاشم ... لنا وأرسله الله ميتة رجـا

اذا نظـرت عينـاى تربة احمـد ... فمستشفى منهـا للعليل شـفا

دعـــانى اشـــتياقى للنبى محمد ... فلبيته لما دعـــانى على بعـــد

دوآى من ذآ الجوى لتم تنـــبرة ... فمن لى لو تعفـــرت فى تربة خـنـدق

زيارة قبر المصـطفى غـاية المنى ... لو اتى بهـــا قبل الممات افـــوز

ابو الحسن الجزار : المضرعة الناجحة والبضاعة الرائجة ، مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ١١٤٩ ، شعر تيمور ميكروفيلم ٢٤٠٩ ورقة ١ ، ٨ ، ١١ .

(٢٤٥) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، حـ ٨ ، ص ٨٣ ، ص ٨٤ ، الوراق هو الذى يقوم بصناعة الورق ، ويعده للكتابة و يؤلف منه كراريس ، فيجمع منها كتبا ، ثم يبيعها للناس منسوخة أو غير منسوخة ، القبانى : مع الشعراء اصحاب الحرف ، ص ٦٧ .

(٢٤٦) القبانى : مع الشعراء ، اصحاب الحرف ، من ص ٧٣ الى ص ٧٦ .

(٢٤٧) ابن شاكر : فوات الوفيات ، حـ ٢ ، ص ٣٦ .

ومن شعر السراج الوراق أيضاً بقوله :

فلما وقفنـــا للوداع عشـــية ... تعانق حتى دمع عينى وعينـــه

فليت النوى نبقى لدمع تقيـــــة ... ليبكى لها من بعـــد عـــزة ربعها

الصفدى : تشنيف السمع ، الباب الثامن والعشرون مخطوط .

(٢٤٨) هو شمس الدين محمد بن دانيال ولد بالموصل فى عام ٦٤٦ هـ/ ١٢٤٨ م ، وحفظ القرآن وبعض الحديث والتفسير وتدرب على الطب والكحالة . وهاجر ابن دانيال من الموصل بعد أن اجتاحها المغول وذلك فى عام ٦٦٥ هـ/١٢٦٦ م الى القاهرة واستقر بها حيث أكمل فيها دراسة الطب الذى كان يحقق منه وجوده المادى ، وكانت نفسه نزاعة الى الادب فتخرج على أدبائهم وشعرائهم ؛ وقد نبغ ابن دانيال كشاعر ساخر ومؤلف للتمثيليات الهزلية ، وبرغم مجونه وخلاعته اشتهر باسم الحكيم لأنه كان طبيبا ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ، حـ ٢ ، ص ٢٤٨ ، ابن اياس بدائع الزهور ، حـ ٢ ، ص ٣٤ ، ابن حجر : الدرر الكامنة ، حـ ٣ ، ص ٤٣٤ ، ابن العماد : شذرات الذهب ، حـ ٦ ، ص ٢٧ ، ابن شاكر : فوات الوفيات ، حـ ٢ ، ص ٢٣٣ ، أحمد صادق ، الأدب العامى ، ص ٢٠ ، ص ٤١ ، والكحالون هم أسلاف أطباء العيون ، وكانوا يجمعون بين تحضير الدواء ، والمداواة به ، وكان الكحل هو أغلب الدواء عندهم ، يجمعون مفرداته ويدقونها دقا ناعما ويكحلون به العيون المصابة بالرمد ، ابراهيم حمادة : خيال الظل ، ص ٩٢ ، القبانى : مع الشعراء اصحاب الحرف ، ص ٨٣ .

(٢٤٩) ابن تغرى بردى : النجوم ، ﺟ ٩ ، ص ١٥ : ابن شاكر : ﺟ ٢ ، ص ٢٣٧ ، ابن حجر : الدرر الكامنة ، ﺟ ٣ ، ص ٤٣٤ .

(٢٥٠) الشوكانى : البدر الطالع ، ﺟ ٢ ، ص ١٧١ ، ابن تغرى بردى : النجوم : ﺟ ٩ ، ص ٢١٥ ، ابن شاكر : فوات الوفيات ، ﺟ ٢ ، ص ٢٣٧ ، ابن حجر : الدرر الكامنة ، ﺟ ٣ ، ص ٤٣٤ .

(٢٥١) ابن تغرى بردى : النجوم ﺟ ٩ ، ص ٢١٥ ، الشوكانى : البدر الطالع : ﺟ ٢ ، ص ١٧١ ، ابن العماد : شذرات الذهب ، ﺟ ٦ ، ص ٢٧ ، ابن حجر : الدرر الكامنة ، ﺟ ٣ ، ص ٤٣٤ ، ابن شاكر : فوات ، ﺟ ٢ ، ص ٢٣٧ ، انظر الفصل الخامس « العادات والتقاليد » .

(٢٥٢) بيبرس المنصورى : التحفة الملوكية فى الدولة التركية نشـــــره عبد الحميد صالح ، بيروت ١٩٨٧ ، ص ٥٦ .

(٢٥٣) ابن العماد : شذرات الذهب ، ﺟ ٥ ، ص ٣٢٤ : ابن شاكر : فوات الوفيات ، ﺟ ٢ ، ص ٢٣٧ ، ابراهيم حماده : خيال الظل ، ص ٩١.

(٢٥٤) ابن العماد : شذرات الذهب ﺟ ٦ ، ص ٢٧ ، القبانى ، مع الشعراء أصحاب الحرف ، ص ١١٥ .

(٢٥٥) الحمامى هو أحد العاملين بالحمام ، ومهمته تأجير المآزر للمستحمين ، أو تغيرها لهم ، وكذلك حفظ ثيابهم ، وربما أطلقت على صاحب الحمام أو من يعمل به . حسن الباشا : الفنون الاسلامية والوظائف على الآثار العربية ، القاهرة ١٩٦٥م ، ﺟ ١ ، ص ٤٣١ .

(٢٥٦) ابن حجر : الدرر الكامنة ، ﺟ ٤ ، ص ٣٩٣ ، ص ٣٩٤ ، القبانى مع الشعراء ، ص ١١٦ .

(٢٥٧) المصدر نفسه والجزء والصفحة ، المرجع نفسه والصفحة .

(٢٥٨) الشطار مفردها شاطر والجمع شطار وهو المتصف بالدهاء والخبث والحيلة والذكاء واللص الشاطر الذكى الذى يستخدم الحيلة فى موضع الحيلة والقوة فى موضع القوة ، والشاطر لغويا من أعيا أهله خبثه ، ويقال شطر على أهله ، بمعنى نزح عنهم ، والشطارة : الانفصال والابتعاد . محمد رجب النجار : حكايات الشطار والعيارين فى التراث العربى ، عالم المعرفة ، الكويت ١٩٨١ م ، ص ٧ ، ص ٨ ، والطبقات الشعبية تستعمله فى النبيه الماضى فى أموره . ياقوت الحموى : معجم الأدباء ، ط ١٩٣٦ ، ﺟ ١٦ ، ص ١١٠ ، هامش (٢) .

(٢٥٩) العيار لغويا : الكثير التجول والطواف ، الذى يتردد بلا عمل ، يخلى نفسه وهواها والعار بالكسر الفرس الذى يحيد عن الطريق براكبه . والعيار ، ذهب كأنه منفلت ، يهيم على وجهه لا يثنيه شىء فهو عائر أى متردد ، جوال . رجب النجار : الشطار والعيارين ، ص ٨ ، والعيارون رجال ذووا بأس وشجاعة وشهامة لهم ما لأهل الفتوة من صفات وان كان منهم من يسلك طريق اللصوصية وقطع الطريق على الناس . حسين مجيب المصرى : فى الأدب الشعبى المقارن ، القاهرة ١٩٧٠ ، ص ١٧٣ .

(٢٦٠) ارجع بعض الباحثين ظهور العيارين الى أوائل القرن الأول الهجرى، ونسبهم متصل بالفرس الساسانيين ، ولهم نزعة فارسية قومية وجهت مسلكهم فتراهم مقاتلين مؤازرين للثائرين على خلافة بنى العباسى ، وكثيرا ما رجحت كفة المحاربين الفرس على العرب بفضل ضراوتهم فى القتال ، المرجع السابق نفسه والصفحة .

(٢٦١) أحمد رمضان : المجتمع الاسلامى فى بلاد الشـــام ، ص ١١٥ ، الدورى : نشوء الأصناف ، ص ١٥٩ .

(٢٦٢) خرجت هذه الحروب رجـــالا — لا لقحطـــانها ولا لـــنزار
معشـــرا فى جواشن الصوف يغدون — إلى الحرب كالأسود الضوارى
وعليهم مغـــافر الخـــوص تجزيهم — عن البيض والتراس البوارى
ليس يدرون ما الفـــرار اذا الابطال — عادوا من القنـــا بالفـــرار
واحـــد منهم يشـــد على ألفـــين — عـــريان ما له من ازار
ويقـــول الفتى اذا طعـــن الطعنة — خذهـــا من الفتى العيـــار

المسعودى : مروج الذهب ، حـ ٣ ، ص ٣١٨ ، ابن تغرى بردى : النجوم ، حـ ٤ ، ص ١٠٧ . الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق محمد أبو الفضل ط (٤) طبعة دار المعارف ١٩٦٧ حـ ٨ ، ص ٤٥٨ .

(٢٦٣) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، حـ ٤ ، ص ١٠٧ ، المسعودى : مروج الذهب ومعادن الجوهر ، حـ ٣ ، ص ٣١٤ وما بعدها ، انظر ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، طبعة بيروت ١٩٨٣ ، حـ ٥ ، ص ١٥٨ وما بعدها .

(٢٦٤) هناك جماعة اطلق عليهم أسم (التوابون) وكانوا فى خدمة الدولة العباسية ، كما كانوا يقاسمون اللصوص ويكتمون أمرهم ، ابن تغرى بردى : النجوم ، حـ ٤ ، ص ٢٦ ، هامش (٣) ، التنوخى : الفرج بعد الشدة ، طبعة أولى ١٩٥٥ ، حـ ٢ ص ٣٣٠ ، ص ٣٣١ ، شكرى محمود أحمد : الشطار والعيارون ، مجلة الرسالة ، العدد ٧٤١ ، ١٩٤٧ ، ص ١٠٠٨ ، ص ١٠١٠ .

(٢٦٥) أحمد رمضان : المجتمع الاسلامى فى بلاد الشام ، ص ١١٥ .

(٢٦٦) شكرى محمود : الشطار والعيارون ، ص ١٠٠٨ ، أحمد رمضان : المجتمع الاسلامى ، ص ١١٥ ، سربداران اسم اطلق على طائفة من المغول كانوا يعملون فى جباية الأموال للمغول ثم ثاروا عليهم ، ونصبوا على أبواب «سرزوار» أعواد المشانق ، واعلنوا أن من كان متفقا معهم فى العمل والغاية فعليه أن يعلق عمامته بدلا من رأسه الذى يعلق اذا خالفهم ، فعلق سبعمائة شخص عمائمهم مظهرين اتحادهم معهم ومن ثمة سموا « سربدارن » ومعناها الذين رءوسهم على أعواد المشانق وسر بمعنى رأس وبمعنى فى أو على دار = مشنقة ان = للجمع. شرف خان البدليسى ، شرفنامة ، ترجمة محمد على عونى ، مراجعة يحيى الخشاب ط القاهرة ١٩٦٢ ، ص ٣٧٠ وما بعدها .

(٢٦٧) محمد أحمد عبد المولى : العيارون والشطار البغادلة فى التاريخ العباسى ، ١٩٨٧ ، ص ٦٣ .

(٢٦٨) الف الجاحظ كتابا عن اخلاق الشطار انظر ياقوت الحموى : معجم الادباء ، جـ ١٦ ، ص ١١٠ .

(٢٦٩) ابن مسكويه : تهذيب الأخلاق ، طبعة ١٩٠٥ ، ص ٧٧ ، ص ٧٨ .

(٢٧٠) بير نهد : الحياة ببغداد فى القرن الخامس الهجرى ص ٣٠٨ ، ص ٣٠٩ ، الدورى : نشوء الأصناف ، ص ١٦٠ .

(٢٧١) رجب النجار : الشطار والعيارين ، ص ١٧٩ .

(٢٧٢) المراد بهم سفلة الناس ، وقد كانوا يطلقون على فئة خاصة وقد ترد اسمهم كثيرا فى المؤلفات العربية . ابن تغرى بردى : النجوم ، جـ ٨ ، ص ٨٨ ، والحرافيش جمع حرفوش وهو الجافى الغليظ المتهيء للشر السافل من الناس ومن معانيها الفقراء الذين يقعون فريسة للأوبئة والمجاعات انظر ابن اياس : بدائع الزهور ، حـ ١ ق (٢) ص ٣١٩ ، حـ ٢ ، ص ١٠٣ ، ومفردها حرفوش وهو غليظ الحلق والخلق وهو المقاتل والمصارع واللص ، رجب النجار : الشطار والعيارين ، ص ٩ ، وحرنفش واحرنفش الرجل اذا تهيأ للقتال والمحرنفش المنقبض الغضبان ، ابن منظور : لسان العرب ، حـ ٢ طبعة دار المعارف ، بدون تاريخ ، حـ ٢، ص ٨٤٠ .

(٢٧٣) الزعار والزعرة والزعر جمع زاعر ، وهو اللص والمحتال والعيار والحرفوش والمتشرد ، المقريزى : اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا ،

تحقيق جمال الشيال ١٩٤٨ ، حـ ١ ص ١٧٤ هامش (٤) ، والزعر بالضم الخوف والفزع ورجل ذعور متذعر وامرأة ذعور تذعر من الريبة ابن منظور ، لسان العرب ، حـ ٣ ، ص ١٥٠٢ ، وذعر الرجل قل خيره ، والزعارة شراسة الخلق ، واهل الزعار العيارون الذين يترددون بلا عمل ويخلون النفس وهواها . رجب النجار : الشطار والعيارين ، ص ٩ .

(٢٧٤) العياق : عاق فلانا صرفه ، بما أراد والعائق الذى يعوق الناس عن عمل الخير . ورجل عوق (الجمع. اعواق) : الرجل الذى لا خير عنده وهو المانع الذى يعوق الطريق ويقطعه على الناس رجب النجار : الشطار والعيارين ، ص ٨ ، ص ٩ وأن كنت أرى أن تلك التسميات — الحرافيش الزعر العياق : المناسر — أو غيرها مترادفات لمعنى واحد أطلق على الطبقات الشعبية فقد اشتركت هذه الفئات فى بعض الصفات كتدهور أحوالها الاقتصادية والاجتماعية وايضا بممارسة أعمال السلب والنهب ابان الفتن والأزمات التى كانت تحدث بين السلاطين والأمراء أو بين الأمراء بعضهم البعض وكذلك اشتركت هذه الفئات فى التسول والاستجداء فى الشوارع وأمام المساجد .

(٢٧٥) السبكى : معيد النعم : ص ١٤٧ .

(٢٧٦) ابن بطوطة : تحفة النظار ، ص ٣٣ .

(٢٧٧) كان من افضل الأمراء ، وله الصدقات الكثيرة على الايتام من كسوة ونفقة واجرة لمن يعلمهم القرآن وله أيضا الاحسان الكبير للحرافيش ، ابن بطوطة : تحفة النظار : كذلك انظر الفصل الثالث ص ١٩٥ هامش (٥) .

(٢٧٨) ابن تغرى بردي : النجوم الزاهرة ، جـ ٨ ، ص ١٥٤ .

(٢٧٩) ابن اياس : بدائع الزهور ، حـ ٢ ق (٢) ، ص ٤٤٢ .

(٢٨٠) ابن طولون : مفاكهة الخلان فى حوادث الزمان ، تحقيق محمد مصطفى ق (١) طبعة ١٩٦٢ ، ص ١٦٤ .

(٢٨١) المقريزى : اغاثة الامة ، من ص ٤٤ الى ص ٤٦ .

(٢٨٢) المصدر السابق نفسه ، ص ٧٥ ، أحمد صادق : تاريخ مصر الاجتماعى والاقتصادى ، ص ٤٤٣ ، ص ٤٤٤ .

(٢٨٣) اشتور : التاريخ الاقتصادى الاجتماعى للشرق الأوسط فى العصور الوسطى ، ترجمة عبد الهادى عبلة ، دمشق ١٩٨٥ ، ص ٤١١ .

(٢٨٤) ابن اياس : بدائع الزهور ، حـ ١ ق (١) ، ص ٣١٩ .

(٢٨٥) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، حـ ٨ ، ٨٨ .
Lane-Poole : History of Egypt, P. 253

(٢٨٦) ابن اياس : بدائع الزهور ، حـ ١ ق (٢) ص ١٢٥ .

(٢٨٧) المصدر السابق والجزء ، ص ٤٨٢ .

(٢٨٨) ابن اياس : بدائع الزهور ، حـ ٤ ، ص ٩٤ .

(٢٨٩) المصدر السابق نفسه والجزء ، ص ١٤١ .

(٢٩٠) انظر الفصل الأول ص ٥٢ هامش (٢) .

(٢٩١) الطواشية مفرد طواشى وهم الخصيان الذين استخدموا فى الأطباق المملوكية وفى الحريم السلطانى وكانت لهم حرمة وافرة وكلمة نافذة ويعد شيخهم من أعيان الناس . المقريزى : الخطط ، حـ ٤ ، ص ٢٠٨ ، سعيد عاشور : العصر المماليكى ، ص ٤٣٣ .

(٢٩٢) ابن تغرى بردى : النجوم ، حـ ١٠ ، ص ٢٩ ، رجب النجار : الشطار والعيارين ، ص ١٨٥ .

(٢٩٣) توفى السلطان الناصر محمد بن قلاوون وتولى ابنه المنصـــور أبو بكر السلطنة عمل الأمير قوصون على جلعه وتم له ما أراد وأقام الأشرف كجك فى السلطنة ونتيجة لذلك حدثت فتنة بين الأمير قوصون والأمراء وكان ذلك فى عام ٧٤٢ هـ/١٣٤١ م . المقريزى : الخطط ، حـ ٣ ، ص ١١٧ .

(٢٩٤) الكسابة هم الذين يقومون بالسلب والنهب فى الحروب . المقريزى : السلوك ، ق (٢) حـ ٢ ، ص ٥٨٨ .

(٢٩٥) ابن تغرى بردى : النجوم ، حـ ١٠ ، ص ٤١ .

(٢٩٦) آشتور : التاريخ الاقتصادى والاجتماعى ، ص ٤١١ .

(٢٩٧) شابرول : دراسة فى عادات وتقاليد سكان مصر ، ص ٤٦ .

(٢٩٨) انظر ص ١٣٠ من هذا الفصل هامش (٢) .

(٢٩٩) نسبة الى الأمير يلبغا الناصرى انظر ابن اياس : بدائع الزهور ، حـ ١ ق (٢) من ص ٦٧ الى ص ٧٠ ، المقريزى : السلوك ، حـ ٢ ص ١٥٠ .

(٣٠٠) ابن اياس : بدائع الزهور ، حـ ١ ق (٢) من ص ٦٦ الى ص ٧٠ ، رجب النجار : الشطار والعيارين ، ص ١٨٩ ، ص ١٩٠ .

(٣٠١) ابن تغرى بردى : النجوم ، حـ ١١ ، من ص ٢٧٠ الى ص ٢٨٤ ، ابن الصـــيرفى : نزهة النفوس : حـ ١ ، ص ٢٠٣ الى ص ٢٠٨ ، حكيم أمين عبد السلام : قيام دولة المماليك الثانية ١٩٦٦ ، ص ٥٤ .

(٣٠٢) ابن الصيرفى : نزهة النفوس ، حـ ١ ، ص ٢٠٩ الى ص ٢١٦ ، ابن تغرى بردى ، النجوم ، حـ ١١ ، ص ٢٨٦ .

(٣٠٣) انظر ص ٨٩ من هذا الفصل هامش (٤) .

(٣٠٤) انظر ص ٨٩ من هذا الفصل هامش (٢) .

(٣٠٥) ابن تغرى بردى : النجوم ، حـ ١١ ، ص ٢٨٥ ، ص ٢٨٦ .

(٣٠٦) ابن الصيرفى : نزهة النفوس ، حـ ١ ، ص ٢٣٥ الى ص ٢٤٣ ، ابن تغرى بردى : حـ ١١ ، ص ٢٣٥ .

(٣٠٧) ابن اياس : بدائع الزهور ، حـ ١ ق (٢) ، ص ٥٦٠ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، حـ ٢ ، ص ١٨٩ .

(٣٠٨) ابن تغرى بردى : النجوم ، حـ ١٢ ، ص ١٨٩ .

(٣٠٩) سيئو الخلق والشلاق جمع شلق وهو مرادف للزعر والمراد بهم هنا من يدخلون الخوف فى قلوب الناس ، ابن تغرى بردى : النجوم ، حـ ١٠ ، ص ٢٣ هامش (٢) .

(٣١٠) اللبخة : لعبة تسمى عند الطبقات الشعبية بالتحطيب (اى اللعب بالنبوت) وهى مأخوذة من الحطب وهى هنا من حطب اللبخ ، واللبخ شجر عظام كانت تنتشر الواحه ويجعله أصحاب المراكب فى بناء السفن فتلحتم معه وتصير واحدا ، وكان هذا اللبخ له ثمر أخضر يشبه التمر حلو جدا وهو جيد ومفيد لوجع الاسنان . ابن تغرى بردى : النجوم ، حـ ١٠ ، ص ١٢٣ هامش (٢) .

(٣١١) ابن تغر ى بردى : النجوم ، حـ ١٠ من ص ١٢٣ الى ص ١٣٠ .

(٣١٢) المصدر نفسه والجزء ، ص ١٦٨ ، ص ١٧٤ ، رجب النجار : الشطار والعيارين ، ص ١٩٧ ، ص ١٩٨

(٣١٣) Holt : the structure of governnement in the Mamluk Sul tanate, the Eastern mediterranean lands in the period of the Crusades, England, 1977, P. 49.

ابن بطوطة : الرحلة ، حـ ١ ، ص ٢٤ .

(٣١٤) وقد هؤلاء « الأويراتية » الى القاهرة زمن الملك العادل زين الدين كتبغا وسكنوا الحسينية وكانوا مشهورين بالملاحة والجمال مع شدة فى اخلاقهم وقد وصفوا بالزعارة وارتداء لباس الفتوة وحمل السلاح مع شدة فى سلوكهم ولما عزل كتبغا تفرقوا وصاروا يقطعون الطريق ويسلبون الناس أموالهم .

المقريزى : الخطط ، حـ ٣ ، ص ٣٤ ومابعدها ، ابن عبد الظاهر : تشريف الأيام والعصور بسيرة الملك المنصور ، طبعة ١٩٦١ ، ص ٢٩١ .

(٣١٥) رجب النجار : الشطار والعيارين ، ص ٢٠٢ .

(٣١٦) انظر ص ١٣٠ من هذا الفصل .

(٣١٧) ابن اياس : بدائع الزهور ، حـ ١ ، طبعة أولى ١٣١١ هـ/١٨٩٣ م ، ص ٢٦٣ .

(٣١٨) ابن الحاج : المدخل ، حـ ٢ ، ص ٤٩ ، ابن اياس : بدائع الزهور ، حـ ١ ، ص ٢٦٣ .

(٣١٩) ابن اياس : بدائع الزهور ، حـ ١ ، ص ٥٦٠ ، رجب النجار : الشطار والعيارين ، ص ٢١٧ .

(٣٢٠) ابن اياس : بدائع الزهور ، حـ ٣ ، ص ٢٣٤ .

(٣٢١) انظر المقريزى : اغاثة الأمة ص ٤٤ ، ص ٤٥ ، سعيد عاشور : المجتمع المصرى ، ص ٢٧ . رجب النجار : الشطار والعيارين ، ص ٢٢٣ .

(٣٢٢) المقريزى : اغاثة الأمة ، ص ٤٥ ، رجب النجار : الشطار والعيارين ، ص ٢٢٣ ، آشتور : التاريخ الاقتصادى والاجتماعى ، ص ٤١٤ .

(٣٢٣) الفتوة فى اللغة صفة الفتى وقد اشتقت منه كالرجولة من الرجل والأبوة من الأب والأموة من الأم والاخوة من الأخ ، ابن المعمار البغدادى : كتاب الفتوة « تحقيق مصطفى جواد طبعة ١٩٥٨ ، ص ٥ ، مصطفى جواد : الفتوة وأطوارها وأثرها فى توحيد العرب والمسلمين مجلة المجمع العلمى العراقى ، م (٥) ١٩٥٥ م ص ٤٦ انظر ابن عمار : الفتوة تحقيق وتقديم فؤاد حسنين : طبعة ١٩٥٦ ، ص ٣ وما بعدها ومن مظاهر هذه الفتوة الشجاعة والصبر عند حدوث الأزمات وتغلب القوة الروحانية على القوة الجسمانية . محمد المويلحى : الشجاعة عند العرب ، مجلة المقتطف ، م (١٩) ١٨٩٥ ، ص ٨٩٤ ، ومن مظاهرها أيضا الكرم والسخاء والمروءة . محمد فهمى عبد اللطيف : الفتوة الاسلامية ، مجلة الرسالة ، يناير ١٩٤٨ ، العدد ٧٥٨ ، ص ٥٦ ، عمر الدسوقى : الفتوة عند العرب ، مجلة الرسالة ١٩٥١ ، العدد ٩٣٢ ، ص ٥٩٥ ، والفتى بمعنى الرجل الشهم النبيل المتصف بالرجولة . ضياء الدخيلى : الفتوة فى التاريخ الاسلامى وكتب اللغة ، مجلة الرسالة ، يونيو ١٩٤٨ ، العدد ٧٨٢ ، ص ٧٢٣ ، والشناعة والصدق وحب الخير وقول الحق فمن اجتمعت فيه هذه الصفات اكتملت فيه الفتوة . القلقشندى :

صبح الاعشى حـ ٩ ، ص ١٢٧ ، والفتيان هم الذين تركوا العصيان واجتهدوا فى الطاعة والبر والاحسان فهم يتقدمون لصفاتهم وغيرهم يتأخر لفقدانه هذه الصفات . ومن الشعر الذى قيل فى ذلك :

ليس الفتى من ضـــرب بالسـكين ولكن الفتى من أطعم المســـكين

ادريس بن بيدكين التركمانى : الحجة والبرهان على فتيان هذا الزمان ، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٦٤ فروسية تيمور ، انظر محمد بن على الدالى بن المرصفى : الفتوة والشد والعهد ، مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ٨٩ فروسية تيمور ، رقم التصوير ٤٢٦ .

(٣٢٤) احمد أمين : الفتوة فى الاسلام ، مجلة كلية الاداب جامعة القاهرة ، م (٦) ١٩٤٢ ، حـ ١ ، ص ١٨ .

(٣٢٥) هو أبو عبد الله الحرث بن أسيد المحاسبى ، أصله من بغداد من علماء مشايخ القوم بعلوم الظاهر وعلوم الأصول وعلوم المعاملات ومن أقواله « خيار هذه الأمة هم الذين لا تشغلهم آخرتهم عن دنياهم ولا دنياهم عن آخرتهم » توفى ببغداد فى عام ٢٤٣ هـ/٨٥٧ م . الشعرانى : الطبقات الكبرى ، حـ ١ ، ص ٦٤ .

(٣٢٦) هو أبو القاسم الجنيد بن محمد الزجاج ، أصله من نهاوند ومولده بالعراق ، كان فقيها يفتى الناس على مذهب أبى ثور صاحب الامام الشافعى ، وكان من كبار أئمة القوم وساداتهم ومن أقواله « أن الله يخلص الى القلوب من بره على حسب ما تخلص اليه القلوب من ذكره » توفى الجنيد فى عام ٢٩٧ هـ/ ٩٠٦ م ودفن ببغداد . الشعرانى : الطبقات الكبرى ، حـ ١ ، ص ٧٢ وما بعدها .

(٣٢٧) مجهول : رسالة فى الفتوة ، المكتبة آيا صوفيا ، رقم المخطوط فيها ٢١٤٤ ، تاريخ النسخ ٦٥٢ هـ ، عدد الأوراق ٥٨ ، معهد المخطوطات ، ورقة ١٣١ .

(٣٢٨) احمد أمين : الفتوة فى الاسلام ، ص ٨ محمد السعيد عبد المؤمن ، دراسات فى الحضارة والأدب الصفوى ، القاهرة ١٩٧٥ ، ص ٣ .

(٣٢٩) ارتبطت فتوة القرن السادس الهجرى (الثانى عشـــر الميـــلادى بالخليفة العباسى الناصر لدين الله الذى رأى أن العالم الاسلامى يحتاج الى تجديد قوته ، واحياء همته لمقاومة الأخطار التى يتعرض لها من وقت لآخر وبخاصة الخطر الصليبى فعمد الى الفتوة ورأى أنها أعظم قوة لمن يستطيع أن يوظفها وينظمها تنظيما جيدا ، فاستخدمها وربى فى الدولة الاسلامية جيلا يتميز بالفروسية والعلم

بفنون الحرب ، وبدأ بنفسه فأخذ فتوته من الشيخ عبد الجبار يوسف البغدادى رئيس الفتيان فى عصره ، أبو الفداء : المختصر فى أخبار البشر ، طبعة لبنان ١٩٦٨ ، حـ ٣ ، ص ١٣٦ ، ابن خلدون كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر طبعة ١٩٧١ ، حـ ٣ ، ص ٥٣٥ .

Fa. Taeschner : Futuwwa, the Encyclopeadia of Islam, vol. II London, 1960, P. 974.

مصطفى جواد : الفتوة وأطوارها ، ص ٦٤ ، كحالة : دراسات اجتماعية ، ص ٢٨ ، ويبدو أنه كان للفتوة سلطان له كلمة نافذة ومسموعة عند الخاصة والعامة بل وعند أمير المؤمنين ، وأغلب الظن أن علاء الدين المؤنسى كان من فتـــوات الحسينية . السخاوى : تحفة الأحباب وبغية الطـــلاب فى الخطط والمزارات والتراجم والبقاع المباركات ، طبعة ١٩٨٦ م ، ص ٢٢ ، سعاد ماهر : مساجد مصر ، حـ ٤ ، ص ٢٧٦ .

(٣٣٠) أحمد أمين : الصعلكة والفتوة فى الاسلام ، مجلة الرسالة أبريل ١٩٥٢ ، العدد ٩٨٠ ، ص ٦٩ ، ص ٧٢ .

(٣٣١) اليونينى : ذيل مرآة الزمان ، الطبعة الأولى الهند م (١) ، ١٩٥٤ م ص ٤٥ .

Dozy : Op. Cit., P. 399.

Fa. Iaeschner : Op. Cit., P. 966.

(٣٣٢) المقريزى : السلوك ، حـ ١ ق (٢) ، ص ٤٥٩ ، العينى : عقد الجمان ، حـ ١ ، ص ٣٥٣ ، ابن المعمار : الفتوة ، ص ٨٣ الى ص ٨٥ ، مصطفى جواد ، الفتوة وأطوارها ، ص ٧٢ ، ص ٧٣ ، كحالة : دراسات اجتماعية ، ص ٣٠ ، فرانزتيشنر : الفتوة والخليفة الناصر ، ضمن كتاب المنتقى من دراسات المستشرقين اشراف صلاح الدين المنجد ، القاهرة ١٩٥٥ ، حـ ١ ، ص ٢٠٠ ص ٢٠١ .

(٣٣٣) حسين رمضان : طوائف الحرفيين ، رسالة دكتوراه ، ص ٤٠ .

(٣٣٤) رجب النجار : الشطار والعيارين ، ص ٢٤٤ .

(٣٣٥) ابن المعمار : الفتوة ، ص ٩٨ ، مصطفى جواد ، الفتوة واطوارها ، ص ٨١ .

(٣٣٦) أحمد أمين : الفتوة فى الاسلام ، ص ٢٠ .

(٣٣٧) سعيد عاشور : المجتمع المصرى ، ص ١٦٢ .

(٣٣٨) أبو العلا عفيفى : التصوف الثورة الروحية فى الاسلام ، ط (١) دار المعارف ١٩٦٣ ، ص ١٣ ، والتصوف هو التخلق بالصفات الالهية ، كمال الدين عبد الرزاق القاشانى ، من صوفية القرن الثامن الهجرى ، اصطلاحات الصوفية ، تحقيق محمد كمال ابراهيم ١٩٨١ م ، ص ١٥٦ وهو أحوال ثاهرة وأخلاق ظاهرة ، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهانى ، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، م (١) ١٩٣٢ ، ص ٢٠٧ ، ص ٢٢ ، والصوفى « من اذا نطق أظهر الحقائق وان سكت نطقت عنه الجوارح بقطع العلائق » ، السلمى : طبقات الصوفية ، تحقيق نور الدين شريبة ، ١٩٥٣ ، ص ١٩ ، ومن صفات المتصوفة الحكمة والمعرفة والعقل والحضور وأن يكون القرآن امام الصوفى ودستورا لكل شىء ، محيى الدين بن عربى ، الفتوحات المكية ، ١٨٧٦ ، حـ ٢ ، من ص ٣٥١ الى ص ٣٥٤ ، وهو العكوف على العبادة والانقطاع الى الله تعالى والبعد عن مباهج الدنيا والزهد فى المال ، ابن خلدون ، المقدمة ، بيروت ١٩٨٤ ص ٤٦٧ ، وهو الجد فى السلوك والاخلاص فى العمل ، القشيرى الرسالة القشيرية ، بدون تاريخ مطبعة صبيح ، ص ٢٠٩ الى ص ٢١٧ .

(٣٣٩) سعاد ماهر : مساجد مصر ، حـ ٣ ، ص ١٢ .

(٣٤٠) انظر المدخل (ص ١٧) هامش (٥) .

(٣٤١) المقريزى : الخطط ، حـ ٤ ، ص ٧٣ ، سعيد عاشور ، السيد البدوى شيخ وطريقة ، سلسلة أعلام العرب ، العدد ٥٨ ، ١٩٦٦ ، ص ٣٤ .

(٣٤٢) سامى حسن : السلطان اينال وآثاره المعمارية فى القاهرة دراسة اثرية معمارية ، رسالة دكتوراه ، ١٩٧٦ ، كلية الآثار جامعة القاهرة ، ص ١٠٠٠ ، محمد أمين ، الأوقاف ، ص ٢٠٤ وما بعدها ، على صافى حسين : الأدب الصوفى فى القرن السابع الهجرى ، ١٩٦٤ ، ص ١٩ .

(٣٤٣) سعيد عاشور : العصر المماليكى فى مصر والشام ، ص ٣٤٠ ، عبد المنعم ماجد ، موقف المصريين من حكم المماليك ، ص ٥٢ .

(٣٤٤) على صافى حسين : الأدب الصوفى ، ص ٢٧

(٣٤٥) Arnold (Thomas) : the Caliphate , Oxford, 1924, P. 89.

(٣٤٦) المقريزى : السلوك ، حـ ١ ق (٣) ص ٨١٠ ، أبى حجر ، انباء الغمر بأنباء العمر ، حـ ١ ، ص ٥٩ ، ابن تغرى بردى : النجوم ، حـ ٦ ، ص ٥٧ ، ص ٦٠ ، ١٠٠ ، ص ١٩٥ .

(٣٤٧) سعيد عاشور : المجتمع المصرى ، ص ١٦٣ ، وللمؤلف نفسه السيد البدوى شيخ وطريقة ، ص ٣٦ ، والعصر المماليكى ، ص ٣٤٠ ، على صافى حسين : الأدب الصوفى ، ص ٣٣ .

(٣٤٨) فواجب المريد نحو شيخه الطاعة المطلقة لأوامره بل بالغ بعض الصوفية فطالبوا بطاعة الشيخ أولا ثم طاعة الله ثانية ، لأن طاعة الله فى نظرهم لا تصح الا اذا وجه اليها الشيخ التوجيه الصحيح وهم يعتبرون مخالفة المريد لشيخه دليلا على عدم صدق ارادته وعلى فساد حاله . أبو العلا عفيفى : التصوف الثورة الروحية ص ٢٦٧ ، ص ٢٦٨ ، حتى اذا حضر أهل المريد فانه لا يسلم عليهم حتى يستشير الشيخ . سعاد محمد حسن حسنين : أعمال الأمير شيخو العمرى الناصرى ، رسالة ماجستير ، بدون تاريخ ، غير منشورة ، كلية الآثار جامعة القاهرة ، ص ٤٢ .

(٣٤٩) المرجع السابق نفسه والصفحة

(٣٥٠) توفيق الطويل : التصوف فى مصر ابان العصر العثمانى ، القاهرة ، ١٩٤٦ ، ص ٧٢ .

(٣٥١) السيوطى : حسن المحاضرة ، جـ ١ ، ص ٢٦٩ ، زغلول سلام : الأدب فى العصر المملوكى ، ص ٢١٢ .

(٣٥٢) Vollers (K) : Ahmed Al Badowi , E.N.C. Isl Vol (1) London 1960 PP. 280, 281.

الشعرانى : الطبقات الكبرى ، جـ ١ ، ص ١٥٩ ، النبهانى : جامع كرامات الأولياء ، تحقيق ابراهيم عطوة ، مكتبة البابى الحلبى ، القاهرة ١٩٦٢ ، جـ ١ ، ص ٥١٣ .

(٣٥٣) ابراهيم احمد نور الدين : حياة السيد البدوى ، القاهرة ، ١٩٥٠ ، ص ١٥١ ، صافى حسين : الأدب الصوفى ، ص ٣٩ .

(٣٥٤) البشت بكسر الباء أو ضمها وجمعه بشوت ، وهى العباءة من الصوف بلونه الطبيعى . سعيد عاشور : العصر المماليكى ، ص ٣٩٦ .

(٣٥٥) محمد فهمى عبد اللطيف : السيد البدوى او دولة الدراويش فى مصر ، القاهرة ١٩٤٨ ، من ص ٥٠ الى ص ٥٢ .

(٣٥٦) البنهانى : جامع كرامات الأولياء ، جـ ١ ، ص ٥١٢ ومابعدها ، جـ ٢ ،

ص ٥١٢ ومابعدها ، سعيد عاشور : السيد أحمد البدوى ، ص ١٦٠ ، ص ١٦١ ـ ص ١٧٠ .

(٣٥٧) المصدر السابق نفسه والجزء والصفحة .

(٣٥٨) سعيد عاشور : السيد البدوى ، ص ١٥٣ وما بعدها .

(٣٥٩) البنهانى : جامع كرامات الأولياء ، ح ١ ، ص ٥١٦ ، ص ٥١٧ .

(٣٦٠) J-Spencer : the Sufi Orders in Islam Oxford, 1971, P. 79.

(٣٦١) فوزى أمين : المجتمع المصرى فى أدب العصر المملوكى الأول ١٩٨٢ ، ص ١٦٣ ، توفيق الطويل ، التصوف ، ص ٧٢ .

(٣٦٢) صافى حسين : الأدب الصوفى ، ص ٤١ .

(٣٦٣) السيوطى : حسن المحاضرة ، ح ١ ، ص ٢٩٨ .

(٣٦٤) زغلول سلام : الأدب فى العصر المملوكى ، ص ٢١٢ .

(٣٦٥) على سالم عمار : أبو الحسن الشاذلى ، القاهرة ١٩٥٢ ، ح ١ ، ص ١٦ .

(٣٦٦) الشعرانى : الطبقات الكبرى ، ح ٢ ، ص ٧٧ .

(٣٦٧) البنهانى : جامع كرامات ، ح ١ ، ص ٤٠٤ وما بعدها ، الشعرانى، الطبقات الكبرى ، ح ٢ ، ص ٧٧ .

(٣٦٨) نفس المصدر السابق والجزء ، ص ٤٠٧ .

(٣٦٩) الشعرانى : الطبقات الكبرى، ح ٢ ، ص ١٣٤ .

(٣٧٠) البنهانى : جامع كرامات الأولياء ، ح ١ ، ص ٤١٠ ، الشعرانى : الطبقات الكبرى ، ح ٢ ، ص ١٣٤ .

(٣٧١) البنهانى : جامع كرامات الأولياء ، ح ١ ، ص ٤١٠ ، ص ٤١١ .

(٣٧٢) الشعرانى : الطبقات الكبرى ، ح ٢ ، ص ١٢٦ ، ص ١٢٧ ، البنهانى : جامع كرامات الأولياء ، ح ١ ، ص ٤١٢ ، ص ٤١٣ .

(٣٧٣) ابراهيم طرخان ، النظم الاقطاعية ، ص ٣٢٨ .

(٣٧٤) سعيد عاشور : السيد البدوى ، ص ١١٢ .

(٣٧٥) عبد المنعم ماجد : موقف المصريين من حكم المماليك ، ص ٥٢ ، وللمؤلف نفسه التاريخ السياسى لدولة سلاطين المماليك فى مصر دراسة تحليلية للازدهار والانهيار ، مكتبة الانجلو المصرية القاهرة ١٩٨٨ ، ص ١٢٦

(٣٧٦) ابراهيم أحمد : السيد البدوى ، ص ١٠١ .

Vollers : Op. Cit., PP. 280, 281. (٣٧٧)

Holt : (PM). : the sultanate of Al-Mansur Lachin. (٣٧٨)
bulletin of the school of oriental and African studies university of London, 1973, PP. 521, 532.
Lane Poole : History of Egypt, P. 253.

(٣٧٩) ابن اياس : بدائع الزهور ، جـ ١ ق (٢) ص ٥٣٣ .

(٣٨٠) المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٤٣٥ حوادث ٨٧٠ هـ ، محمد مصطفى زيادة : صفحات لم تنشر من بدائع الزهور ، ص ١٥٩ ، سعيد عاشور : المجتمع المصرى ، ص ١٦٧ ، ص ١٦٨ .

(٣٨١) حسين الباشا : الفنون الاسلامية ، ص ٧١٩ .

(٣٨٢) المقريزى ، الخطط ، جـ ٤ ، ص ٢٧٢ ، سعيد عاشور ، المجتمع المصرى ، ص ١٧٤ ، السيد البدوى ، ص ٢٢٧ .

(٣٨٣) توفيق الطويل : الشعرانى امام التصوف فى عصره ، ١٩٤٥ ، ص ٩ .

(٣٨٤) المقريزى ، الخطط ، جـ ٤ ، ص ٢٧٢ ، ص ٢٧٣ ، سعاد محمد ، اعمال الأمير شيخو ، ص ٤٢ .

(٣٨٥) السخاوى ، التبر المسبوك ، ص ١٧٩ .

(٣٨٦) طافور ، رحلة طافور ، ص ٦٣ ، ماجد ، تاريخ الحضارة ، ص ١٨٣ ، عاشور : العصر المماليكى ص ٣٤١ ، زغلول سلام ، الادب فى العصر المملوكى ، ص ١٩٧ .

(٣٨٧) رجب النجار : الشعر الشعبى ، ص ٢٣٨ .

(٣٨٨) زغلول سلام : الادب فى العصر المملوكى ، ص ٢٠٣ ، ص ٢٠٤ .

(٣٨٩) الكوبة : النرد وقيل الطبل ، ابن الجوزى : تلبيس ابليس (ط) ١٣٦٨ هـ ، ص ١٧٥ .

(٣٩٠) ابن الجوزى : تلبيس ابليس ، ص ١٧٥ ، ص ٢٥٠ ، ص ٢٦٠ .

(٣٩١) آدم متز : الحضارة الاسلامية ، جـ ٢ ، ص ٣٢ .

(٣٩٢) السخاوى التبر المسبوك ، ص ٢٢٠ .

(٣٩٣) الجوبرى : المختار فى كشف الاسرار ، طبعة ١٣٠٢ هـ ، ص ٢٠ ، ابن الجوزى : تلبيس ابليس ، ص ٣٩١ ، النبهانى ، جامع كرامات الأولياء ، جـ ١ ، ص ٥١٤ ، ص ٥١٥ ، آدم متز : الحضارة الاسلامية ، جـ ٢ ، ص ٣٤ .

(٣٩٤) المصدر نفسه ، ص ٢٨ ، فوزى أمين : المجتمع المصرى فى أدب العصر المملوكى ، ص ١٦٩ ، زغلول سلام : الأدب فى العصر المملوكى ، ص ١٧٩ .

(٣٩٥) ابن الجوزى : تلبيس ابليس ، ص ٣٩٠ .

(٣٩٦) محمد فهمى عبد اللطيف : السيد البدوى ، ص ١٣٠ ، ص ١٣١

(٣٩٧) احمد امين : قاموس العادات ، ص ١٢١ .

(٣٩٨) توفيق الطويل : الشعرانى ، ص ٤٠ .

(٣٩٩) ابن الصيرفى : أبناء الهصر ، ص ٢٢٢ .

(٤٠٠) المقريزى : الخطط ، حـ ٤ ، ص ٢٧٢ .

(٤٠١) انظر الفصل الثالث ص ٢٠٨ .

(٤٠٢) هو الشيخ عبد الرحمن بن موسى الصالح صاحب الكرامات توفى بالروضة عام ٧٢٧ هـ/١٣٢٧ م وكان يتردد عليه الناس للتبرك ، محمد عبد العزيز السيد : جزيرة الروضة وآثارها الدراسة حتى نهاية العصر المملوكى ، رسالة ماجستير ١٩٧٧ ، كلية الآثار جامعة القاهرة ص ٩ .

(٤٠٣) انظر الفصل الثالث ص ٣٢٢ هامش (٣) .

(٤٠٤) هو الشيخ بهاء الدين محمد بن الكازرونى كان من أكابر العارفين وكان رحمه الله تعالى رجلا صالحا معتقدا وللناس فيه محبة زائدة واعتقاد حسن ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، حـ ١١ ، ص ١٢٥ .

(٤٠٥) محمد عبد العزيز : جزيرة الروضة ، رسالة ماجستير ، ص ٩ .

(٤٠٦) Spencer : Op. Cit., P. 18.

(٤٠٧) أحمد عبد الرازق : المرأة زمن سلاطين المماليك ص ٣١ .

(٤٠٨) سعيد عاشور : المجتمع المصرى ، ص ١٣٩ .

(٤٠٩) وفى العصر المملوكى وجد فى القاهرة رباط البغدادية التى انشأته ابنة الظاهر بيبرس فى عام ٦٨٤ هـ/١٢٨٥ م للشيخة العابدة زينب والتى عرفت ببنت البغدادية والتى استمر مريدوها فى هذا الرباط على عصر المماليك
Spencer : Op. Cit., P. 18.

انظر الفصل الأول ص ٦٠ هامش (٥)

(٤١٠) المقريزى : الخطط : حـ ٤ ، ص ٢٩٤ ، احمد عبد الرازق : المرأة ، ص ٣١ .

(٤١١) ابن اياس : بدائع الزهور ، جـ ٢ ، ص ٥٢ ، ماجد : موقف المصريين من الحكم المملوكى ، ص ٥٣ .

(٤١٢) المقريزى : السلوك ، جـ ١ ، ص ١٨٢ ، على مبارك : الخطط التوفيقية ، جـ ٦ ، ص ٤٨ . أحمد رمضان : المجتمع الاسلامى فى بلاد الشام ، ص ١٥٣ .

(٤١٣) المصدر السابق نفسه والجزء والصفحة ، احمد رمضان : المجتمع الاسلامى فى بلاد الشام ، ص ١٥٣ .

(٤١٤) ابن تغرى بردى : المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى ، طبعة ١٩٨٦ تحقيق نبيل محمد عبد العزيز ، جـ ٣ ، ص ٨٨ ، ص ٨٩ .

(٤١٥) أحمد رمضان : المجتمع الاسلامى فى بلاد الشام ، ص ١٥٣ ، ص ١٥٤ .

(٤١٦) أبو حامد الغزالى احياء علوم الدين ، ط ٩١٥ ١، جـ ٣ ، ص ٣٤٨ ، علاء طه : عامة القاهرة ، رسالة ماجستير ، ص ٨٩ .

(٤١٧) المقريزى : الخطط ، جـ ٢ ، ص ٣١٤ ، زكى مبارك : التصـــوف الاسلامى ، جـ ١ ، ص ٤٤٦ ، ص ٤٥٠ ، علاء طه : عامة القاهرة ، رسالة ماجستير ، ص ٨٩ .

الفصل الثالث

عادات وتقاليد الطبقات الشعبية

- الاحتفالات والأعياد الدينية
- الاحتفالات المتعلقة بالسلاطين
- اعياد النصارى
- اعياد اليهود
- الاحتفالات الأسرية
- المآتم
- وسائل اللهو والتسلية
- المتنزهات والبرك
- الاعتقاد فى الأولياء والمشايخ
- المعتقدات الباطلة

تعكس العادات والتقاليد جوهر التكوين الاجتماعي والاقتصادي للمجتمعات البشرية ، فمن خلال رصد التصرفات اليومية للأفراد ، والوقوف على طقوس ومظاهر الاحتفال بالأعياد ، والتعرف على طرق التسلية واللهو وما يتم في التعازي والمآتم ، يمكن أن نخلص ببعض المؤشرات الدالة على مدى تماسك البنية الاجتماعية واستقرارها ، كما تشف عن الحالة الاقتصادية لهذا المجتمع .

ويتناول هذا الفصل بالدراسة عادات وتقاليد الطبقات الشعبية التي ارتبطت بحياتها ارتباطا وثيقا ، وهي تتصل بالأعياد سواء كانت أعيادا دينية متمثلة في رأس السنة الهجرية ، وموسم عاشوراء ، والمولد النبوي ، وموكب المحمل ، وعيد الفطر ، وعيد الأضحى ، أو مرتبطة بمناسبات معينة متمثلة في الاحتفالات السلطانية ، أو الاحتفال بوفاء النيل وفتح الخليج ، أو الأعياد الدينية المتصلة بأهل الذمة والتي تحولت الى أعياد قومية شارك المسلمون في الاحتفال بها مثل عيد النيروز والشهيد ، وخميس العهد ، ويوم الغطاس ، وعيد الزيتونة ، والعادات والاحتفالات الأسرية مثل احتفالات الزواج والولادة والسبوع(1) والختان .

وهناك عادات متصلة بمظاهر التسلية ووسائل اللهو نحو الخروج الى الحدائق والمتنزهات والاستماع الى الموسيقى والغناء ، ومشاهدة ألعاب خيال الظل ، والنوادر والحكايات ، والسير الشعبية الى غير ذلك من وسائل اللهو والتسلية التي تفننت فيها

الطبقات الشعبية للتخفيف من وطأة وضعها الاقتصادى المتدهور — فى غالب الأحوال — فى ظل دولة المماليك . وأيضا عادات وتقاليد متصلة بالمآتم والأحزان ، الى جانب المعتقدات الباطلة المتمثلة فى السحر والحسد ولا شك فى أن بعض عادات وتقاليد الطبقات الشعبية فى القاهرة فى ذلك العصر تكشف لنا بصورة أو بأخرى طبيعة تكوين تلك الطبقة الاجتماعية التى لم تحظ الا بالنذر اليسير من اهتمام مؤرخى ذلك العصر .

وقد كانت الاحتفالات والأعياد تفيض بالبهجة والسرور وبمظاهر البذخ التى تميزت بها دولة المماليك الأولى ، وقد تبدل الحال فى دولة المماليك الثانية لتدهور الأوضاع الاقتصادية والسياسية والمؤامرات التى كانت تحاك بين السلاطين من ناحية والأمراء من ناحية أخرى ، وقد انعكست حالة عدم الاستقرار السياسى والاقتصادى هذه على المجتمع وبالتالى على مظاهر الاحتفال بالأعياد والمناسبات الأخرى .

على أن أهم الاحتفالات الدينية لدى المصريين على اختلاف طبقاتهم ابان عصر سلاطين المماليك احتفالات « شهر رمضان » الذى كان الاحتفال به يبدأ بموكب الرؤية (أى رؤية هلال شهر رمضان) الذى كان يضم الفقهاء الذين يخرجون للتأكد من ثبوت رؤية الهلال ، وكان هذا الموكب يحاط بعدد كبير من القناديل والمشاعل والشموع ، هذا بالاضافة الى كثرة الأنوار أمام الحوانيت والمباخر التى تفوح منها الرائحة الزكية(٢) .

ووصف لنا الرحالة ابن بطوطة(٣) احتفال المصريين برؤية هلال رمضان فقال : «وعاداتهم أن يجتمع فقهاء المدينة ووجوهها بعد العصر من اليوم التاسع والعشرين لشعبان بدار القاضى(٤) ويقف على الباب نقيب المتعممين(٥) ، فاذا أتى أحد الفقهاء او أحد الوجوه

فتلقاه ذلك النقيب قائلا : باسم الله سيدنا فلانا الدين(٦) ... فاذا تكالبوا هناك ، ركبوا جميعا وتبعهم جميع الرجال والنساء والصبيان وينتهون الى موضع مرتفع وهو مرتقب الهلال(٧) عندهم ، فينزل القاضى ومن معه ، فيرقبون الهلال ثم يعودون بعد صلاة المغرب وبين أيديهم الشمع والمشاعل والفوانيس ، ويوقد أهل الحوانيت بحوانيتهم الشمع ، ويصل الناس مع القاضى الى داره ثم ينصرفون، هكذا فعلهم فى كل سنة »(٨) . وبعد ثبوت هلال رمضان يحضر القضاه والفقهاء والأمراء عندالسلطان للتهنئة بهذه المناسبة(٩) .

واعتاد أهل القاهرة من الطبقات الشعبية الاحتفال بشــــهر رمضـــــان بتعليق الفوانيس التى جعلوها علما على جواز الأكل والشرب وغيرهما مادامت معلقة موقودة(١٠) . وفى هذا الشهر يتحول ليل القاهرة الى نهار لكثرة الأنوار والمشاعل فى الشوارع بالاضافة الى الفوانيس المختلفة الأشكال والالوان(١١) ، ولا تطفأ القناديل الا قبيل طلوع الفجر لاعتماد أهل القاهرة عليها فى تحديد ميعاد السحور والامساك عن الطعام والشراب(١٢) .

ويطوف المسحراتى فى هذا الشهر بطبلته مرددا بعض أغانيه وحوله بعض الأطفال ، ويدق بطبلته مناديا أصـــحاب البيوت بأسمائهم(٣) . كما يقرأ صحيح البخارى بالقصر السلطانى بالقلعة وفى عدة أماكن أخرى فضلا عن وجود الشيوخ الذين يعظون الناس فى أماكن مختلفة(١٤) .

وبعد ختم البخارى يقام احتفال كبير يحضره السلطان والفقهاء والقضاه والشيوخ ، وبهذه المناسبة يقوم السلطان بتوزيع الخلع والأموال على الحاضرين ويعد هذا من الأيام المشهودة(١٥) . وطوال شهر رمضان يوزع السلطان على عادته الصدقات ، وتستمر مطابخ

القاهرة مفتوحة من أجل الفقراء والمساكين ، ويصرف فى كل ليلة من ليالى رمضان كميات وفيرة من الخبز واللحم ، هذا وقد اعتاد بعض السلاطين فى هذا الشهر عتق ثلاثين نسمة بعدد أيامه(١٦) .

وكانت الطبقات الشعبية تكثر من التزاور والتلاقى فى هذا الشهر فاذا تخلف فرد عن زيارة أقاربه والمقربين منه يكون دليلا على سوء العلاقة بين الطرفين(١٧) . وهذه الصورة تدل على الروابط الاجتماعية الوثيقة التى تميز الحياة الأسرية فى القاهرة فى تلك الفترة .

وقد ازدهرت بعض الأسواق فى هذا الشهر ، مثل سوق الشماعين التى كانت حوانيتها تفتح حتى منتصف الليل ، وهى معمورة بالشموع الموكبية والفانوسية(١٨) فتصير رؤيتها فى الليل من أمتع الرؤى ، وكانت تباع بهذه السوق كميات كبيرة من الشموع الموكبية التى تزن الواحدة منها عشرة ارطال ، أما الشموع الضخمة التى كان يبلغ وزنها حوالى قنطار فكانت تستخدم فى موكب صلاة التراويح(١٩) . وهكذا يتضح كيف كان المصريون على اختلاف طبقاتهم يحتفلون بشهر رمضان فى تلك الفترة حيث كان سلاطين المماليك يغدقون الصدقات والعطايا للفقراء والمحتاجين ، وكان الناس يحيونه بكثرة العبادات والصلاة والتضرع الى الله تعالى فى طلب المغفرة والرحمة .

وفيما يتصل بالاحتفال بعيد الفطر(٢٠) فقد كان البعض يسهر حتى الساعات الأولى من الصباح فى اعداد الملابس الجديدة(٢١) ، والبعض الآخر يحتفل بهذه المناسبة بقراءة ما تيسر من القرآن الكريم(٢٢) ، هذا بالاضافة الى ان معظم الأسر كانت تقوم بصنع الكعك الذى تستقبل به عيد الفطر(٢٣) ، وقد ازدهرت أيضا بعض

الأسواق فى موسم عيد الفطر لكثرة ما كان يصنع من أنواع الكعك الذى كان يتم الاعداد له من منتصف شهر رمضان حتى اذا حل عيد الفطر امتلأت أسواق القاهرة بأصنافه المتنوعة(٢٤) .

واعتاد الناس التوجه لأداء صلاة العيد فى موكب كبير وهم يهللون ويكبرون حتى يصلوا الى المسجد الجامع ، وبعد الانتهاء من الصلاة يتم تبادل التهنئة بهذه المناسبة(٢٥) . ومن العادات التى الفها أهل القاهرة فى عصر المماليك تناول السمك الملح المشقوق فى أول ايام عيد الفطر ، وزيارة القبور حيث يجتمعون بين المقابر فى الليالى المقمرة رجالا ونساء وكانت تحدث مفاسد عديدة(٢٦) ، أما البعض الآخر فكان يقصد شاطىء النيل ويستأجر القوارب للنزهة والترويح عن النفس(٢٧) ، ونتيجة لهذا أصدر السلطان برقوق(٢٨) (٧٨٤ هـ/١٣٨٢ م)(٢٩) قراره بعدم خروج النساء الى القرافة ، أو التنزه فى النيل ومن وجدت قبض عليها هى والمكارى والحمار ، وقد امتثلت النساء لهذا القرار(٣٠) .

وفى عيد الأضحى(٣١) ، ويقوم السلطان بالصلاة وبعدها يخرج فى موكب كبير يحضره الفقهاء والقضاه والعلماء يشق شوارع القاهرة وقد زينت بكافة أنواع الزينات واشعلت الحوانيت بالقناديل والشموع ، ثم يتناول السلطان سماطا(٣٢) وبعدها يعود الى القلعة بعد ان يقوم بتوزيع الصدقات والأضاحى على الفقراء والمعدمين(٣٣) .

أما عن الطبقات الشعبية فكان البعض يقوم بشراء اللحوم وطهيها فى المنزل ، والبعض الآخر يعد الطعام فى الليل حتى اذا عادوا بعد الصلاة وجدوا الوجبات جاهزة للتناول(٣٤) . وتذهب الطبقات الشعبية فى العيد كما هى عادتهم فى المواسم والأعياد

الى القرافة ، وتخرج النساء فى كامل زينتهن ، هذا فضلا عن خروج مجموعة من البنات كان يطلق عليهن بنات العيد الى الشوارع ويأخذن فى الغناء والرقص والضرب على الدفوف ويطفن فى الشوارع والأسواق ويدخلن البيوت على بعض الناس للحصول على بعض العطايا(٣٥) .

ومن المناسبات الدينية الأخرى التى كان أهل القاهرة يحتفلون بها عيد راس السنة الهجرية ، وفيه يصعد الخليفة والقضـــــاه الأربعة الى القلعة لتقديم التهنئة للسلطان بالعام الجديد ، كما كان العلماء والتجار والطبقات الشعبية يحرصون على تبادل التهنئة فى أول محرم وقد اعتاد أصحاب السعة منح العطايا لكل من يحضر اليهم فى مثل هذه المناسبات(٣٦) . ومن العادات التى صاحبت النساء أول ليلة من شهر محرم شراؤهن اللبن ويزعمن أنهن يتفاءلن بذلك لكى تكون السنة كلها بيضاء(٣٧) . ولا شك أن مثل هذه الأعياد تعد عاملا مبهجا للطبقات الشعبية فى هذا العصر ، لما كانت تحظى به من العطايا والأموال سواء من جانب السلطان ، أو الأمراء ، أو العلماء الذين كانوا يبذلون الكثير من الأموال فى مثل هذه المناسبات ، فضلا عن الأسمطة المتنوعة التى يتناول الفقراء الكثير منها .

وفى اليوم العاشر من شهر محرم كانت الطبقات الشعبية تحرص مثلها فى ذلك مثل المصــــريين كلهم على الاحتفال بيوم عاشوراء(٣٨) الذى يعتبر من المواســـم المهمة ، واعتاد الناس فى هذا اليوم (التوسعة) المرور على الأهل والأقارب والأيتام والمساكين(٣٩) ، وذبح الدجاج وطهى الحبوب وزيارة القبور . والاقامة بالجوامع طوال اليوم والتمسح بالمصاحف والمنابر وجدران المساجد ، فضلا عن القيام بشراء البخور ، وكان من المعتقد انه

اذا يخز به المسجون خرج من سجنه ، كما انه يمنع من الحسد(٤٠) . كما اعتادت بعض نساء الطبقات الشعبية زيارة ضريح سيدنا الحسين(٤١) وقراءة الفاتحة وتقديم النذور احتفالا بهذه المناسبة(٤٢) .

أما ليلة أول شهر رجب(٣) فتعتبر من المواسم المهمة التى حرصت مختلف الطبقات على الاحتفال بها فكان البعض يجتمع حول القراء الذين يتلون القرآن احتفالا بهذه المناسبة(٤٤) ، والبعض الآخر يقوم بشراء الحلوى(٤٥) ، وقد تحدث ابن الحاج عن مفاسد كثيرة كانت تحدث من البعض فى مثل هذه الليلة منها اجتماع النساء بالرجال حتى ساعة متأخرة من الليل(٤٦) .

وليلة الاسراء والمعراج(٤٧) هى ليلة السابع والعشرين من شهر رجب ، كان الناس يحرصون على الاحتفال بها فى أكبر مساجد القاهرة ، وفيها تعلق القناديل والفوانيس ، كما يفرشون البسط والسجاجيد داخل المساجد ، فضلا عن أطباق النحاس والاباريق التى كانت تعد لتناول مختلف المشروبات(٤٨) ، فضلا عن حرص الناس فى هذه الليلة على سماع آيات من الذكر الحكيم وزيارة المقابر(٤٩) .

واعتاد البعض الصيام فى ليلة النصف من شعبان(٥٠) ، فضلا عن اقبال الناس على شراء الحلوى لأطفالهم ، وكانت المساجد تسطع بالأضواء ويتحول ليل القاهرة الى نهار(٥١) . وقد عمل الناس على زيادة الأنوار لدرجة أنهم كانوا يربطون الحبال فى الأعمدة والشرفات ويعلقون بها عددا كبيرا من القناديل المضاءة ويجتمع الناس فى المساجد على اختلاف طبقاتهم لاحياء هذه الليلة بالاضافة الى ذهابهم للمقابر ومعهم الدفوف وهناك يرقصون ويغنون ويمرحون مما يخل بالوقار والواجب اتباعه فى مثل هذه الأماكن(٥٢) ،

والبعض الآخر كان يحيى هذه الليلة بتلاوة القرآن والذكر والصلاة وكثرة العبادة(٥٣) .

أما الاحتفال بالمولد النبوى(٥٤) ، فقد حرص سلاطين المماليك على احياء هذه المناسبة الكريمة بما يتناسب ومكانتها الدينية ، ويبدأ الاحتفال به فى شهر ربيع الأول من كل عام(٥٥) واعتادت الطبقات الشعبية مشاركة سلاطين المماليك طمعا فيما تقدمه الاسمطة السلطانية من اطعمة مختلفة ، بالاضافة الى الاستماع لكبار المقرئين والمنشدين والوعاظ حتى مطلع الفجر(٥٦) . وكان سلاطين المماليك يهدفون بذلك — فى المقام الأول — الى ارضاء الطبقات الشعبية والعطف عليهم والتودد لهم فى محاولة منهم لامتصاص سخطهم ، واظهار ما لدى ولى الأمر من تقوى وصلاح حتى تجب طاعته .

وتحتفل بعض الطبقات الشعبية بهذه المناسبة باقامة الولائم، والبعض الآخر يحيى هذه الليلة بالمغنين وآلات الطرب ويتسابقون باللهو واللعب بالدف والشبابة(٥٧) ، هذا بالاضافة الى البدع والمخالفات التى كانت تحدث فى هذه الليلة(٥٨) . ويصف ابن الحاج احدى هذه المخالفات بقوله : « اذا تمكن الطرب من الرجل ذهب حياؤه ووقاره فيقوم ويرقص وينادى ويبكى ويتباكى ، ويرفع رأسه نحو السماء وربما مزق ثيابه وعبث بلحيته » ، هذا وكانت بعض الأسر تحتفل بالمولد النبوى بهدف استرداد النقوط التى اهدوها للآخرين فى المواسم والأفراح(٥٩) ، وربما كانت عادة النقوط المتبادلة بين الأسر بعضها ببعض تمثل مظهرا من مظاهر التكافل الاجتماعى .

وهناك موسم آخر من المواسم الدينية لا يقل فى الأهمية عن الأعياد والمواسم سابقة الذكر وهو دوران المحمل(٦٠) الذى جعلته

الطبقات الشعبية من أيام الاحتفالات الشهيرة فى عصر سلاطين المماليك ، وقد كانت مشاهدة المحمل من المشاهد المحببة لنفوس مختلف الطبقات حيث تحمل كسوة الكعبة الشريفة ، وكان الاحتفال بهذه المناسبة يتم فى النصف من شهر رجب(٦١) . ويحتفل به مرتان فى عصر المماليك الأولى فى شهر رجب والثانية فى شوال ويكون دورانه فى يوم الاثنين أو الخميس(٦٢) ، وقد اكتملت مظاهر الاحتفال بدوران المحمل وكسوة الكعبة فى عهد الظاهر بيبرس فى عام ٦٧٥ هـ/١٢٧٦ م(٦٣) . وكان الهدف من دورانه التنفيس عن الناس مع تعظيم السلطان واجلاله ، فضلا عن ترغيب الناس وحثهم على أداء فريضة الحج(٦٣) .

وقبل هذه المناسبة بثلاثة ايام تزين الحوانيت(٦٥) وهناك تجلس النساء ويبتن فيها انتظارا للمحمل ، فيختلطن بالرجال ، الأمر الذى يؤدى الى حدوث بعض المفاسد مما حدا بالمحتسب الى اصدار أوامره بعدم جلوس النساء بحوانيت الباعة وتشدد فى ذلك الى ان امتنعن(٦٦) .

وكان الاحتفال بدوران المحمل من الايام المشهودة ، وفيها يركب قاضى القضاه ووكيل بيت المال والمحتسب والفقهاء ويتجهون الى دار السلطان ، ويخرج المحمل على جمل وقد وضعت عليه الكسوة من الحرير المطرز بالذهب ، والسقاءون على جمالهم ثم يطوفون بالمحمل فى انحاء القاهرة ، وهناك تلعب جماعة من المماليك السلطانية الرماحة ، وطوائف الفقراء يسيرون أمام المحمل(٦٧) ، فعند ذلك تتحوق الناس شوقا وحنينا ويتأهبون للحج(٦٨) . وكان من الضرورى لركب الحج ان يضم بين أفراده عددا من الأطباء والأدلة والمؤذنين وحتى مغسل الموتى(٦٩) .

وقد كان المماليك السلطانية ينتهزون فرصة ازدحام الطرقات بالمارة وينهبون الدكاكين ويخطفون عمائم أصحابها ويحرقون لحاهم بالنار ويتعدون على النساء ويخطفون الأطفال(٧٠) وهناك ما كان يطلق عليه اسم « عفاريت المحمل » وهم جماعة من أوباش المماليك السلطانية يغيرون زيهم بزى آخر مضحك ويركبون خيولا فى صورة فوضوية مزعجة ويأخذون فى ازعاج الناس مما ادى باسلطان الى اصدار اوامره بمنع ذلك ، وكانت بعض الطبقات الشعبية تفعل ذلك بهدف اضحاك الناس دون التعرض لهم أو ايذائهم ، ولكن أساءوا فهمها فصاروا يتعرضون للناس بالسلب والنهب والسرقة ، كما فرضوا مبالغ معينة على أصحاب الحوانيت والتجار(٧١) هذا عن الاحتفالات الدينية والتى شاركت فيها الطبقات الشعبية وكانت متنفسا لها من المعاناة والفقر والفاقة التى كانت تحياها هذه الفئة .

وهنا كنوع آخر من الاحتفالات والأعياد التى شاركت فيها الطبقات الشعبية على عصر سلاطين المماليك سواء كانت احتفالات خاصة بعودة السلطان من رحلة خارج البلاد ، أو عند عودته منتصرا فى احدى المعارك وتوليه السلطنة ، فعند عودة السلطان الناصر محمد (٦٩٣ هـ/١٢٩٣ م)(٧٢) منتصرا على التتار زينت القاهرة من باب النصر الى القلعة وجاء المغنيون من كل مكان ، وغالى الناس فى وضع الزينات وأمر والى القاهرة باقامة عدة احواض بها سكر وليمون وقام المماليك بالتوزيع على الناس وجاء اهل الريف الى القاهرة للمشاهدة والاحتفال بعودة السلطان الناصر محمد سالما(٧٣) . وفى مثل هذا المناسبة تصدر الأوامر لأصحاب الحوانيت بتبيض حوانتيهم(٧٤) .

وكان يحتفل بشفاء السلطان اذا ألم به مرض ، فقد وقع السلطان لاجين (٦٩٦ هـ/١٢٩٦م) (٧٥) فى أثناء لعبه بالكرة وعندما

تماثل للشفاء زينت له القاهرة وفرح الناس بشفائه وبخاصـــة الحرافيش(٧٦) . وعندما خرج السلطان الناصر للصيد أصيب فى يده ثم عوفى تزينت القاهرة واجتمع أرباب الملاهى بآلاتهم واستمرت الأفراح لمدة اسبوع(٧٧) . وقد اعتاد بعض السلاطين فى مثل هذه المناسبات توزيع الصدقات على الفقراء والمحتاجين(٧٨) .

أما فى حالة وفاة أحد السلاطين فيقام احتفال كبير ويمد سماط عظيم يحضره الأمراء والمقدمين والعسكر ، ثم يقبلون الأرض ويد السلطان الجديد ، وتضـــرب البشـــائر بالقلعة اعلانا بتولية السلطان الجديد وكالعادة تزين القاهرة بجميع أنواع الزينات وذلك قبل دفن السلطان الراحل(٧٩) . وهكذا نرى أن الطبقات الشعبية شاركت فى الاحتفالات السلطانية باقامة الزينات والأفراح وتفننوا فى ذلك حتى أصـــحاب الحوانيت فقد سارعوا بدورهم بتبيض حوانيتهم وقاموا بتعليق القناديل والشموع وجاء المغنيون بالدفوف من كل حدب وصوب للمشاركة فى هذه المناسبات .

وكان يحتفل بوفاء النيل وكسر الخليج(٨٠) احتفالا كبيرا يشارك فيه أهل القاهرة من الطبقات الشعبية ، فقد كان النيل ومايزال هو قوام الحياة فى مصر ، وكان المصريون يهتمون بقياس مقدار الزيادة التى يسببها فيضان النهر يوما بيوم ، ففى عصر كل يوم يقيس المشرف على مقياس النيل مقدار الزيادة ثم يعلنها المنادون فى شـــوارع القاهرة واســـواق القـــاهرة حتى يطمئن الناس(٨١) . وهكذا نجد اهتمام المصريين فى عصر المماليك بزيادة منسوب النيل فاذا توقف النيل عن الزيادة فزع الناس واعتراهم القلق وترتب على ذلك ارتفاع الأسعار وندرة الخبز فى الأفران والأسواق ، ويدفع ذلك السلطان الى اصـــدار أوامره للقضاه والمشايخ والعلماء بالتوجه الى مقياس الروضة حيث يواصلون

تلاوة القرآن والدعاء بزيادة النيل ، ثم ينادى فى الناس بالخروج صباحا للإستسقاء فيخرج الخليفة والقضاه والعلماء ومشـــايخ الزوايا والصوفية والطبقات الشعبية نساء ورجالا بما فيهم أهل الذمة الى الصحراء(٨٢) .

وعند زيادة النيل ستة عشر ذراعا يعلق على الشـــباك الكبير(٨٣) ستر أصفر فيكون ذلك علامة الوفاء ويقوم والى الفسطاط بهذا العمل ، وتعتبر تلك الليلة التى يعلق فيها هذا الستر من أبهج الليالى ، ففيها يوقد أهل القاهرة والروضة القناديل والشـموع ويســـتأجرون المراكب وتزين قوارب الأمراء بجميع أنواع الزينة ويحضر استادار(٨٤) السلطان ويبيت فى المقياس ، هذا بالاضافة الى حضور جماعة من المقرئين لتلاوة القرآن حول الفسقية بالمقياس، ويغنى المطربون لمن يكون حاضرا فى دار المقياس(٨٥) .

وفى اليوم التالى يحضر السلطان أو من ينوب عنه(٨٦) الى دار المقياس ويمد سماطا عظيما من الشواء والحلوى والفاكهة ويتناول الأمراء أشهى المأكولات ثم يتخاطف الطبقات الشعبية ماتبقى من هذه المائدة الحـــافلة بكافة أنواع الأطعمة ، وبعد ذلك يبدأ الاحتفال بوفاء النيل وكسر الخليج ويذاب زعفران فى إناء به ماء ورد ثم يتناوله صاحب المقياس ويسبح فى فسقية المقياس فيخلق عمود المقياس (أى يدهنه بالعطر) ، ثم يخرج السلطان فيجلس فى الشباك الكبير تحت الستر ويقوم بتوزيع الخلع على والى الفسطاط وعلى رئيس الحراقة السلطانية(٨٧) ورؤســـاء مراكب الأمراء ، ثم يركب السلطان حراقته ويتبعه الأمراء بحراريقهم ، وتســير مراكب المتفرجين تزفها المغانى والطبول والزغاريد حتى تدخل فم الخليج(٨٨) ، فاذا وصل الى السد يجد نائب السلطنة فى انتظاره ومعه الأمراء ، ثم يكسر السلطان السد وينصرف بعدها

الى القلعة(٨٩) . هكذا يكون يوم كسر الخليج يوما عظيما فى القاهرة تغلق جميع الأسواق للفرجة ويعم الفرح سائر الناس من أهل القاهرة وغيرها لمشاهدة الزينات والاحتفالات(٩٠) ، وتنطلق الزغاريد عالية من النساء تعبر عن الفرحة(٩١) ، وتستمر هذه الاحتفالات سبعة أيام وسبع ليال ينفق خلالها التاجر ما يكسبه طوال السنة فى هذا الأسبوع على الطعام والحلويات والمشاعل والعطور والموسيقيين(٩٢) .

وتنطلق الغوغاء والحرافيش يوم كسر الخليج فى كل مكان وتحدث جلبة وفوضى وتزهق النفوس ويتعرض كثير منهم للغرق فى النيل ، كما ينطلق الحرافيش ويمدون أيديهم الى كل شىء ويتعرضون للمارة بالسلب والنهب والضرب وربما تطاولوا على البعض بالقتل(٩٣) . مما سبق يتكشف دور الطبقات الشعبية فى الاحتفالات والأعياد التى كانت بمثابة وسيلة من وسائل تخفيف هموم الحياة عليهم هذا فضلا عما كانت تحصل عليه الطبقات الشعبية من عطايا السلاطين ، وكانت هذه الأعياد والاحتفالات تتسم فى العصر المملوكى الأول بالبهجة والفرحة . وتستغرق هذه الاحتفالات احيانا سبعة أيام وسبع ليال كالاحتفال بكسر الخليج ، وذلك يرجع فى المقام الأول لحالة الاستقرار السياسى والاقتصادى الذى تمتعت به دولة المماليك الأولى وبالتالى انعكس ذلك على أوضـــــاعهم الاجتماعية واحتفالاتهم ومواسمهم هذا فضلا عن استقرار حالة الأمن بفضل سياسة السلاطين المعتدلة تجاه الرعايا . وفى العصر المملوكى الثانى تبدلت هذه الصورة الزاهية نظرا لتدهور الأوضاع الاقتصادية والسياسية وانعكاسها على الأحوال الاجتماعية وبالتالى مظاهر احتفالاتهم والتى فقدت جانبا كبيرا من مظاهرها ورونقها ومن ذلك دوران المحمل الذى سبق الحديث عنه وكانت تشترك فى احيائه جميع الطبقات وتنتظره للفرجة والمرح والترويح عن النفس

ومشاهدة كسوة الكعبة الشريفة ، ومن مظاهر تدهور الأوضاع ظهور ما اطلق عليهم اسم « عفاريت المحمل » الذين كانوا يطرقون الأبواب ويأخذون اموال الناس عنوة فضلا عن تعرضهم للناس فى الطرقات الأمر الذى دفع البغض بالشكوى للسلطان من أجل الغاء هذا الاحتفـــال بعد أن كان يعد من أهم الاحتفالات لدى مختلف الطبقات .

وقد حظيت اعياد أهل الذمة فى العصر المملوكى بحرية تامة فى الاحتفال بأعيادهم . وقد شارك المسلمون اخوانهم الذميين فى احتفالاتهم وأعيادهم الأمر الذى يدل على عمق الصلة بينهم فى تلك الفترة . وأول اعياد النصارى عيد الشهيد ويكون فى اليوم الثامن من بشنس احد شهور القبط(٩٤) ، ويعتقد النصــارى أن النيل لا يزيد فى كل عام حتى يلقى النصارى فيه تابوتا به أصبع من توافد النصارى والطبقات الشعبية من مختلف انحاء البلاد الى شبرا اصابع أسلافهم الشهداء(٩٥) . ومن مظاهر الاحتفال بهذا العيد توافد النصارى والطبقات الشعبية من مختلف انحاء البلاد الى شبرا حيث ينصبون الخيام على ساحل النيل(٩٦) . وقد صور لنا المقريزى يوم عبد الشهيد بقوله : « ولا يبقى مغن ومغنية ولا صاحب لهو ولا رب ملعوب ، ولا بغى ولا مخنث ولا ماجن ولا خليع ، ولا فاسق الا ويخرج لهذا العيد »(٩٧) . ويفهم مما ذكره المقريزى هنا أن جميع الطبقات كانت تشارك فى الاحتفال بهذا العيد على عصر سلاطين المماليك .

وكانت تباع فى هذا العيد كميات كبيرة من الخمور حيث كان يسرف النصارى فى شربها احتفالا بهذه المناسبة ، لدرجة أن أهل شبرا(٩٨) كانوا يعتمدون فى دفع خراج الأرض من مورد بيع الخمور فى هذا العيد(٩٩) . ونظرا لما كان يحدث فى هذا العيد من المفاسد وحوادث القتل ، أمر الأمير بيبرس الجاشنكير(١٠٠) بابطال عيد

الشهيد ، ومنع الناس من الاجتماع بناحية شبرا وذلك فى عام ٧٠٢ هـ/١٣٠١ م ولم يفلح النصارى فى اعادته مرة أخرى(١٠١) ، الى ان أمر السلطان الناصر محمد بن قلاوون باعادته فى عام ٧٣٨ هـ/١٣٣٧ م . ثم ابطل نهائيا فى عهد الناصر حسن بن محمد ابن قلاوون(١٠٢) وذلك فى عام ٧٥٥ هـ/١٣٥٣ م ، بعد أن هدم والى القاهرة كنيسة النصارى وأحرق التابوت وبداخله الاصبع ، وذلك بحضور السلطان حسن ثم ذرى رماده فى النهر ، فبطل عيد الشهيد نهائيا(١٠٣) . وقد شاركت الطبقات الشعبية من المسلمين فى هذا العيد على عصر سلاطين المماليك فقد كان بمثابة متنفس لهم وان كان لا يعد عيداً دينيا لهم .

ومن الأعياد الأخرى التى شارك فيها المسلمون اخوانهم النصارى فى عصر المماليك عيد النيروز(١٠٤) وهو عيد راس السنة القبطية ويكون فى شهر توت(١٠٥) ، ويرجع الى فترة تاريخية قديمة فى التاريخ المصرى . فقد كان المصريون قديما يحتفلون بهذا اليوم اكراما لنهر النيل(١٠٦) .

وللطبقات الشعبية مظاهرها الخاصة فى الاحتفال بهذا العيد، فقد كانت تتجمع لتطوف شوارع القاهرة واسـواقها وازقتها ، ويختارون أحدهم ويطلقون عليه أمير النيروز ويغيرون فى صورته وخلقته عن طريق دهن وجهه بالجير أو الدقيق ويجعلون له لحية ، وكان يرتدى ثوبا أحمر أو أصفر ويلبس على رأسـه طرطورا طويلا ، ثم يركب على حمار وحوله الجريد الأخضر وبيده شىء يشبه الدفتر كأنه يحاسب الناس ، ويطوف هذا الموكب بشوارع القاهرة واسواقها ، ويطرق المنازل لأخذ الأموال بالقوة ، وإذا امتنع احد عن اعطائهم الأموال اهانوه بصب الماء والتراب عليه وربما أخرجوا صاحب المنزل وزادوا فى الحاق الأذى به ويحتمون بالنيروز بقولهم : « ليس فيه حرج ولا أحكام تقع »(١٠٧) .

وقد كان السواد الأعظم من العياق(١٠٨) يقفون فى الطرقات ويتراشـــون بالماء المتنجس ويتراجمون بالبيض ، ويتضـــاربون بالأخفاف ، ويقطعون الطريق ، فكان هذا اليوم من الأيام التى يلزم فيها أهل القاهرة منازلهم وتتعطل الأسواق عن البيع والشـــراء وتغلق المدارس حتى يتمكن الأطفال من المشـــاركة فى هذا العيد باللعب والمرح(١٠٩) ، وقد يكون غلق المدارس خوفا عليهم من هذه الفوضى .

واعتاد الناس فى هذا اليوم الاسراف فى شـــرب الخمور والمجاهرة بارتكاب المفاسد كمظهر من مظاهر الاحتفال به بصورة فجة ، وقد شارك المسلمون اخوانهم النصارى فى القيام بعمل بعض أنواع من الحلوى فى هذا اليوم كالزلابية والهريسة ، وكان ذلك يتم فى الليل حتى اذا أشرقت الشمس تبادلوا الأطعمة والحلوى وتهادى الأقارب بها ، كما اعتادوا تناول بعض أنواع من الفاكهة مثل البطيخ والخوخ والبلح والرمان والموز والتفاح(١١٠) .

ونظرا لأن الطبقات الشعبية فى القاهرة المملوكية كانت تجد فى بعض الاحتفالات والمناسبات منطلقا لها للتنفيس عن احباطاتها الاجتماعية والاقتصادية ، فقد كانت تضرب عرض الحائط بالتقاليد الاسلامية المتعارف عليها ، ومن هنا جاءت بعض المخالفات المذمومة نحو اختلاط الرجال بالنساء فى أثناء اللعب ، أو الخروج الى البرك والخلجان والتعرى هناك أو ارتداء الملابس الرقيقة(١١١) ، الأمر الذى دفع السلطان برقوق(١١٢) الى اصدار أوامره بمعاقبة من يفعل ذلك . ففى عام ٧٨٢هـ/١٣٨٠م نودى فى القاهرة ومصر بعدم اللعب بالماء فى يوم النيروز وهدد من يخالف ذلك بضربه ، وقد قبض على أربعة خالفوا هذه الأوامر(١١٣) ، وفى هذا دلالة على الحرص على منع مظاهر الاحتفال السيئة بهذا العيد .

هذا عن عيد النيروز ومظاهر احتفال الطبقات الشعبية به والمخالفات والمفاسد التى كانت تحدث فيه ، وموقف سلاطين المماليك من هذا الاحتفال . ويلاحظ أن هذا العيد كان يعكس موقف الطبقات الشعبية من سلاطين المماليك وطبقة الأغنياء التي كانت تتعرض للسلب والاعتداء فى هذا اليوم ، وربما كان ذلك راجعا لاحساس الطبقات الشعبية بأن السبب فى تدهور أوضـــاعهم الاقتصـــادية والاجتماعية عائد الى هذه الطبقات الحاكمة والارستقراطية الغنية .

وهناك أعياد أخرى احتفل بها النصارى فى العصر المملوكى وشاركهم فيها بعض المسلمين بل وتأثروا ببعض المعتقدات المتعلقة بها، ومنها خميس العهد(١١٤) الذى يحتفل به قبل الفصح بثلاثة أيام وفى هذا اليوم يغسل البطريك أرجل النصارى ، ويزعمون أن المسيح عليه السلام فعل هذا بتلاميذه ليعلمهم التواضع ، وتطلق عليه الطبقات الشعبية من النصارى خميس العدس . ومن عاداتهم فى هذا الموسم طهى العدس(١١٥) ، وتزدهر أسواق القاهرة فى ذلك اليوم فيباع البيض الملون بكميات كبيرة ، لدرجة أن الغوغاء من الطبقات الشعبية كانوا يقامرون به مما دفع المحتسب الى وقفهم ، هذا فضلا عن أن بعض النصارى يقدمون الهدايا لبعضهم البعض كما يهدون المسلمين أنواعا مختلفة من السمك وبخاصـــة المختلط بالعدس المصفى والبيض(١١٦) .

أما عن سبت النور فقد كان قبل الفصح بيوم ، ويزعم النصارى أن النور يظهر فى هذا اليوم على مقبرة المسيح فتوقد منه مصابيح كنيسة القيامة(١١٧) ، وكان النصارى يجمعون فى مساء ذلك اليوم أوراق الشجر من الريحان وغيره ويبيتونها فى اناء به ماء ويغتسلون به ، ثم يأخذون ما اجتمع من غسلهم ويلقونه فى الطريق ويزعمون أن ذلك يقيهم من الأمراض والعين والسحر ، كما كانوا يكتحلون

بالكحل الأسود اعتقاداً منهم أنه يزيد فى قوة الابصار ، هذا بالاضافة الى تناولهم الدواء فى هذا اليوم ويزعمون أن ذلك يكون أكثر فائدة من أى يوم آخر ، كما يخرجون الى شواطىء النيل حيث تتعرى النساء والرجال ويدهنون أجسامهم بالكبريت ويجلسون فى الشمس حتى آخر النهار ، وعند الغروب ينزل الجميع فى النهر(١١٨) .

ويحتفل بعيد الغطاس فى الحادى عشر من طوبة(١١٩) فى ذكرى تعميد المسيح عليه السلام على يد يوحنا المعمدان (يحيى بن زكريا) فى نهر الاردن)١٢٠) . وقد تشبه المسلمون بالنصارى فاتخذوا من ذلك اليوم موسما يحتفلون به بالتوسعة على الأهل وادخال السرور على الأطفال لدرجة أن بعض المسلمين كان يغطس فى الماء فى تلك الليلة كما يفعل النصارى(١٢١) .

ويحتفل بعيد الزيتونة أو الشعانين بالتسبيح والدعاء وذلك تخليدا لذكرى دخول المسيح الى القدس راكبا اليعفور (الحمار) والناس بين يديه يسبحون وهويأمر بالمعروف وينهىعن المنكر(١٢٢) ، ويخرج فى هذا العيد المسلمون مع اخوانهم النصارى الى حى المطرية حيث يوجد بئر البلسم ويغتسلون حيث يعتقد المسيحيون أن مريم العذراء غسلت فيه ثياب المسيح(١٢٣) . هذا عن أهم الأعياد والمواسم التى احتفل بها النصارى فى عصر المماليك وشاركت فيها الطبقات الشعبية الى جانب النصارى وكانت ذات تأثير واضح فى عادات وتقاليد تلك الفئة بل وفى حياتهم اليومية ، فقد كانت النساء لا تعملن فى ليلة الأحد(١٢٤) ، تأثرا بما كان يفعله المسيحيون آنذاك .

وهناك اعياد اخرى للنصارى احتفل بها فى عهد المماليك وان كانت لم تأخذ مظاهر الاحتفال بالمواسم والأعياد سابقة الذكر نفسها.

وقد شارك فيها المسلمون أيضا الى جانب اخوانهم المسيحيين مثل عيد البشارة والفصح وخميس الاربعين وعيد الخميس والميلاد وحد الحدود والتجلى وعيد الصليب(١٢٥) .

وقد كانت احتفالات اليهود بأعيادهم(١٢٦) فى عصر المماليك ذات تأثير واضح على الطبقات الشعبية وبخاصة فى ممارستهم لحياتهم اليومية ، ومن ذلك أعتياد بعض نساء المسلمين عدم شراء السمك أو أكله أو ادخاله ببوتهن يوم السبت ، وعدم دخول الحمام أو شراء الصابون أو غسل الملابس فى هذا اليوم(١٢٧) .

ومن الملاحظ أن الاحتفال بأعياد اليهود كان مقتصر عليهم وحدهم ، وان كنت أرى أن انفراد اليهود باحتفالاتهم يرجع فى المقام الاول الى كونها احتفالات ذات طابع دينى يستمد أصوله من الكتب المقدسة اليهودية ، ومن طبيعة العقيدة اليهودية أنها عقيدة مغلقة الأمر الذى جعل معتنقى اليهودية يحتفلون بأعيادهم بخصوصية ، فضلا عن اعتقادهم بأنهم شعب الله المختار وباقى الديانات السماوية الأخرى من مسلمين ومسيحيين هم أدنى منهم مكانة وكرامة عند الله عز وجل .

أما الاحتفالات الأسرية التى ميزت الحياة الاجتماعية للطبقات الشعبية فى القاهرة على عصر سلاطين المماليك فمن أهمها الاحتفال بالزواج(١٢٨) ، وقد كان للخاطبة فى العصر المملوكى دور كبير فيما يسبق الزواج من اختيار العروس واتمام الخطبة ، وذلك لأن التقاليد فى ذلك العصر لم تكن تسمح للعريس بمشاهدة العروس الا بعد عقد القران والزفاف ، ولهذا لجأ من يرغب فى الزواج أنى الخاطبة، والتى كانت تتظاهر ببيع لوازم النســاء فيتاح لها دخول البيوت والاطلاع على شئون النساء الخاصة ، ولهذا فانها تعرف كل حرة وعاهرة وكل مليحة بمصر والقاهرة(١٢٩) .

وكانت الخاطبة تستطيع أن تأتى للعريس بالعروس التى تناسبه اجتماعيا واقتصاديا ، وقد ذكر بعض الباحثين بعض الحالات التى قامت الخاطبة فيها بغش العريس من خلال تزويجه بعروس قبيحة فيصف ابن دانيال ذلك بقوله : « فاذا كشف عن وجهها الخمار ، شهقت شهيق الحمار .. بأنف كالجبل ومشافر كمشافر الجمل ولون كلون الجعل(١٣٠) ، وأجفان مكحولة بالعمش وأسنان كأسنان التمساح »(١٣١) .

وهناك مواصفات معينة لدى جميع طبقات الشعب المصرى على عصر سلاطين المماليك فى اختيار الزوجة ، منها أن تحافظ على مال زوجها وأولاده ، وتحسن اعداد الطعام ، وتهيىء له نوما مستقرا ، وتكون مشتكى الهم والحزن ، وتحفظ اسرار زوجها ولا تبيح بها ، وتقف بجانبه فى أزماته ومرضه(١٣٢) وقد اتفقت مختلف الطبقات على صفات معينة لابد أن تتوافر فى الزوجة فالبعض كان يرغب فى عروس « درية اللون » ، حسنة الكون ، ملئوفة البدن ، لا رقيقة ولا مفرطة السمن ، أسيلة الخد(١٣٣) ، قائمة النهد(١٣٤) . وقد خلف ابن الحاج ذلك فذكر أن بعضهم اتخذ عادة مذمومة وهى أن المرأة اذا أتت الى فراشها بعد أن كانت تعشت وملأت جوفها فتأخذ عند دخولها الفراش لباب الخبز فتفتته مع جملة حوائج أخرى فتبتلع ذلك بالماء اذ انها لا تقدر على اكله لكثرة شبعها حتى لم تترك موضعا لسلوك الماء فمن الغالب من يريد السمن منهن .

وقد اتفق أهل القاهرة من المسلمين على الأخذ بالحديث النبوى الشريف « تنكح المرأة لاربع : لمالها ، ولحسبها ، ولجمالها ، ولدينها فاظفر بذات الدين تربت (١٣٥) يداك(١٣٦) » .

ويبدو أن العروس لم يكن لها رأى فى أختيار شريك حياتها ، بل ان الرأى الأول والأخير كان لوالدها ، وربما شاركت الأم زوجها الرأى(١٣٧) . وبعد الانتهاء من فترة الخطبة تأتى مرحلة عقد القران(١٣٨) . هذا وقد فضل كثير من الناس عقد الانكحة فى المساجد ، فكانوا يحضرون معهم المباخر المفضضة التى يحرقون فيها البخور وبعد الانتهاء من عقد القران يقام احتفال كبير بتلك المناسبة(١٣٩) .

وفى العصر المملوكى كان يقوم بعقد الانكحة ، العاقد (المأذون) حيث كان يتفرغ لكتابة عقود الزواج كمصدر للرزق ، والى جانب المأذون وجد القاضى الذى قام بنفس مهمة المأذون وبخاصة عقد قران السلاطين والأمراء(١٤٥) .

ويلاحظ أن اغلب عقود الزواج كانت مهورها مؤجلة مما يدل على تردى الحالة الاقتصادية التى كانت عليها مدينة القاهرة فى ذلك الوقت ، فضلا عن أن معظم عقود الزواج التى عثر عليها كانت للطبقة العليا فما بال الطبقات الشعبية فى عصر المماليك الجراكسة . ومما يدل على تردى الحالة الاقتصادية ما ذكره المقريزى أنه منذ عام ٦٩٦ هـ/١٢٩٦ م حدثت سلسلة من القحط والغلاء والوباء(١٤١) ، فتزايدت بسببه الاسعار حتى اضطر السلطان الى جمع ذوى الحاجات وتفريقهم على الأمراء كل أمير يأخذ ما يتناسب مع رتبته ، فأمير المائة يتولى أمر مائة فقير ، وامير الخمسين يتولى أمر خمسين فقيرا وهكذا(١٤٢) . وفى اول شهر رجب عام ٧٢٦ هـ/١٣٣٥ م وقع الغلاء بالقاهرة فى ايام الملك الناصر محمد وعز القمح ووصل كل أردب الى سبعين درهما ، والخبز كل خمسة أرطال بدرهم ولا يكاد يوجد ، وعدم القمح من الاسواق ، فضج الناس للسلطان واستغاثوا ، فجمع الأمراء وقال

لهم(١٤٣) . ثم وقع الغلاء فى أيام الملك الأشرف شعبان ، بسبب قصور النيل « فانحط الماء وارتفع السعر ، وعزت الأقوات ، وقل موجودها(١٤٤) .

من الفقرات السابقة التى أوردها المقريزى دلالة واضحة على سوء الأحوال الاقتصادية فى مصر المملوكية منذ عام ٦٩٦ هـ / ١٢٩٦ م الى عام ٧٧٦ هـ / ١٣٧٤ م اى أن فترة القحط استمرت ثمانين عاما ، وقد استشرت فى هذه الفترة الرشوة فى الخطط السلطانية ، والمناصـــب الدينية وازدادت حيل المزيفين للعملة المملوكية(١٤٥) .

وقد أشار ابن الحاج الى أن بعض البنات كن يحرصن على عدم الصيام خشية تعرض أجسامهن للضعف والنحافة وبخاصة من عقد عليها زوجها ولم يدخل بها(١٤٦) . وتأتى بعد ذلك الخطوة الثالثة بعد عقد القران ، وهى اعداد منزل الزوجية وتأثيثه ، ويبدو أن ذلك كان يتم حسب ثراء العريس ، وقد خصصت فى القاهرة عدة أماكن لبيع جهاز النساء وشوارهن(١٤٧) . وبعد أن يتم اعداد الشوار(١٤٨) ينقل الى منزل الزوجية على رءوس الحمالين والبغال فى حفل يحضره الأهل والأصدقاء كما هى عادة المصريين فى هذه المناسبات وبخاصة فى العصر المملوكى(١٤٩) ، وبعد الانتهاء من نصب الجهاز وفرش المنزل يسمح بالدخول لمشاهدته(١٥٠) . وكان جهاز العروس من الطبقات الشعبية ليس كجهاز ذوى اليسار بل هو على شىء من السذاجة والبساطة وذلك لاقتصـــار الطبقات الشعبية فى تأثيث بيوتهن على حصـــيرة وطراحة(١٥١) وبعض المساند أو المخدات المحشوة بألياف نباتية ، كما يستخدم الفقراء جلد حيوان رخيص كفراش للأرض ، كما يستخدمون بقايا أقمشة قطنية توضع طبقات فوق بعضها حتى تكون فرشة للنوم(١٥٢) .

ثم تأتى بعد ذلك مرحلة أخرى وهى ليلة الزفاف ويتوجه العريس الى منزل العروس حيث يأخذ العريس عروسه الى منزل الزوجية بمصاحبة الأهل والأصدقاء(١٥٣) . أما عرس الطبقات العليا فتقام وليمة كبيرة يطلق عليها وليمة العرس ، وهى عبارة عن وليمتين احداهما للنساء وتقام فى بيت العروس وأحيانا تكون فى منزل خال العروس ، والأخرى للرجال وتكون فى منزل العريس ، وربما تقام الوليمتان فى منزل واحد(١٥٤) . وبعد الانتهاء من تناول الطعام يتوجه العريس الى منزل العروس فى حفل كبير يحضره الأهل والأصدقاء(١٥٥) ، حيث زين منزل العروس بالبسط والمقاعد والدكك والقناديل(١٥٦) ، وتتصدر العروس ذاك الحفل بعد أن تستكمل زينتها(١٥٧) اذ يقوم بعض أهلها بتكحيلها وتمشيطها وتحفيفها ، ثم الباسها أفخر الثياب المطرزة ، وفى نهاية الحفل يأخذ العريس عروسه الى منزل الزوجية بمصاحبة الأهل والأصدقاء وزفة موسيقية صاخبة(١٥٨) . وقد خصصت قاعات لاحياء أفراح المسلمين فى العصر المملوكى(١٥٩) ، فى حين كانت تقام أفراح أهل الذمة بالملاهى وفقا لعاداتهم(١٦٠) .

ومن الاحتفالات الأسرية المهمة فى حياة الطبقات الشعبية فى القاهرة على عصر المماليك الاحتفال بقدوم مولود جديد ، اذ نجد الأم تستعد لذلك اليوم باحضار الملابس الخاصة بالطفل أو المهد الذى يربى فيه(١٦١) . وقد جرت العادة على أن يتم الاتفاق مع القابلة (الداية)(١٦٢) على أجر قبل عملية الوضع حتى لا يحدث نزاع حول هذا الأمر ، وقد اعتادت بعض النساء اذا تعسرت المرأة فى الوضع أن يأخذن « لباب الخبز ويجعلن فى قلبه ذيل الفأرة ويطعمنها » ذلك اعتقادا بأن ذلك يسهل عملية الولادة(١٦٣) ، فاذا وضعت الأم مولودها أسرعت القابلة باخذ الملابس التى نزل فيها

المولود(١٦٤) . ومن الأمور المستحبة التأذين فى أذن المولود عند ولادته ، وسر التأذين ان يكون ما يقرع على سمع الطفل كلماته المتضمنة لكبرياء الرب وعظمته ، والشهادة التى أول ما يدخل بها فى الاسلام ، ومن فوائد التأذين أيضا هروب الشـــيطان من كلمات الأذان(١٦٥) .

وكان الزوج يحرص على نزول المولود فى ثوب أو خرقة احد الأكابر من أهل العلم والصلاح على اعتقاد أن ذلك يجلب البركة ، أما النساء فيقبلن ويزغدن ويرفعن أصواتهن بالغناء مع الرقص على صوت الدفوف واللهو واللعب ، وصـــوت المزامير والأبواق على باب المنزل ، ويستمر ذلك لمدة سبعة ايام ، ثم تأتى بعد ذلك مرحلة قطع سرة المولود ، فيجتمع حوله مجموعة كبيرة من صغار الأطفال ويزعمون أن من لا يحضر من الأطفال عند قطعها يصاب بالحول أو وبكى كثيرا فى طفولته . أما السكين التى تستعمل فى قطع سرة المولود ، فتوضع عند رأسه مادامت امه جالسة الى جواره ، فاذا قامت حملتها معها ، وتفعل ذلك لمدة أربعين يوما ، حتى لا يصيبها شىء من الجان(١٦٦) .

وبعد مرور أسبوع على ولادة المولود (السبوع) يقام حفل ترتدى فيه الأم ثيابا جديدة ، وتطوف فى أرجاء المنزل ومن حولها الشموع ، ومن أمامها القابلة (الداية تحمل المولود ، وأمام القابلة امرأة أخرى معها طبق فيه ملح مخاوط بالكمون تنثره فى أنحاء المنزل يمينا ويسارا ، هذا فضلا عن البخور المخصص للولادة ، ويعتقد أن ذلك يقى من الأمراض والكسل والعين والجان(١٦٧) . ولا شك فى أن مظاهر احتفال الطبقات الشعبية بمثل هذه المناسبات لا تختلف عنها لدى طبقة الأغنياء سوى فى بساطة اجراءات الاحتفال ، وعدم الاسراف فى التكلفة المالية لهذه المظاهر .

ومن الاحتفالات الأخرى التى حظيت باهتمام مختلف الطبقات فى عصر سلاطين المماليك يوم الاحتفال بختان الطفل(١٧٠) ، ويتم ذلك بعد أسبوع من ميلاده(١٦٩) ، وفى العادة كان يقوم بختان الطفل فى هذا العصر « المزين »(١٧٠) ، وبعد الختان يقام احتفال كبير يحضره الأهل والأصدقاء ، وفى هذه المناسبة يتم تقديم النقوط لأهل الطفل ، فيضعون هذه النقوط فى « الطشت الذى يختتن فيه الطفل »(١٧١) . وفى الغالب يقدم هذا النقوط فى هذه المناسبات كنوع من التعاون والتكافل الاجتماعى بين الطبقات الشعبية .

وبقدر ما أظهرت الطبقات الشعبية على عصر سلاطين المماليك فرحتها وبهجتها فى احتفالاتها وأعيادها وأفراحها ووسائل لهوها ، كانت أحزانها عميقة ، فاذا مات أحـــد الأفراد أظهرت عائلته حزنها الشديد عليه . فيجتمع جيران وأصدقاء المتوفى لتعزية أهله ، فاذا حضرت احدى المعزيات دخلت وهى تلطم خدها فتستقبلها النســـــاء المجتمعات فى منزل المتوفى بما فعلته نفسه من البكاء والعويل والنواح على الميت ، ويظلون على ذلك فترة طويلة(١٧٢) .

ولاظهار الحزن على الميت كانت النساء تلجأ الى دهن اجسادهن بالسخام(١٧٣) وارتداء السواد الى جانب سـكب الشراب على رءوسهن وتلطيخ البيوت بالسواد(١٧٤) ، واذا دخلت الغاسلة أو الغاسل(١٧٥) ليؤديا عملهما وهو تغسل الميت واعداده الدفن تطلق النساء صيحة عالية بل ويدخل بعضهن على الغاسلة بالشـــتم والضرب « ويقلن لها يا وجه الشؤم فتقول لهن انما رأيت الشؤم عندكن » ، وكانت تأخذ حذرها وتختبىء منهن(١٧٦) ، ويبدو أن أهم ما كان يحتاج اليه الغاسل أو الغاسلة هو القطن والســـدر والكافور(١٧٧) ، وبعد تغسيل الميت واعداده للخروج يحمل على النعش ، ثم يحضر شخص يطلق عليه « المدير » وظيفته تزكيه

الميت بعبارات مثل السعيد او الشهيد او القاضى ، او الصالح العابد ، كهف الفقراء والمساكين ، وللمرأة السعيدة الشهيدة الى غير ذلك من العبارات التى يطلقها فى هذه المناسبة(١٧٨) .

وعند تشييع الميت لمثواه الأخير يطلق اهل الميت رجالا ونساء الصراخ العالى ويسمون ذلك وداعا للميت(١٧٩) ، وعند خروج الجنازة يتحرك وراءها المشيعون وهم يصيحون ويبكون ، ومعهم عدد كبير من النساء ينعون وينوحون فى الشوارع والأسواق ، وأمام ما كان يحدث من النساء فى الجنازات مما يخالف أصول الشريعة الاسلامية تشدد المحتسب فى منع النساء من الخروج فى الجنازات(١٨٠) .

وتستمر الجنازة فى السير حتى يصلوا الى موضع يسمونه دربه « الوداع » فيقف أهل الميت لتلقى العزاء ، وكان البعض يسبق الجنازة الى القبر ، والبعض الآخر يستمر فى السير وراء الجنازة حتى مثواها الأخير ، حيث يحمل النعش الحمالون ويجرون به لدرجة إن الميت يهتز داخل النعش(١٨١) .

وقد تفنن أهل القاهرة المملوكية فى التجهيز للمآتم وغالبا ما كانت تقام تلك المآتم مصحوبة بالمغانى والندابات اللائى يضربن بالطارات والدفوف ويلطمن على الخدود(١٨٢) ، ويتعالى صوت « النائحة » بالعديد على رنين الطارات قائلة(١٨٣) ، ويستمر الحزن على المتوفى لمدة سنة كاملة ، لا تختضب فيها النساء بالحناء ، ولا يلبسن الثياب الحسان ولا يتطين ولا يدخلن الحمام ، وبعد مضى السنة يقمن بما اعتدن فعله بصورة طبيعية ، ويسمون ذلك « بفك الحزن » الذى يعقبه الاستمتاع بمختلف مظاهر الفرح والسرور(١٨٤) .

وهناك بعض العادات التى ارتبط بها معظم أهل القاهرة فى حالة الحزن ، فقد اعتاد البعض اذا كان الميت عريسا أو عروسا ، وضع خشبة عند راس الميت تكسى ببعض الملابس التى كان يرتديها الميت فى حياته ، ثم يجلسون ويبكون ويتأسفون على وفاته(١٨٥) .

هذا وقد حرص اهل القاهرة على زيارة الميت يوم الجمعة اعتقادا منهم أن الميت لا يطيب خاطره بين الموتى اذا لم يحضر اهله لزيارته ، هذا بالاضافة الى تحريم أكل الملوخية حزنا على المتوفى ، ويعللون ذلك بأنها « مجمعة الأحباب » وفى تناولها تذكره بالميت وتجديدا للأحزان ، كذلك حرموا على انفسهم تناول السمك طوال فترة الحزن . وكان البعض يضع فى المكان الذى غسل فيه الميت رغيفا ووعاء به ماء ثلاث ليال بعد موته ، والبعض كان لايغسل ثياب الميت الا فى اليوم الثالث اعتقادا منهم أن ذلك يرد عنه عذاب القبر(١٨٦) .

وبالرغم من سوء الأحوال الاقتصادية والاجتماعية للطبقات الشعبية فى ظل حكم المماليك ، الى جانب الأوبئة والمجاعات التى حدثت من وقت لآخر والتى كانت تحصد أغلبهم ، رغم كل ذلك لم تفقد الطبقات الشعبية روح المرح والتسلية بالاستمتاع ببعض وسائل الترفيه عن النفس ، وهذه السمة ظلت بلسما للطبقات الشعبية الكادحة المصرية ومتنفسا لها فى الاحتفالات الكثيرة التى حظى بها العصر المملوكى . فقد اطلق الرحالة ابن بطوطة وصفه لأهل مصر على اختلاف طبقاتهم بأنهم « ذوو طرب وسرور ولهو »(١٨٧) .

وبرغم انتشار الأوبئة والأمراض وانخفاض منسوب النيل ، ومع ما نتج عن ذلك من ارتفاع فى الأسعار لم تتوقف الطبقات

الشعبية عن الغناء(١٨٨) ، ففى مجاعة عام ٨٥٤ هـ/١٤٥٠ م(١٨٩) كانت الطبقات الشعبية تخرج فى الشـــوارع وهم يضـــحكون ويهزلون(١٩٠) ، وهكذا وجدت الطبقات الشعبية فى الضحك والمزاح وسيلة لمجابهة الكوارث والترويح عن النفس .

وظهرت هذه الروح بوضوح فى بعض الألقاب التى أطلقتها الطبقات الشعبية على بعض أمراء المماليك على سبيل التهكم مثل الأمير سيف الدين مكتمر الناصرى(١٩١) الذى أطلقوا عليه اسم « الدم الأسود » ، وناصر الدين(١٩٢) الذى سموه «فأر السقوف» والأمير طشتمر البدرى(١٩٣) الذى عرف باسم « حمص أخضر » والأمير قطلوبغا الفخرى(١٩٤) الذى سمى « بالفول المقشر » .

وحتى عندما يأمر السلطان بعض الطبقات الشعبية بالعمل سخرة فى بعض الأعمال ، كانوا يخرجون على هيئة طوائف تصاحبها بعض أدوات الغناء مثل الدفوف والمزامير(١٩٥) ، وقد كان اصطحاب أدوات الغناء وسيلة تخفف عنهم عمل السخرة .

وقد تعددت وسائل التسلية واللهو فى العصر المملوكى ، فكان منها خيال الظل(١٩٦) ، وهو التسلية المفضلة لدى جميع الطبقات(١٩٧) . وقد ارتبطت هذه التسلية فى بداية الأمر بسراة الناس وأثريائهم الذين كانوا يستقدمون المخايلين (اللاعبين بخيال الظل) فى احتفالاتهم(١٩٨) ، وشغف به كثير من سلاطين المماليك ، فالسلطان الناصر أبو السعادات(١٩٩) ، أرسل يحضر اليه ابو الخير ومعه خيال الظل لمشاهدته عروضه(٢٠٠) .

على حين نجد أن بعض ســــلاطين المماليك مثل الظـــاهر جقمق(٢٠١) وجد فى تمثيليات خيال الظل عملا يتنافى مع الأخلاق والدين ، ولذلك امر بجمع اصحاب خيال الظل واحرق جميع ما معهم

من الشخوص المصنوعة للخيال ، مع تحذيرهم بعدم العودة الى التسلية به(٢٠٢) . وربما كان ذلك راجعا الى أن كثيرا من بابات (تمثيليات) خيال الظل كانت تتضمن عبارات خارجة عن الادب والذوق فضلا عن بعض عادات المصريين غير المقبولة . ثم سرعان ما اصبح خيال الظل التسلية الشعبية المفضلة لدى الطبقات الشعبية فقد كثر المخايلون وانتشروا بالقرى والاحياء وفى موالد الأولياء والمناسبات الدينية والقومية وحفلات العرس والختان(٢٠٣) .

وقد عبرت الطبقات الشعبية من خلال خيال الظل عن فرحنها وحزنها وطموحها وتكوينها الوجدانى(٢٠٤) . ولم تكن وظيفة خيال الظل تقتصر على تقديم الحكايات الهزلية الفكاهية المقصود بها التسلية والترفيه ، بل تجاوزت ذلك الى تقديم بعض التمثيليات بهدف الوعظ والعبرة ، وقد حازت هذه الاعمال اعجاب مختلف الطبقات(٢٠٥) .

ونظرا لارتباط لعبة خيال الظل الوثيق بمخيلة الطبقات الشعبية فقد استغلها بعض الصوفية فى الرمز الى زوال الحياة الدنيا كقولهم للحياة الدنيا « انها خيال كخيال الظل ، ظل زائل ، وان الناس فى الدنيا كاللاعبين وراء الستار »(٢٠٦) .

ومن وسائل التسلية الأخرى التى شغفت بها الطبقات الشعبية على عصر سلاطين المماليك سماع السير والحكايات الشعبية(٢٠٧)، والنوادر المضحكة ، والقصص ، فقد كان القصاصون يلقونها على مسامع الناس فى مجالس سمرهم فيهتزون طربا لما تحمله هذه القصص فى ثناياها من أحداث تعوضهم عن واقعهم المؤلم وتحيى فى نفوسهم الأمل ، وتنتقم لهم من رموز الظلم والعدوان ، كما تنال من العدو ومقدساته وأبطاله(٢٠٨) .

ومن أمثلة هذه السير ، سيرة الظاهر بيبرس وعنترة التى ترتبط بمفهوم البطولة والفروسية وذات الهمة وقصص بنى هلال وحكايات الجان فى الف ليلة وليلة . وهذه السير والقصص والحكايات كانت بمثابة مورد لا ينضب لتسلية الطبقات الشعبية(٢٠٩) .

ويعتبر حى بين القصرين(٢١٠) احد الأماكن التى كانت الطبقات الشعبية تتردد عليها ، فكانت تعقد فيه ندوات لقراءة السير والأخبار وانشاد الأشعار(٢١١) . وقد وجد فى عصر المماليك ايضا بعض الأشخاص ذوى الهيئة المضحكة كانوا يلقون النوادر المضحكة وبعض الحكايات المرتبطة ببعض الأشخاص نحو جحا وقراقوش وغيرها(٢١٢) .

ولم تقتصر مثل هذه النوادر على الرفاق والأصدقاء فحسب بل تعدت ذلك الى الساسة والحكام من سلاطين المماليك ومن هذا ما قيل فى مقتل السلطان حسن(٢١٣) ، الذى كان فيه ميل للهو وشغف بالنساء ، اذ قال احد الشعراء متهكما : لما أتى « للعاديات » وزلزلت حفظ « النساء » وما قرأ « للواقعة »(٢١٤) . وهكذا يتبين كيف كان لوسائل الترفيه وروح المرح والفكاهة تاثيرا واضحا فى تخفيف وطاة سوء الأحوال الاقتصادية والاجتماعية للطبقات الشعبية فى معظم فترات حكم دولة المماليك .

وقد لهى الناس فى ذلك العصر بمجموعة من الألعاب التى لها طابع المقامرة ، مثل تطيير الحمام ، ومناقرة الديول ، ومناطحة الكباش والثيران ، ولعبة « المعالجة » اى لعبة رفع الأثقال(٢١٥) .

وانتشرت هذه الألعاب بين الطبقات الشعبية ، فقد ورد فى احدى بابات خيال الظل لابن دانيال الذى صور فى بابه « المتيم

والضائع اليتيم » مناقرة الديوك ومناطحة الكباش ، خلال عرضه لكيفية أعداد كل من المتيم واليتم ديكه لخوض لعبة « النقار » ويبدو أن عشاق هذا اللون من اللهو من أهل الثراء كانوا يسرفون فى العناية بهذه الديوك(٢١٦) .

وتوضح هذه البابة طبيعة هذه المناقرة ، وكيفية الظفر فيها فيقول ابن دانيال على لسان (زيهون) أحد شخوص البابة ان أحسن ما يسر السوقة والملوك ، مناقرة الديوك لانها مناضـــلة ومقاومة ومعازلة ، فحينما يصطدم الديكان ، ويصيران على الاقدام يفوز من يصمد ويخسر من يهرب ، ويلجأ الى الفرار وربما يتبدل الحال للمغلوب بعد ذلك(٢١٧) .

ومن الرياضيات التى تسلى بها الناس فى عصـــر المماليك « المصارعة » فقد كان السلطان المظفر حاجى(٢١٨) يحضر الأوباش بين يديه لممارسة هذه اللعبة ، وكان يرتدى تبان من جلد لشراويل قصيرة) ويتعرى من جميع ثيابه ويشاركهم فيها(٢١٩) .

وتلهى الناس فى ذلك العصر أيضا بألعاب الدبابة الذين يلعبون بالدبابة ، والقرادة ، وهم الذين يلعبون بالقرود(٢٢٠) ، كما انتشرت ألعاب الحواة فى العصر المملوكى واقبلت عليها الطبقات الشعبية حيث كانوا يلعبون بالثعابين وغيرها من الزواحف التى يستطيعون ترويضـــها وقد خلع الســـلطان الناصـــر محمد بن قايتباى(٢٢١) على حاو احضر اليه الحيات لمشاهدتها(٢٢٢) .

وهناك ألعاب أخرى شغفت بها الطبقات الشعبية فى العصر المملوكى مثل الألعاب البهلوانية والتى كانت تعرض فى الشوارع والميادين العامة ، فقد روى أن رجلين من الطبقات الشعبية قد

نصبا حبلا على احدى المآذن ومشيا عليه ، وقد حضر السلطان الأشرف برسباى(٢٢٣) وتجمع الناس لرؤيتهما ، وعد ذلك من النوادر(٢٢٤) .

وفى باب اللوق(٢٢٥) كان يجتمع أصحاب الحلق(٢٢٦) وأرباب الملاعب والحرف كالمشعوذين ، والمخايلين والحواة وغير ذلك ، فيجتمع الناس الفرجة وللمفاسد(٢٢٧) . مما سبق يتضح أن الألعاب البهلوانية عرفت فى القاهرة على عصر سلاطين المماليك وانتشرت على نطاق واسع وشغفت بها الطبقات الشعبية فضلا عن طبقة المماليك .

أما الألغاز والاحاجى(٢٢٨) ، فقد كانت لونا من الوان الترويح شغف بها الناس ولقيت رواجا بين الطبقات الشعبية ويستغل الملغز ما يعطيه اللغز من معان مختلفة ودلالات متباينة(٢٢٩) .

فالألغاز(٢٣٠) عبارة عن مسألة تتطلب حلا لما تنطوى عليه من غموض ، وهى ليست مجرد احجية(٢٣١) لفظية تطرح للتسلية فحسب(٢٣٢) ، كما توجد الألغاز بكثرة فى ثنايا الحكايات الخرافية والسير الشعبية(٢٣٣) .

وقد شاعت فى العصر المملوكى لعبتان اقبل عليهما السلاطين والطبقات الشعبية معا وهما النرد(٢٣٤) والشطرنج(٢٣٥) ، ويصف ابن دانيا اغراء لعبة النرد وكيف انها تلهى الانسان عن كل شىء حتى عن اداء الفروض الدينية من صوم وصلاة ومما قيل فيها(٢٣٦)، كما وصفها ابن الحاج بأنها لعبة تضيع الوقت(٢٣٧) ، هذا وقد تنوق كثير من الناس فى مختلف فنونها(٢٣٨) .

ومن وسائل التسلية الأخرى التى شاعت على عصر سلاطين المماليك الغناء والموسيقى التى شاركت الطبقات الشعبية سلاطين

المماليك فى الاســـتمتاع بها(٢٣٩) ، وقد بلغ من ولع الطبقات الشعبية بالغناء والموسيقى أن البعض كان يحمل معه فى القوارب الآلات الموسيقية ، فيضرب البعض بالطار والبعض الآخر بالشبابة أو المزمار مع الغناء والانشاد(٢٤٠) ، وارتكاب بعض المفاسـد ، مما دفع الأمير بيبرس الجاشنكير ، الى اصدار أوامره بمنع المراكب من دخـــول الخليج الحـــاكمى محملة بالخمـــور ومختلف آلات الموسيقى(٢٤١) . وقد كان للمطربين والمطربات مكان معلوم يذهب اليه من يريد سماعهم ، وكانوا ينتظرون لحين حضور المطرب الذى يريدونه لاحياء احدى الحفلات أو الأفراح ، وقد زعم البعض أن من يمر بهذا المكان لا تقضى له حاجة(٢٤٢) ، تعبيرا عن فساد أهل هذه المهنة .

والى جانب الغناء فى حفلات الختان والأفراح وغيرها هناك ما يعرف بأغانى العمل ، فقد روى أن بعض العمال لم يستطيعوا جر عمودين ضخمين فى أثناء القيام بتشييد أحد الأبنية تحت القلعة، وعندما رددوا بعض الأغانى فى أثناء العمل: تم جر العمودين ، فأطلقت النساء الزغاريد ابتهاجا بذلك ، وانشدت أغنية تداولتها الألسنة فترة طويلة بعد ذلك(٢٤٣) .

وقد عد الرقص منوسائل التسلية والترفيه فى عصـــر سلاطين المماليك ، وكانت للطبقات الشعبية رقصاتهم التلقائية التى يعبرون من خلالها عن استيائهم لبعض الأوضاع كارتفاع الأسعار ، أو فرض الســـخرة فى أداء بعض الأعمال ، كما حدث فى عهد السلطان قايتباى(٢٤٤) فقد اشتد غلاء الدقيق والقمح ، وبيع خبز الذرة الذى لم يعهد بيعه من قبل ، وكان ذلك فى عام ٨٩٢ هـ/ ١٤٨٧ م ، فصنفت الطبقات الشعبية رقصة يرقصونها وهم يرددون

بعض الأغانى(٢٤٥) ، كما صنفت رقصة أخرى فى أثناء دوران المحمل ، الذى كان السلطان الغورى(٢٤٦) يشاهد موكبه ، كما كان الناس يحرصون لمشاهدة ما يتضمنه من العاب الرماحة وهم يرقصون ويغنون(٢٤٧) .

كما ولع الصوفية بحلقات الذكر على عصر سلاطين المماليك ، وكان السلاطين يحضرون مجالس غنائهم وينعمون عليهم بالأموال ويشاركونهم — أحيانا — رقصاتهم وأناشيدهم(٢٤٨) . كما شارك بعض السلاطين الطبقات الشعبية فى رقصاتهم وانشادهم فقد روى ان احدهم نزل بأحد الخوانق الذى كان يجمع فيه بعض الفقراء للرقص والانشاد ، فشاركهم فيما يقومون به واستمر السماع طوال الليل(٢٤٩) .

وعلى العكس من ذلك قام بعض السلاطين بمحاربة الرقص ، فقد نهى السلطان الأشرف جقمق(٢٥٠) فى عام ٨٥٢ هـ/١٤٤٨ م بعض الصوفية عن الغناء والرقص فى زواياهم(٢٥١) .

وقد كان سلاطين المماليك والطبقات الشعبية فى القاهرة يخرجون الى الحدائق والمتنزهات والبرك للاستمتاع وممارسة مختلف الألعاب فى هذه الأماكن المفتوحة . ومن أشهر هذه المتنزهات أرض الطبالة(٢٥٢) التى تعد من احسن المتنزهات فى عصر سلاطين المماليك ، حيث يمر النيل ، بغربها ، فضلا عن قربها من القاهرة فكانت الطبقات الشعبية والسلاطين على حد سواء يقصدونها للتنزه خاصة فى أيام الربيع(٢٥٣) .

وتعد بولاق(٢٥٤) أيضا من أماكن التنزه حيث يقصدها الناس ويقيمون بها الاخصاص(٢٥٥) المصنوعة من الخوص ويزرعون حولها الرياحين ويزينونها بالرخام(٢٥٦) . ومن المتنزهات الشهيرة

فى هذه الفترة جزيرة أروى أو الجزيرة الوسطى(٢٥٧) ، ألتى تعد من أجمل المتنزهات هى وجزيرة الروضة التى كان الناس يأتونها من مختلف الأنحاء للتمتع بمناظرها الجميلة(٢٥٨) .

ومن المتنزهات التى كانت الطبقات الشعبية تخرج اليها فى ذلك العصر « الخليج الناصرى(٢٥٩) الذى كانت تقام فيه الأفراح ومجالس اللهو والغناء ، كما كانت تمر فيه المراكب التى تتنزه فيها مختلف الطبقات(٢٦٠) . كذلك كانت هناك متنزهات أخرى عرفتها القـــاهرة فى تلك الفترة هى بركة الحبش(٢٦١) والأزبكية(٢٦٢ والرطلى(٢٦٣)) .

وقد اهتم الناس فى ذلك العصر اهتماما بالغا باستغلال النيل والتمتع بمناظره وهوائه ، فلجأ بعضهم الى استئجار القوارب حيث اللهو والتسلية(٢٦٤)

ولم تقتصر أماكن اللهو والتنزه على الأماكن سابقة الذكر ، فقد عدت طائفة من اهل القاهرة القرافة(٢٦٥) مكانا للهو والترويح عن النفس ، فاعتادت الخروج اليها لاسيما فى الليالى المقمرة(٢٦٦). ولهذا نجد كثيرا ما نودى بالقاهرة بمنع النساء يوم العيد من الذهاب الى القرافة(٢٦٧) . هذا عن أشهر أماكن التنزه والترويح فى القاهرة والتى ارتبطت بها مختلف الطبقات ووجدت فيها متنفسا ومكانا للتسلية والمرح .

ومن الظواهر التى انتشرت بصورة واضحة ابان العصـــر المملوكى ظاهرة الاعتقاد فى الأولياء والمشــايخ والاســتعانة بهم لقضاء الحاجات وتحقيق الرغبات(٢٦٧) . وربما كان شيوع أفكار التصوف والمتصوفة أحد الأسباب فى ذيوع هذه المعتقدات ، اذ روج الصوفية لما يسمى « بكرامات الأولياء » الذين كانوا يقومون وفقا لما يروى عنهم بأعمال خارقة لقوانين الطبيعة المعروفة(٢٦٩) .

وقد ساد الاعتقاد فى وجود قدرات خاصة للأولياء بين السلاطين الى جانب وجوده فى المعتقد الشعبى لدى الطبقات الشعبية فى تلك الآونة وهنا يكمن سبب لجوء مختلف الطبقات الى هؤلاء الاولياء فى اوقات الازمات وعلى سبيل المثال عندما ينخفض منسوب مياه النيل ، فقد روى أن النيل قد انخفض منسوبه وكان بالقاهرة شيخ(٢٧٠) يعتقد فى كراماته فتوجه اليه الناس يسألونه أن يدعو الله تعالى بوفاء النيل ، فلما زاد منسوب المياه فيه فى اليوم التالى زاد اعتقاد الناس فى مكانته وكراماته(٢٧١) .

كذلك حينما تحل كارثة الطاعون أو ترتفع عن مقدور الطبقات الشعبية فى القاهرة فكانوا يجدون فى الأولياء ملاذاً ، ويتوسلون بهم فى الدعاء الى الله تعالى فى تفريج هذه الكروب وقد كان اعتقاد الناس بقدرات الأولياء يزداد رسوخا كلما صدقت بعض توقعاتهم تجاه المستقبل او أتوا بعمل معجز يفوق قدرات البشر . فقد حدث ان توقع أحد الأولياء وهو الشيخ على الروبى بأن الطاعون سيحلّ فى يوم محدد فى احد الشهور ، وحينما صدق توقعه زاد اعتقاد الناس فيه(٢٧٢) .

ومما يروى أيضا عن قدرات الأولياء أن الشيخ نجم الدين أبى الغنائم(٢٧٣) كان يملك شاه كبيرة فنزل عليه ذات يوم أحد الفقراء فحلب له منها لبنا لاطعامه ، وحينما طلب عسلا قيل انه حلب منها عسلا أيضا ، وقد أطلق عليه بعد هذه الواقعة اسم « غانم » أو « أبو غانم »(٢٧٤) .

وكثيرا ما قصد الناس على اختلاف طبقاتهم مزارات الاولياء والمشايخ وبخاصة اصحاب العاهات ومرضى الجذام الذين تزاحموا على أبوابهم طلبا للشفاء(٢٧٥) .

ويصف ابن جبير ما شاهده من أفعال الناس عند مشهد

الحسين واستسلامهم للقبر وتمسحهم بالكسوة التى عليه وطوافهم حوله متوسلين الى الله تعالى ببركة المشهد الحسينى(٢٧٦) ، سواء لتحقيق رغبة فى الانجاب او طلبا لرفع الدين ، وكانوا يحملون معهم النذور من الزيت وغيره من أصناف النذور الأخرى(٢٧٧) .

وقد تنافس الناس على اختلاف طبقاتهم فى شـراء ملابس الأولياء بعد وفاتهم رغبة فى الاحتفاظ بها على سبيل البركة(٢٧٨) .

ولم يقتصر الاعتقاد فى الأولياء على الشيوخ منهم فحسب بل ساد الاعتقاد بين طائفة كبيرة من الناس فى وجود كرامات للأطفال أيضا ، فقد روى أن اهل القاهرة كانوا يعتقدون فى طفلة صغيرة قيل انها كانت ترى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام مرات عديدة ، كما تناقل الناس قصصا مختلفة عن ظهور بعض الكرامات لها كشفاء المقعد ورد البصر للأعمى ، وقد توافد عليها أهل القاهرة من كل حدب وصوب(٢٧٩) .

ونظرا لرسوخ الاعتقاد فى كرامات وقدرات الأولياء والمشايخ فى العصر المملوكى ، فقد اشتد الحرص على احياء الموالد السنوية لهؤلاء الأولياء وذلك فى الجهة التى يكون بها قبر الولى أو الشيخ المحتفى به ، وكان الهدف الأساسى من اقامة هذه الموالد هو تكريم أصحابها واحياء ذكراهم(٢٨٠) .

وكثيرا ما كانت تحدث المفاسد فى هذه الاحتفالات ، كاختلاط الرجال بالنساء وغير ذلك مما يتعارض مع الشريعة الاسلامية ، والدليل على ذلك ما ذكره بعض المؤرخين مرتبطا بمولد الشـيخ الانبابى الذى عثر بعد انقضاء الاحتفال بمولده على كثير من جرار الخمر ، هذا عدا ما كان فى تلك الليلة من الزنا واللواط(٢٨١) .

وقد صاحب هذه الاحتفالات جمع بعض الأموال من الأغنياء والموسرين ، الأمر الذى أثار سخط هذه الطبقة ودفعها الى الدعوة

الى الغاء مثل هذه الاحتفالات . وقد عبر أحد الأغنياء عن هذا الموقف بقوله : « لقد سئمت نفوسنا من كثرة سؤال هؤلاء المشايخ الذين يعملون لهم الموالد ، فلم يتركوا عندنا عسلا ولا ارزا ولا عدسا ولا بسلة ، وايش قام على هؤلاء أن يشحذوا ويعملوا لهم موالد »(٢٨٢) .

وقد كان لهذه الموالد بعض الآثار الاجتماعية والاقتصادية ذلك لأنها كانت بمثابة مواسم يتلاقى فيها الناس ، فيتعارفون ، ويحصل الفقراء وخدام الأضرحة على النذور والصدقات ، كما أنها تبرز جوانب متعددة من الأنشطة وبعض الفنون نحو الغناء والانشاد ، هذا فضلا عن أنها أسواق جامعة تروج فيها مختلف البضائع وتنشط من خلالها الحركة التجارية(٢٨٣) .

وقد كان هدف البعض من احياء هذه الموالد ينحصـــــر فى ممارسة بعض الأنشطة الاقتصادية الى جانب الترفيه والتسلية ، ولهذا نجد أن عددا محدودا من رواد الموالد هم الذين يشاركون فعليا فى النشاط الدينى ، وقد أكد السبكى ذلك حينما ذكر أنه شاهد منشدا يذكر صفات الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يكن هناك من ينصت له أو يهتم بما يقول(٢٨٤) . وربما كان ما شاهده السبكى يمثل حالة فردية لا يمكن اتخاذها معيارا لما كانت عليه أحوال المنشدين فى تلك الآونة .

وبالرغم مما شاب هذه الاحتفالات من ظواهر سلبية ، ينبغى الاعتراف ببعض آثارها الاجتماعية والاقتصادية والترويحية الايجابية خاصة فيما يتصل بحياة الطبقات الشعبية(٢٨٥) .

واستغل البعض ابان العصـــر المملوكى قوة اعتقاد مختلف الطبقات فى الأولياء والمشايخ وذلك بالترويج لوجود أولياء متوهمين

لهم كرامات وقدرة على الشفاء من الأمراض وقضاء الحاجات ، وقد ذكر المقريزي أن رجلا من الطبقات الشعبية حفر حفرة كبيرة وزعم انها مقام لأحد الصحابة المعروفين بكراماتهم ، وكان يسمح بزيارة هذه الحفرة نظير مبلغ من المال ، وقد ذاع صيت هذا الولى الزائف حتى أن أم السلطان نزلت لزيارته(٢٨٦) .

وانتشر فى هذه الفترة بعض المرائين الذين يظهرون الزهد ويتبعون طرق هؤلاء الأولياء والشيوخ وهم متكالبون على الحياة الدنيا(٢٨٧) . كما كان هناك من يشايع هؤلاء الأولياء هربا من دين عليه أو رغبة فى التحلل من بعض القيود السائدة فى المجتمع(٢٨٨) .

ولم يكن أمراء المماليك وسـلاطينهم أقل اعتقادا فى أولئك المجاذيب والأولياء من الطبقات الشعبية ، فكثيرا ما استدعى السلاطين هؤلاء الأولياء والمشايخ للقائهم والاجتماع بهم ، وقد كان السـلطان برقوق(٢٨٩) يحرص على الاجتمـاع ببعض هؤلاء الأولياء(٢٩٠) . وكان السلطان بيبرس الجاشنكير يعتقد فى أحد هؤلاء الأولياء ولما تولى السلطنة استمر فى تبجيله وتعظيم قدره ، فتبعه الناس فى اللجوء اليه والاسـتعانة به(٢٩١) ، وقد أنشأ السلطان بيبرس خانقاه المتصوفة٢٩٢) .

والى جانب اعتقاد السلاطين والطبقات الشعبية فى الأولياء ، كان هناك بعض صفوة أهل القاهرة ممن يشاركونهم هذا الاعتقاد ، فقد روى أن أحد القضاة كان يعتقد فى كرامات أحد المجاذيب ويدعى أبو بكر الاخميمى ، وقد شجع ذلك بعض الطبقات الشعبية فى الاعتقاد فيه والتبرك به(٢٩٣) .

وقد تمسك المصريون بوجه عام والطبقات الشعبية منهم بوجه خاص فى عصر سلاطين المماليك ، بكثير من المعتقدات الباطلة ،

حتى أضحت لدى بعضهم بمثابة قواعد ثابتة لا يمكن الخروج عنها بأى حـــال من الأحـــوال(٢٩٤) ، ومن ذلك الفأل ، والطير والتشاؤم(٢٩٥) .

ورددت الطبقات الشعبية بعض الجمل والأقوال اعتقادا فى أثرها الحسن على مجريات الأمور فى حياتهم العامة وهو ما يسمى لديهم « بالفأل الحسن » ومن عاداتهم المرتبطة بهذا الاعتقاد شراء اللبن فى أول ليلة من السنة الهجرية عسى أن يكون العام الجديد عام خير وسرور لهم(٢٩٦) .

وقد اعتاد بعضهم وضع حجر أو قليل من الملح فى الغربال عند اعارته الى الآخرين وذلك من باب التطير ودرءا الشر(٢٩٧) .

وكان بعض أهل القاهرة يتشاءمون عند مرور متوفى من أحد أبوابها(٢٩٨) ، واذا تصادف مجىء العيد فى يوم الجمعة تطير الناس وكان ذلك نذير شؤم لدى بعض أهل القاهرة فيما يخص السلطان لأن القاء خطبتين فى يوم واحد فى المساجد يؤذن بزوال حكمه(٢٩٩) . كذلك اعتاد كثير من الناس قبل الاقدام على عمل من الأعمال ، فتح المصاحف والنظر فى أول سطر تقع أعينهم عليه فاذا صادفوا آية تنطوى على العذاب خافوا وتشاءموا . وقد روى أن أحد الفقهاء عين فى منصب القضاء بالقاهرة ، فلما فتح المصحف ووجد الآية التالية « قال رب الســـجن أحب الى مما يدعوننى اليه »(٣٠٠) ، خاف واختفى اياما ولم يظهر الا بعد تعيين غيره فى هذه الوظيفة(٣٠١) .

وقد شغفت الطبقات الشعبية فى العصر المملوكى بالتنجيم وبخاصة النساء الى جانب اهتمام السلاطين والأمراء به(٣٠٢) ،

وعرف الناس فى هذا العصر عدة طرق للتنجيم وقراءة الطالع ، منها مراقبة النجوم وفتح المندل وضرب الرمل(٣٠٣) ، وقد صور لنا ابن دانيال فى بابه « عجيب وغريب » احد المنجمين ووسائله فى الاحتيال على الناس وبخاصة النساء فيما كان يصفه لهم من تمائم وتعويذات وأحراز وأحجبة ، زاعما انها تعين الحامل على أن تضـع حملها ، وترد البصـــر وتجعل المرأة التى ترملت مطمحا للخاطبين . وقد نقد ابن الحاج سلوك هؤلاء المنجمين بسبب اختلاط النساء بهم ، الأمر الذى يؤدى الى حدوث بعض المفاسد الأخلاقية بينهم(٣٠٤) .

ومن الاعتقادات التى ظلت راسخة لدى الطبقات الشعبية فى تلك الفترة الاعتقاد فى « الحســـد والعين » ، وقد لجئوا الى استخدام البخور اتقاء لشر العين والحسد والكسل والمرض(٣٠٥) . ومن التمائم التى اســـتعان بها بعض اهل القاهرة من الطبقات الشعبية ما يسمى « بحفيظة رمضان »(٣٠٦) التى اعتقدوا أن وضعها فى المنزل يقى من حدوث الحريق كما أن وجودها فى المركب يحفظه من الغرق(٣٠٧).

ولم يكن اعتقاد الناس فى الجان والعفاريت أقل من اعتقادهم فى السحر ، فيحكى أن أحد الأشخاص تعقبته تابعه من الجان لم يســـتطع التخلص منها فاســـتعان عليها بأحد الأولياء ذوى الكرامات(٣٠٨) . كذلك يروى الشعرانى ان احد المشايخ استخدم الجان ، فقاموا على خدمته وترضيته ، ويروى الشعرانى ايضا أن امرأة من الجان كانت تعيش فى بيته فاذا اقتربت منه تحركت كل شعره فى جسده(٣٠٩) .

كما ذكر أنه كانت تسكن عنده جماعة من الجن يتحدثون اليه ويحضر لهم الخبز والطعام ويحاورهم ويجيبونه بالطاعة لما يطلبه منهم(٣١٠) .

ومن المعتقدات التى ارتبط بها بعض المصريين من الطبقات الشعبية التمسك بعدم زيارة المريض يوم السبت ، بالاضافة الى عدم دخول الحمام او شراء الصابون أو غسل الملابس أو شراء السمك او تناوله فى ذلك اليوم(٣١١) . تأثرا بعادات اليهود المتبعة فى ذلك اليوم(٣١٢) . كذلك الحرص على شراء البخور واستخدامه واستعمال الكحل وشرب الدواء فى بعض الأيام ، وعدم اخراج نار أو ماعون أو اناء من المنزل بعد العشاء(٣١٣) .

هوامش الفصل الثالث

(١) السبوع هو اليوم السابع من ولادة الطفل ، ويهتم الناس بذلك اليوم فيطبخون فيه ثم يدقون ملحا فى هاون ، ليعتاد الطفل سماع الصوت القوى . ويرشون فى ذلك اليوم ملحا فى المنزل حفظا له من العين ، أحمد أمين : قاموس العادات والتقاليد ، ص ٢٢٩ .

(٢) نبيت : القاهرة مدينة الفن والتجارة ، ص ١٢٥ .

(٣) انظر الاول ص ٢٦ هامش (١) .

(٤) بيت القاضى : يقع فى الضلع الشمالى للقصر الشرقى الكبير (الفاطمى) فقد حل مكانه جزء من هذا الضلع ، وأصبح أمام مدرسة قلاوون عن د/ أحمد رمضان

(٥) نقيب وجمعها نقباء ، وهو من كان يؤدى بعض الخدمات الصغيرة لمن يتبعه من السلاطين أو الأمراء . القلقشندى : صبح الأعشى ، حـ ٤ ، ص ٢١ ، ص ٢٢ ، سعيد عاشور : العصر المماليكى ، ص ٤٥٩ .

(٦) هذه التسمية يسبقها دائما اسم ، على سبيل المثال أسد الدين لقب به شيركوه عم صلاح الدين ، ويعرف هذا النوع فى مصطلح القلقشندى « بلقب التعريف الخاص » وهو اللقب المضاف الى الدين ، ويتفق كثير من المؤرخين على أن أول من تلقب بهذا النوع من الألقاب هو بهاء الدولة أبو نصر خسرو بن عضد الدولة، الا انهم يختلفون فى اللقب نفسه فيجعله المقريزى « قوام الدين » وأبو المحاسن « ركن الدين » . حسن الباشا : الألقاب الاسلامية فى التاريخ والوثائق والاثار ، القاهرة ١٩٥٧ ، ص ١٤١ .

(٧) هو الرصد ويحدد تقاويم الأشهر والسنين الهجرية ، وقد اختاروا له فى البداية مسجد التنور فوق جبل المقطم ، ثم بدلوه بالمسجد المعروف بالفيلة الكبير ، ثم انتقل مكان الرصد من جامع الفيلة الى المسجد الجيوشى ثم انتقل بعد ذلك الى

باب النصر بالقاهرة ، المقريزى : الخطط ، حـ ١ ، ص ٢٢١ الى ص ٢٢٦ . ومن الآلات الفلكية الاسطرلاب والربعية أو ذات الربع ، دائرة المعدل ، المزاول الشمسية، القبلة نامة ، لمزيد من التفاصيل انظر احمد عبد الرازق ، الحضارة الاسلامية ، العلوم العقلية ، ص ٧٥ وما بعدها .

(٨) ابن بطوطة : الرحلة ، طبعة بيروت ١٩٦٤ ، سعيد عاشور : المجتمع المصرى ، ص ١٨٤ ، ص ١٨٥ ، قاسم عبده : دراسات فى تاريخ مصر ، ص ٩٥ .

(٩) السخاوى : التبر المسبوك ، ص ١٤٥ ، ص ٢٥٤ .

(١٠) ابن الحاج : المدخل ، حـ ٢ ، ص ٢٥٧ .

(١١) سعيد عاشور : المجتمع المصرى ، ص ١٨٥ .

(١٢) السخاوى : التبر المسبوك ، ص ١٥١ .

(١٣) ابن الحاج : المدخل ، حـ ٢ ، ص ٢٥٥ .

(١٤) المقريزى : السلوك ، حـ ٤ ق (١) ص ٤٦٥ ، السخاوى : التبر المسبوك ، ص ١٠٩ .

(١٥) ابن تغرى بردى : منتخبات ، حـ ٣ ، ص ٥٤٠ ، المقريزى : السلوك ، حـ ٤ ق (١) ص ٤٦٥ .

(١٦) وقد استنتج الأستاذ الدكتور محمد مصطفى زيادة أن متق هذا العدد كان عادة سنوية منتظمة فى عصر سلاطين المماليك ، المقريزى : السلوك ، حـ ١ ق (٢) ، ص ٥١٣ .

(١٧) سعيد عاشور : المجتمع المصرى ، ص ١٨٨ .

(١٨) انظر الفصل الأول ص ٣٣ هامش (٧) .

(١٩) المقريزى : الخطط ، حـ ٣ ، ص ١٥٦ .

(٢٠) القلقشندى : صبح الأعشى ، حـ ٢ ، ص ٤٠٦ ، ابن شاهين : زبدة كشف الممالك ، ص ٨٦ ، النويرى : نهاية الأرب ، حـ ١ ، ص ١٨٤ .

(٢١) ابن الحاج : المدخل ، حـ ١ ، ص ٢٨٦ .

(٢٢) المصدر السابق نفسه والجزء والصفحة .

(٢٣) فوزى امين : المجتمع المصرى ، ص ٢٦٢ .

(٢٤) المقريزى : الخطط ، حـ ٣ ، ص ١٦٢ .

(٢٥) قاسم عبده : دراسات فى تاريخ مصر ، ص ٩٧ .

(٢٦) ابن الحاج : المدخل ، حـ ١ ، ص ٢٦٧ ، ص ٢٦٨ .

(٢٧) سعيد عاشور : المجتمع المصرى ، ص ١٨٩ .

(٢٨) هو برقوق بن أنص الظاهر أبو سعيد الجركسى العثمانى ، حضر الى القاهرة واتصل بالأشرف شعبان فلما قتل الأشرف ترقى الى أمرة أربعين ثم آل الأمر الى استقرار برقوق وبركة (هو الأمير زين الدين بركة الجوبانى اليلبغاوى . ابن تغرى بردى : النجوم ، حـ ١١ ، ص ١٦٠) فى تدبير الملكة الى أن اختلفا وتباينت أغراضهما فدامت الحرب بينهما أياما الى أن قبض على الأمير بركة واستقل برقوق بالسلطنة ولقب بالظاهر وبايعه الخليفة والقضاء والأمراء ، وخلعوا السلطان حاجى الى أن خرج عليه يلبغا الناصرى وانضم اليه منطاش فجهز لهما الظاهر عسكرا وانتصر عليهم فلما اقترب الناصرى من القاهرة تسلل الأمراء اليه ولم يبق مع الظاهر برقوق الا بعضهم فاستولى الناصرى على الملكة وأعيد حاجى وأراد منطاش قتل برقوق لكنه لم يتمكن من ذلك ، ثم ثار منطاش على الناصرى واستقل بالسلطنة الى أن عاد برقوق مرة ثانية إلى القاهرة وذلك فى عام ٧٩٢ هـ/١٣٩٠ م واستقر بالملكة الى أن توفى وعهد بالسلطنة لولده فرج ، وقد كان برقوق شهما شجاعا ذكيا خبيرا بالأمور لكنه أفرط فى جمع الضرائب ، وأفسد أمور الملكة ، وانتشرت فى عصره ظاهرة البذل والبرطلة ودفع الرشوة لتولى الوظائف المهمة ولكن بالرغم من ذلك فقد عرف عنه تواضعه أمام الفقراء وتودده اليهم . السخاوى : الضوء اللامع ، حـ ٣ ، ص ١٠ الى ١٢ .

(٢٩) Lane Poole : The Mohammadan Dynasties, P. 81.

(٣٠) ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات ، م (٩) ، حـ ٢ ، ص ٢٦٦ .

(٣١) القلقشندى : صبح الأعشى ، حـ ٢ ، ص ٤٠٦ ، النويرى : نهاية الأرب ، حـ ١ ، ص ١٨٤ .

(٣٢) السماط بمعنى المائدة ، وهو ما يبسط على الأرض لوضع الأطعمة عليه وقد استخدمت هذه الكلمة فى العصر المملوكى للدلالة على معنى الطعام ذاته والمآدب التى تقام فى شتى المناسبات ، ويبدو أن الطبقات الشعبية فى القاهرة كانت تجد حاجتها فى الأسمطة السلطانية التى تمد فى أيام المواكب بصفة رسمية . القلقشندى : صبح الأعشى ، حـ ٤ ، ص ٥٦ ، سعيد عاشور : العصر المماليكى ، ص ٤٢٦ ، علاء طه : عامة القاهرة ، رسالة ماجستير ، ص ١١٩ .

(٣٣) المقريزى : السلوك ، حـ ٤ ق (١) ص ٤٢٢ ، القلقشندى : صبح الأعشى ، حـ ٤ ، ص ٤٦ ، ابن شاهين : زيدة كشف الممالك ، ص ٨٦ .

(٣٤) ابن الحاج : المدخل ، حـ ١ ، ص ٢٨٣ ، ص ٢٨٤ .

(٣٥) ابن الحاج : المصدر نفسه والجزء والصفحة .

(٣٦) سعيد عاشور : المجتمع المصرى ، ص ١٧٦ ، ص ١٧٧ .

(٣٧) ابن الحاج : المدخل ، حـ ١ ، ص ٢٧٨ .

(٣٨) يعيد هذا العيد ذكرى مقتل سيدنا الحسين بن على بكربلاء ، فى العاشر من المحرم فى عام (٦١ هـ/٦٨٠ م) ويسمى بسبب ذلك « عاشوراء » . القزوينى : آثار البلاد واخبار العباد ، طبعة بيروت بدون تاريخ ، ص ٤٢٢ ، عبد المنعم حامد : نظم الفاطميين ورسومهم فى مصر ، القاهرة ١٩٥٥ ، حـ ٢ ، ص ١٢٨ ، وكان الشيعة يتخذونه يوم حزن تتعطل فيه الأسواق ، ويعد نائب الخليفة فى العصر الفاطمى السماط الذى يطلق عليه سماط الحزن ، المكون من العدس والمخللات والأجبان والالبان والخل والنطير والخبز ، فاذا قرب الظهر أدخل الناس للأكل منه ، ويعد ذلك يبدأ النواح حتى وقت صلاة العصر ، المقريزى : الخطط ، حـ ١ ، ص ٤٣١ ، ص ٤٣٢ ، فلما زالت الدولة الفاطمية اتخذ الأيوبيون يوم عاشوراء يوم سرور ، يوسعون فيه على أولادهم بالطعام والحلوى ويكتحلون ويدخلون الحمام ، نكاية فى الشيعة ، الذين يتخذون يوم عاشوراء يوم عزاء وحزن على الحسين بن على لأنه قتل فيه . المقريزى : الخطط ، حـ ١ ، ص ٤٩٠ ، انظر على مبارك : الخطط التوفيقية، حـ ٤ ، ص ٩٥ ، ص ٩٦ ، انظر كذلك سعد زغلول عبد الحميد : الحياة الدينية فى المدينة الاسلامية ، مجلة عالم الفكر م (١١) العدد الأول ١٩٨٠ ، ص ٨٢ .

(٣٩) ابن الحاج : المدخل ، حـ ١ ، ص ٢٨٩ .

(٤٠) المصدر نفسه والجزء ، ص ٢٨٩ ، ص ٢٩١ .

(٤١) امر يزيد ان يطاف برأس الحسين الشريف فطيف به حتى انتهى الى عسقلان فدفنه أميرها فيها ، فلما غلب الافرنج على عسقلان ، افتداه منهم الصالح طلائع وزير الفاطميين ووضعه فى كيس حرير أخضر على كرسى من خشب الأبنوس وفرش تحته المسك والطيب ، وبنى عليه مشهده الحسينى المعروف بالقاهرة قريبا من خان الخليلى . سعاد ماهر : مخلفات الرسول (صلى الله عليه وسلم) فى المسجد الحسينى ، دار النشر لجامعة القاهرة ١٩٨٩ ، ص ٣٢ .

(٤٢) Lane Poole : Social Life in Egypt, London, 1883 PP. 36 — 37.

علاء طه : عامة القاهرة ، رسالة ماجستير ، ص ١١٥ .

(٤٣) اتفق الجاهليون قبل الاسلام وعند ظهوره على تحريم القتال والأخذ بالثأر فى أشهر معينة عرفت عندهم بالاشهر الحرم ، وهى المحرم ورجب وذو القعدة

وذو الحجة ، فكانوا يتحرجون فيها من القتال . وقد كان لشهر رجب حرمة خاصة فى نفوس الجاهليين وترف عندهم برجب مضر ، ذلك لأنه كان معظما عند قبائل مصر خاصة ، ومن حرمة شهر رجب أنهم كانوا يولمون وليمة عند ظهور هلاله : كما أن لهذا الشهر صلة وثيقة بالموتى فنجد الناس يذكرون موتاهم خاصة فيه ، وذلك حتى اليوم عند المسلمين ويقدمون فيه الأطعمة الى الفقراء . جواد على : تاريخ العرب قبل الاسلام ، مطبعة المجمع العلمى العراقى ، طبعة ١٩٥٦ ، حـ ٦ ، القسم الدينى ، ص ٣٢٩ ، ص ٣٣٠ .

(٤٤) قاسم عبده : دراسات فى تاريخ مصر ، ص ٩٩ .

(٤٥) ابن الحاج : المدخل ، حـ ١ ، ص ٢٩١ ، ص ٢٩٢ ، المقريزى : الخطط ، حـ ٣ ، ص ١٦٢ .

(٤٦) المصدر السابق نفسه والجزء ، ص ٢٩٣ .

(٤٧) وهى الليلة التى أسرى فيها بالرسول (صلى الله عليه وسلم) من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى ببيت المقدس وعرج به الى السموات العلى ، وقد روى ان ذلك قد تم فى ليلة السابع والعشرين من شهر رجب . ابن هشام : سيرة ابن هشام ، الناشر مكتبة الكليات الأزهرية ، بدون تاريخ م (١) ، حـ ٢ ، من ص ٣٢ الى ص ٣٩ .

(٤٨) ابن الحاج : المدخل ، حـ ١ ، ص ٢٩٣ ، ص ٢٩٤ .

(٤٩) سعيد عاشور : المجتمع المصرى ، ص ١٨٤ .

(٥٠) السخاوى : التبر المسبوك ، ص ١٢٣ .

(٥١) قاسم عبده : دراسات فى تاريخ مصر ، ص ٩٩ .

(٥٢) ابن الحاج : المدخل ، حـ ١ ، ص ٣٠٨ ، ص ٣١٠ ، انظر ابى شامة الشافعى الباعث على انكار البدع والحوادث تحقيق عادل عبد المنعم طبعة ١٩٨٩ ، ص ٥١ .

(٥٣) زغلول سلام : الادب فى العصر المملوكى ، ص ١٧٧ ، ص ١٧٨ .

(٥٤) انظر حسن السندوبى : تاريخ الاحتفال بالمولد النبوى ، طبعة ١٩٤٨ م ، القاهرة ، ص ١٠٨ ، ص ١٠٩

(٥٥) ابن الحاج : المدخل ، حـ ٢ ، ص ٢ .

(٥٦) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، حـ ٥ ، ص ٥٧٥ ، حـ ١٢ ، ص ٧٣ ، ص ٧٤ ، وللمؤلف نفسه منتخبات ، حـ ٤ ، ص ٧٥٢ ، ابن الفرات : تاريخ

ابن الفرات ، م (٩) حـ ١ ، ص ٢٦ ، علاء طه عامة القاهرة ، رسالة ماجستير ، ص ١١٦ .

(٥٧) الشبابة : قصبة الزمر المعروفة ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، حـ ١٢ ، ص ٢٠١ ، هامش (١) .

(٥٨) ابن الحاج : المدخل ، حـ ٢ ، ص ٢ — ص ٤ ، ص ١١ .

(٥٩) المصدر نفسه والجزء ص ٦ ، ص ٢٥ .

(٦٠) هذا وقد خصص سلاطين المماليك مدرسة عالية لتعليم الطلبة فى ادارة المحمل ولعب الرماحة اسموها معلمية المحمل ، يقوم عليها احد المعلمين الكبار من ذوى الخبرة الفنية ورشح لها المؤرخ المعروف ابن تغرى بردى ، وعين له أربعة مساعدين ، بعد أن اعتذر جماعة من الأمراء لعجزهم عن معرفة هذا الفن ، انظر نظير حسان : صور ومظالم ص ٨١ ، ص ٨٢ .

(٦١) المقريزى : السلوك ، حـ ٣ ق (١) طبعة ١٩٧٠ ، تحقيق سعيد عاشور : ص ٢٦٩ ، ابن بطوطة الرحلة ، حـ ١ ، ص ٢٥ .

(٦٢) القلقشندى : صبح الأعشى ، حـ ٤ ، ص ٥٧ ، ص ٥٨ .

(٦٣) سعيد عاشور : المجتمع المصرى ، ص ١٨١ ، قاسم عبده : دراسات ، ص ١٠١ .

(٦٤) المرجع السابق نفسه ، ص ١٨١ ، نظير حسان : صور ومظالم ، ص ٨٢ ، ص ٨٣ .

(٦٥) ابن الحاج : المدخل ، حـ ١ ، ص ٢٧٢ ، القلقشندى : صبح الأعشى ، حـ ٤ ، ص ٥٧ .

(٦٦) المقريزى : السلوك ، حـ ٤ ق (٢) تحقيق سعيد عاشور ١٩٧٢ ، ص ٦١٤ .

(٦٧) ابن شاهين : زبدة كشف الممالك ، ص ٧ ، ٨، ابن تغرى بردى منتخبات ، حـ ٢ ، ص ١٨٠ ، سعيد عاشور : المجتمع المصرى ، ص ٨٢ .

(٦٨) ابن بطوطة : الرحلة ، ص ٢٥ .

(٦٩) قاسم عبده : دراسات فى تاريخ مصر ، ص ١٠١ .

(٧٠) المقريزى : السلوك ، حـ ٤ ق (٢) ص ٨٠٠ .

(٧١) ابن تغرى بردى : منتخبات ، حـ ٣ ، ص ٥٣٨ ، ص ٥٣٩ ، حـ ٢ ، ص ٣١٦ ، سعيد عاشور : المجتمع المصرى ، ص ١٨٤ ، فييت : القاهرة مدينة الفن والتجارة ، ص ١٢٥ ، ص ١٢٦ .

(٧٢) Lane-Poole : Op. Cit., P. 81.

(٧٣) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، حـ ٨ ، ص ١٦٥ الى ص ١٦٨ .

(٧٤) ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات ، م (٩) حـ ٢ ، ص ٢٩٤ ، سعيد عاشور : المجتمع المصرى ، ص ١٩٥ ، ص ١٩٦ .

(٧٥) Lane-Poole : Op. Cit., P. 81.

(٧٦) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، حـ ٨ ، ص ٨٨ ، سعيد عاشور : المجتمع المصرى ، ص ١٩٤ .

(٧٧) المقريزى : السلوك ، حـ ٢ ق (٢) ص ٣١٧ ، ص ٣١٨ .

(٧٨) ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات ، م (٩) ، حـ ٢ ، ص ٤٦٩ .

(٧٩) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، حـ ٨ ، ص ٥٦ ، ص ٥٧ ؛ منتخبات ، حـ ٢ ، ص ٦٥٧ ، حـ ١٢ ، ص ١٠٢ ، ص ١٠٥ .

(٨٠) المقصود بكسر الخليج هو عملية فتح السد عند بلوغه حد الوفاء لدى الأراضى أى رفع الحواجز التى على نهر النيل وقت الفيضان حتى لا تغرق القاهرة وهى عبارة عن قناطر لها بوابات تقفل معظم أيام السنة الا أنها تفتح أيام الفيضان وكان موقعها جنوب القاهرة عند مدينة الفسطاط . والخليج هو خليج أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وهو مجرى الماء الذى يصل البحر عند مدينة السويس بمجرى النيل فى جنوب القاهرة (الفسطاط) . ابن ظهيرة : الفضائل الباهرة فى محاسن مصر والقاهرة ، تحقيق مصطفى السقا ، وكامل المهندس ، القاهرة ١٩٦٩ ، ص ٢٠٠ ، وكان يتم الاحتفال به على مرحلتين فى يوم واحد الأولى تخليق عمر المقياس بالزعفران والثانية التى يتجه فيها السلطان ومعه الأمراء فى موكب كبير الى قنطرة السد لفتحه بمعوله المصنوع من الذهب كاشارة لبدء الطبقات الشعبية فى الحفر حتى يجرى الماء فى الخليج ثم ينصرف السلطان الى القلعة . القلقشندى صبح الأعشى ، حـ ٤ ، ص ٤٧ ، ص ٤٨ ، علاء طه : عامة القاهرة ، رسالة ماجستير ، ص ١٠٩ ، ص ١١٠ .

(٨١) قاسم عبده : دراسات فى تاريخ مصر ، ص ١٠٦ .

(٨٢) ابن اياس : بدائع الزهور ، حـ ١ ق (٢) ، ص ١٢٤ حوادث ٧٧٥ هـ/ ١٣٧٣ م ، حـ ٢ ص ٢٨٢ ، ص ٢٨٣ حوادث ٨٥٤ هـ/١٤٥٠ م ، السخاوى : التبر

المسبوك ص ٣١٠ ، ص ٣١١ ، زيادة : صفحات لم تنشر من بدائع الزهور ، ص ١١٤ ص ١١٥ ، سعيد عاشور : المجتمع المصرى ، ص ١٩٧ ، ص ١٩٨ .

(٨٣) يوجد هذا الشباك بدار المقياس بالروضة انظر ابن دقماق " الانتصار " ، حـ ٤ ص ١١٤ ، ص ١٥٥ .

(٨٤) انظر الفصل الأول ص ٥٣ هامش (٥) .

(٨٥) ابن دقماق : الانتصار : حـ ٤ ، ص ١١٤ ، ص ١١٥ .

(٨٦) وفى كثير من الأحيان كان ابن السلطان يقوم بكسر الخليج بالنيابة عن السلطان . ابن تغرى بردى : منتخبات ، حـ ١ ، ص ٣ .

(٨٧) الحراقة Brulot جمعها حراقات وحراريق ، والحراقات سفن فيها مرامى نيران وقيل هى المرامى انفسها ، كما كانت تستعمل فى حمل الاسلحة النارية كالنار الاغريقية وقد استعملت فى العصور الوسطى وانتشرت فى جميع أجزاء العالم الشرقى والغربى منه على السواء ، واستخدمت فى العصر المملوكى فى النيل لحمل الأمراء ورجال الدولة فى الاستعراضات البحرية التى تقام فى الحفلات العامة مثل الاحتفال بكسر الخليج . المقريزى : السلوك ، حـ ١ ص ٣٠٦ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، حـ ٩ ، ص ٧٥ هامش (١) ، سعاد ماهر : البحرية فى مصر الاسلامية وآثارها الباقية ، دار الكاتب العربى للطباعة والنشر ١٩٦٧ ، ص ٣٣٩ ، ص ٣٤٠ ، ابراهيم طرخان : النظم الاقطاعية ، ص ٤٧٨ .

(٨٨) لم الخليج : أى بداية خليج امير المؤمنين عمر بن الخطاب عند الفسطاط والخليج يمتد من السويس حتى الفسطاط . من د . / أحمد رمضان .

(٨٩) Dopp : Op. Cit., PP. 20 — 21.

القلقشندى : صبح الأعشى ، حـ ٤ ، ص ٤٧ ، ص ٤٨ ، ابن دقماق : الانتصار ، حـ ٤ ، ص ١١٥ ، ابن شاهين : زبدة كشف الممالك ، ص ٨٧ ، أنظر السيوطى : حسن المحاضرة : حـ ٢ ، ص ٢٦٢ ، ص ٢٦٣ ، المقريزى : السلوك ، حـ ٣ ق (٢) ، ص ٤٩١ : ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، حـ ١٤ ، ص ٨٦ ، ص ٨٧ ، سعيد عاشور : المجتمع المصرى ، ص ١٩٩ ، قاسم عبده : دراسات فى تاريخ مصر ، ص ١٠٨ .

(٩٠) ابن دقماق : الانتصار حـ ٤ ، ص ١١٥ ، نظير حسان : صور ومظالم ص ٨٧ ، ص ٨٨ ، فوزى أمين : المجتمع المصرى ، ص ٢٥٥ ، ص ٢٥٨ .

(٩١) زيادة : صفحات لم تنشر من بدائع الزهور ، ص ١٦٦ ؛

(٩٢) بيت : القاهرة ، ص ١٣٠ .

(٩٣) انظر ص ١٧٩ من هذا الفصل .

(٩٤) الشهر المقابل لبشنس هو شهر مايو وهو من الشهور الايليوسية « الميلادية » ، ويعد من شهور الصيف . أحمد رمضان : تطور علم التاريخ الاسلامى ، ص ٧١ .

(٩٥) معنى الشهداء عند قبط مصر : الشهداء هم رجال الكنيسة القبطية الذين قاموا بدور مهم فى بناء الكنيسة وتحملوا صنوفا عديدة من العذاب بيسالة نادرة كما تعرضوا لنار الاضطهاد وكانوا نموذجا للبذل والتضحية مظهرين اسمى منزلة للتفانى المقترن بالفرح مستعينين بقوى عجيبة مصدرها الروح الالهية . ايزيس حبيب المصرى : قصة الكنيسة القبطية ، دار العالم العربى ١٩٥٢ ، ص ١٥١ ، ص ١٥٢ ، المقريزى : الخطط حـ ١ ، ص ١٢٢ ، السلوك ، حـ ١ ق (٣) ص ٩٤١ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، حـ ٨ ، ص ٢٠٢ . عبد المنعم ماجد : نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم فى مصر ، مكتبة الانجلو ، ١٩٦٧ ، حـ ٢ ، ص ١٧١ .

(٩٦) المقريزى : السلوك حـ ١ ق (٣) ، ص ٩٤١ : الخطط ، حـ ١ ، ص ١٢٢ ، قاسم عبده : دراسات ، ص ١٠٩ .

(٩٧) المقريزى : الخطط ، حـ ٤ ، ص ١٢٢ .

(٩٨) يفهم من سياق كلام المقريزى أن أهل شبرا كانوا أقباط ، المصدر السابق نفسه والجزء والصفحة .

(٩٩) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، حـ ٨ ، ص ٢٠٢ ، المقريزى : السلوك ، حـ ١ ، ق (٣) ، ص ٩٤١ ، حـ ٢ ق (٣) ، ص ٩٢٦ ، ترتون : أهل الذمة فى العصور الوسطى ، ترجمة حسن حبشى ، ١٩٦٧ ، ص ١٢١ .

(١٠٠) انظر الفصل الأول ص ٦٠ هامش (٤) .

(١٠١) المقريزى : السلوك ، حـ ٢ ق (٣) ، ص ٩٢٦ ، ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، حـ ٨ ، ص ٢٠٣ .

(١٠٢) حسن بن محمد بن قلاوون الصالحى ، هو الملك الناصر بن الناصر بن المنصور ولد فى عام ٧٣٥ هـ/١٣٣٤ م ، كان مفرطا فى الذكاء اشتغل بالعلم كثيرا حتى نسخ دلائل النبوة للبيهقى بخطه ، وقد ولى السلطنة بعد أخيه المظفر فى رمضان عام ٧٤٨ هـ/١٣٤٧ م ، ثم قبض على حاشية المظفر واستولى علي ما يحوزتهم من أموال وجواهر ، وقد أحكم قبضته على البلاد وقبض على من يخالفه الرأى من الامراء

الأمر الذى أدى الى تذمرهم فعقدوا العزم على التخلص منه فتم خلعه وتولى أخوه الحكم من بعده ، لكن الناصر حسن استولى على الحكم مرة ثانية وزادت سطوته فاستحوذ على أملاك بيت المال ، ومن أعماله بناء المدرسة المعروفة باسمه وقد توفى قبل ان يكتمل بناؤها ، ابن حجر : الدرر الكامنة ، حـ ٢ ، من ص ٣٨ الى ص ٤٠ .

(١٠٣) المقريزى : الخطط ، حـ ١ ، ص ١٢٣ ، ص ١٢٤ ؛ قاسم عبده : دراسات فى تاريخ مصر ، ص ١١٠ .

(١٠٤) النيروز او النوروز وهو عيد رأس السنة القبطية ، ويقال ان جم شاد أو جمشيد احد ملوك الفرس هو أول من أحدث الاحتفال به وذلك حين اكتمل ملكه وقضى على اعدائه ومعنى كلمة نوروز بالفارسية (اليوم الجديد) ويزعمون أن الله خلق فيه النور ، ومدة النوروز عند الفرس ستة ايام تبدأ فى أول شهر افرودين ماه .

ويسمون اليوم السادس النوروز الكبير ، لأن الأكاسرة يقضون حوائج الناس فى الأيام الخمسة الأولى ثم ينتقلون الى مجلس آنسهم ، ومن عاداتهم الاغتسال بالماء وأن يرشوا بعضهم بعضا تبركا ودفعا للامراض وطلبا للشفاء . القلقشندى : صبح الأعشى ، حـ ٢ ، ص ٤٠٨ ، ص ٤٠٩ ، النويرى : نهاية الأرب ، حـ ١ ، ص ١٨٥ ، ص ١٨٦ ، المقريزى : الخطط ، حـ ١ ، ص ٢٦٦ ، ابن اياس : بدائع الزهور ، حـ ١ ق (٢) ، ص ٣٦٣ ، قاسم عبده : أهل الذمة ، ص ١٦٢ ،

R-Levy : Encyclopaedia of Islam art Nawrúz Vol. (6) Leiden 1987, P. 888.

(١٠٥) ابن اياس : بدائع الزهور ، حـ ١ ، ص ٢٦٣ ، وشهر توت بداية السنة القبطية ويساوى شهر توت فى التقويم الميلادى شهر سبتمبر وهو عن أشهر الشتاء . أحمد رمضان : تطور علم التاريخ الاسلامى ص ٧١ ، ماجد : نظم المماليك ، ص ١٦٩ .

(١٠٦) قاسم عبده : دراسات فى تاريخ مصر ، ص ١١٠ .

(١٠٧) ابن الحاج : المدخل ، حـ ٢ ، ص ٥٢ ، ص ٥٣ .

(١٠٨) انظر الفصل الثانى ص ١٣٠ هامش (٣) .

(١٠٩) ابن اياس : بدائع الزهور ، حـ ١ ، ص ٢٦٣ ، ابن الحاج : المدخل ، حـ ٢ ، ص ٤٩ .

(١١٠) ابن الحاج : المدخل ، حـ ٢ ، ص ٥١ ، ص ٥٣ .

(١١١) ابن الحاج : المدخل حـ ٢ ، ص ٥١ ، سعيد عاشور : المجتمع المصرى ص ٢٠٢ .

(١١٢) انظر ص ١٦٣ من هذا الفصل .

(١١٣) المقريزى : السلوك ، حـ ٣ ق (١) ، ص ٣٩٤ ، ابن اياس : بدائع الزهور : حـ ١ ق (٢) ، ص ٢٦٣ ، ص ٢٦٤ .

(١١٤) ابن الحاج : المدخل ، حـ ٢ ، ص ٥٤ .

(١١٥) القلقشندى صبح الأعشى ، حـ ٢ ، ص ٤١٦ ، النويرى : نهاية الأرب ، حـ ١ ، ص ١٩٢ ، ص ١٩٣ .

(١١٦) المقريزى : الخطط ، حـ ٢ ، ص ٧ .

(١١٧) النويرى : نهاية الأرب ، حـ ١ ، ص ١٩٣ ، القلقشندى : صبح الأعشى ، حـ ٢ ، ص ٤١٧ ، المقريزى : الخطط ، حـ ٢ ، ص ٧ .

(١١٨) ابن الحاج : المدخل ، حـ ٢ ، ص ٥٦ — ٥٨ ، قاسم عبده : أهل الذمة ، ص ١٢٢ .

(١١٩) يساوى شهر طوبة فى التقويم الميلادى شهر يناير وهو من أشهر الشتاء ، احمد رمضان : تطور علم التاريخ ، ص ٧١ ، احمد امين : قاموس العادات ، ص ٢٥٣ .

(١٢٠) المقريزى : الخطط ، حـ ٢ ، ص ٥ ، النويرى : نهاية الأرب ، حـ ١ ، ص ١٩٢ ، القلقشندى : صبح الأعشى ، حـ ٢ ، ص ٤١٦ ، عبد المنعم ماجد : نظم الفاطميين ، حـ ٢ ، ، ص ١٣٤ .

(١٢١) ابن الحاج المدخل ، حـ ٢ ، ص ٧٩ .

(١٢٢) القلقشندى : صبح الأعشى ، حـ ٢ ، ص ٤١٥ ، النويرى : نهاية الأرب ، حـ ١ ، ص ١٩١ ، المقريزى : الخطط ، حـ ٢ ، ص ٣ ، قاسم عبده : أهل الذمة ، ص ١٢٠ .

(١٢٣) القلقشندى : صبح الأعشى ، حـ ٢ ، ص ٤٢٥ ، القزوينى : آثار البلاد ، ص ٢٧١ ، ص ٢٧٢ .

(١٢٤) ابن الحاج : المدخل ، حـ ١ ، ص ٢٨٣ .

(١٢٥) **البشارة** هى بشارة غبريال (وهو جبريل على زعمهم) لمريم عليها السلام بميلاد عيسى ، ويوافق هذا العيد يوم التاسع والعشرين من برمهات ،

الفصح : هو العيد الكبير لاقباط مصر ، يحتفلون به فى يوم الفطر بعد صيامهم الاكبر، وهم يزعمون أن المسيح قام فيه بعد الصلب بثلاثة أيام ، وخلص آدم من الجحيم ، واقام فى الأرض أربعين يوما آخرها يوم الخميس ، ثم صعد الى السماء ، **خميس الاربعين** : هو اليوم الذى يزعمون أن المسيح صعد فيه الى السماء بعد القيام ، ووعد تلاميذه بارسال « الفار ــ قليط » ، أى روح القدس ، **عيد الخميس** : وهو عيد العنصرة يحتفلون به بعد خمسين يوما من القيام ، ويأتى فى السادس والعشرين من بشنس ، ويزعمون أن روح القدس حلت فى تلاميذ المسيح وتفرقت عليهم ألسنة الناس تكلموا بجميع الالسنة ، وذهب كل واحد منهم الى بلاد لسانه ليدعو الى دين المسيح ، **عيد الميلاد** : هو اليوم الذى يقولون أن المسيح ولد فى بيت لحم (قرية من أعمال فلسطين) ويكون فى التاسع والعشرين من كيهك من شهور القبط ، وفيه يوقدون المصابيح بالكنائس ، ويزينونها ، **حد الحدود** : وهو بعد الفصح بثمانية أيام ، وفيه يجددون الآلات وأثاث البيوت ، ويبدءون بعده لممارسة أنشطتهم المعتادة ومزاولة كافة الأمور الدنيوية ، **التجلى** : ويكون فى الثالث عشر من « مسرى » ويقولون ان المسيح عليه السلام تجلى لتلاميذه بعد أن رفع فى هذا اليوم ، وتمنوا عليه أن يحضر لهم ايليا وموسى عليهما السلام ، فأحضرهما لهم بمصلى ببيت المقدس ثم صــــعد وصعدا ، **عيد الصليب** : وهو فى السابع عشر من توت ، ويرتبط هذا العيد باعتناق قسطنطين بن هيلانة النصرانية وخروج أمه هيلانة الى الشام وبنائها لعدد من الكنائس ، وقد اتخذت هذا اليوم عيدا بعد أن دخلت بيت المقدس وحصلت على الخشبة التى يزعم النصارى أن المسيح قد صلب عليها فحملتها ووشيتها بالذهب تيمنا ببركة المسيح . القلقشندى : صبح الأعشى ، حـ ٢ ، من ص ٤٢٥ الى ص ٤٢٩ ، النويرى : نهاية الأرب ، حـ ١ ، ص ١٩١ الى ص ١٩٣ ، المقريزى : الخطط ، حـ ٢ ، ص ٣ الى ص ٧ .

(١٢٦) انظر النويرى : نهاية الأرب ، حـ ١ ، ص ١٩٥ ، ص ١٩٧ ، القلقشندى : صبح الأعشى ، حـ ٢ ، ص ٤٢٦ الى ص ٤٢٩ ، قاسم عبده : اليهود فى مصر من الفتح العربى حتى الغزو العثمانى القاهرة ١٩٨٧ م ، من ص ٤٦ الى ص ٤٨ ، وللمؤلف نفسه اهل الذمة ، ص ١٢٢ الى ص ١٢٧ ، حسن ظاظا : الفكر الدينى الاسرائيلى اطواره ومذاهبه ١٩٧٥ ، ص ١٩٩ ، ص ٢٣٠ ، ألفت محمد جلال : العقيدة الدينية والنظم التشريعية عند اليهود كما يصورها العهد القديم ، ١٩٧٤ م ، ص ٧٥ الى ص ٨١ .

(١٢٧) ابن الحاج : المدخل ، حـ ١ ، ص ٢٧٨ ، ص ٢٧٩ ، قاسم عبده ، اهل الذمة ، ص ١٥١ .

(١٢٨) الزواج « عقد يفيد حل العشرة بين الرجل والمرأة بما يحقق ما يتقاضاه الطبع الانسانى وتعاونهما مدى الحياة ويحدد ما لكليهما من حقوق ، وما عليه من واجبات » محمد أبو زهرة : محاضرات فى عقد الزواج وآثاره ، القاهرة ١٩٥٨ ، ص ٣٨ ، وهو سنة من سنن الله فى الخلق والتكوين ، وهى عامة مطردة ، لايشذ منها عالم الانسان او عالم الحيوان ، أو عالم النبات ، سيد سابق : فقه السنة ، م (٢) طبعة ١٩٤٦ دار التراث ، القاهرة ، ص ٥ ، وأيضا انظر عن الزواج ومراحله محمد حسن : الأسرة المصرية ، رسالة ماجستير ، من ص ١ الى ص ١٣ .

(١٢٩) ابراهيم حمادة : خيال الظل ، ص ١٦١ ، أحمد عبد الرازق : المرأة زمن سلاطين المماليك ، ص ٣٣ وللمؤلف نفسه .
La Femme au lemps des Mamlouks P. 50.

(١٣٠) الجعل دابة سوداء من دواب الأرض كالجعران الأسود ، والجعل حيوان معروف كالخنفساء . ابن منظور : لسان العرب ، جـ ١٣ ، ص ١١٨ ، ص ١١٩ .

(١٣١) ابراهيم حماده : خيال الظل ، ص ١٧٤ ، ص ١٧٥ ، وقد قيل فى هذا المقام : ايس تعمل الماشطة فى الوجه المشئوم .

الأبشيهى : المستطرف ، جـ ١ ، طبعة ١٩٥٢ م ، ص ٣٧ وعن الأمثال العامية انظر أحمد تيمور : الأمثال العامة ، ط (١) القاهرة ١٩٤٩ م .

(١٣٢) ابراهيم حمادة : خيال الظل ، ص ١٦٤ .

(١٣٣) أسيلة الخد : أسل اسالة : ملس واستوى ، فهو اسيل يقال خد اسيل ، وكف أسيلة الأصابع . ابراهيم أنيس : المعجم الوسيط ، جـ ١ ، ص ١٨ .

(١٣٤) ابراهيم حماده : خيال الظل ، ص ١٦٢ .

(١٣٥) تربت يداك : كلمة معناها الحث والتحريض ، وقيل هى كلمة دعاء عليه بالفقر ، وقيل بكثرة المال ومعناه اظفر بذات الدين ولا تلتفت الى المال أكثر الله مالك . الشعرانى : لواقع الأنوار القدسية فى بيان العهود المحمدية ، طبعة ١٩٦١ ، ص ٣٣٠ .

(١٣٦) المصدر السابق نفسه والصفحة .

(١٣٧) السخاوى : التبر المسبوك ، ص ٣٩١ ، سعيد عاشور : المجتمع المصرى ، ص ١٢٠ .

(١٣٨) من المعروف انه بعد اختيار العريس لعروسه واتمام الخطبة بقراءة الفاتحة يأتى دور الاتفاق على قيمة المهر الذى يعتبر من حقوق الزوجة ، وهو مقدار من المال فرضه الله تعالى عند عقد القران وهو حق مقدس من حقوقهن أثبته لهن الاسلام اعلاء لقدرهن ، وتشريفا لمكانتهن ، وقد جرت العادة فى عصر المماليك أن يدفع جزء من المهر مقدما قبل عقد القران ، أما الباقى الذى اصطلح على تسميته بمؤخر الصداق فكان يسدد على أقساط مؤجلة كما يفهم من معظم عقود الزواج التى وصلتنا من عصر المماليك ، سعاد ماهر : عقود الزواج على المنسوجات الأثرية ، القاهرة ١٩٦٠ من ص ٥ الى ص ١٠ ومن ص ١٤ الى ص ٣ ٤١ أحمد عبد الرازق : المرأة ، ص ٦٨ ، ص ٦٩ ، عبد الله المراغى : الزواج والطلاق فى جميع الأديان ، المجلس الأعلى للشئون الاسلامية ، ١٩٦٦ ، ص ٢١٢ ، ص ٢١٣ ، فايزه محمود عبد الخالق . جهاز العروس فى مصر عصر سلاطين المماليك ، دراسة أثرية فنية ، رسالة دكتوراه غير منشورة جامعة القاهرة كلية الآثار ١٩٨٨ ، ص ٣٨٧ ، ص ٣٩١ أختلف الفقهاء فى تقدير الحد الأدنى للصداق ، فهو عشرة دراهم من الفضة عند الحنفية وربع دينار من الذهب أو ثلاثة دراهم من الفضة عند المالكية ، ولا حد لأقله عند كل من الشافعية والحنابلة . انظر أحمد عبد الرازق ، عقد نكاح من عصر المماليك البحرية ، المجلة العربية للعلوم الانسانية م (٦) ، الكويت ١٩٨٦ ، ص ٨٦ .

(١٣٩) ابن الحاج : المدخل ، ﺟ ٢ ، ص ٢٦٤ .

(١٤٠) السخاوى : التبر المسبوك ، ص ١٦٨ ، ويستدل من معظم عقود الزواج التى ترجع الى عصر دولة المماليك ، أن عقد الأنكحة كان يتم وفقا لمذهب القاضى أو المأذون ، ولما كان المذهب السائد فى ذلك العصر هو الشافعية فقد تمت أغلب هذه العقود على هذا المذهب ، وقد استمر المذهب الشافعى طوال العصر المملوكى حتى أحدث بيبرس نظام القضاة الأربعة مع تميز القاضى الشافعى باستقلاله بتوليه النواب فى سائر بلاد مصر ، واستمر الأمر على هذا النحو حتى تولى العثمانيون الحكم فى مصر ، فابطلوا نظام القضاة الأربعة وحصروا القضاء فى الحنفية لأنه مذهبهم . سعاد ماهر : عقود الزواج ، ص ١١ الى ص ١٩ ، أحمد عبد الرازق : المرأة ، ص ٦٩ ، أحمد تيمور : نظرة تاريخية فى حدوث المذاهب الفقهية الأربعة (الحنفى ، المالكى ، الشافعى ، الحنبلى) وانتشارها عند جمهور المسلمين طبعة ١٩٢٥ ، ص ٤١ الى ص ٤٥ ، والذى يلفت النظر فى صيغة العقود أنه قد توافرت فيها أركان العقد وشروطه ، ونرى فى صلب العقد شهودا عن شخصية الزوجة وخلوها من الموانع الشرعية وولاية أخيها لها بأذنها بمحضر شهوده وفى نهاية كل عقد أربعة

شهود آخرين يقرر كل منهم عند توقيعه حضوره مجلس العقد وانه يشهد بما فيه . أحمد رمضان : المجتمع الاسلامي في بلاد الشام ، ص ٢٤٩ .

(١٤١) محمد بن محمد بن بهادر : فتوح النصر في تاريخ ملوك مصر ، ورقة ١٨٢ ، ١٨٤ ؛ ابن حبيب تذكرة النبيه ، حـ ٢ ، ص ١٨٤ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية في التاريخ ، بدون تاريخ ، حـ ١٣ ، ص ٣٤٣ زترشتين : تاريخ سلاطين المماليك ، طبعة ليدن ١٩١٩ ، ص ٣٦ .
Lane-Poole : Op. Cit., PP. 289 — 290.

انظر علاء العادل كتبغا زبيدة محمد عطا : بيبرس الدوادار ، مخطوط زبدة الفكر في تاريخ الهجرة تحقيق حـ ٩ ، رسالة دكتوراه جامعة القاهرة ، كلية الآثار ، بدون تاريخ ، ص ٣٦٤ ، ص ٣٦٥ ، ص ٣٦٦

(١٤٢) المقريزي : اغاثة الأمة ، ص ٣٢ ، ص ٣٨ .

(١٤٣) « يا امراء شهر عليكم وشهر على وشهر على الله » المصدر نفسه ، ص ٣٩ ، ص ٤٠ ، قاسم عبده : النيل والمجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك ، دار المعارف ط (١) ١٩٧٨ ، ص ١٣٠ .

(١٤٤) سعاد ماهر : عقود الزواج ، ص ٢٣ .

(١٤٥) المقريزي : اغاثة الأمة ، ص ٣٧ ، ص ٧١ .

(١٤٦) ابن الحاج : المدخل ، حـ ٢ ، ص ٦٠ .

(١٤٧) المقريزي : الخطط ، حـ ٣ ، ص ١٤٤ .

(١٤٨) الشوار الشارة والزينة ، والشوار متاع البيت أو المستحسن منه وجهاز العروس . ابن منظور : لسان العرب ، طبعة أولى بولاق ١٣٠٠ هـ ، حـ ٦ ، ص ١٠٤ ، ص ١٠٥ ، ابراهيم أنيس وآخرون : المعجم الوسيط ، ط (٢) دار المعارف ١٩٧٢ ، حـ ٢ ، ص ٤٩٩ .

(١٤٩) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، حـ ١٦ ، طبعة ١٩٧٢ تحيق جمال الشيال ، ص ٩٦ .

(١٥٠) ابن تغري بردي : منتخبات ، حـ ١ ، ص ٦٧ .

(١٥١) للطرحة وجمعها طراريح — مرتبة يفترشها السلطان اذا جلس . المقريزي : السلوك ، حـ ١ ق (١) ، ص ٤٤٩ هامش (٣) .

(١٥٢) فايزه محمود : جهاز العروس ، رسالة دكتوراه ، ص ٤٢٤ .

(١٥٣) سعيد عاشور : المجتمع المصرى ، ص ١٢٢ .

(١٥٤) ابن تغرى بردى : منتخبات ، حـ ١ ، ص ٦٦ ، ص ٦٧ ، السخاوى : التبر المسبوك ، ص ٣٠٢ ، ابراهيم حماده : خيال الظل : ص ١٤٧ .

(١٥٥) المصدر نفسه والجزء والصفحة .

(١٥٦) محمد حسن : الأسرة المصرية ، رسالة ماجستير ، ص ٨ .

(١٥٧) هذا وقد وجدت سيدات فى العصر المملوكى أطلق عليهن اســـم الصانعات مفردها صانعة ومن وظيفتها تزيين العروس فى ليلة الزفاف ، وكانت ادوات الزينة متنوعة الألوان وبهجة الى جانب استخدامها الطيور فى الزينة .
Dopp : Op. Cit., PP. 139 — 140.

(١٥٨) سعيد عاشور : المجتمع المصرى ، ص ١٢٢ .

(١٥٩) ابن دقماق : الانتصار ، حـ ٤ ، ص ١٣ .

(١٦٠) ابن حجر : ابناء الغمر ، حـ ١ ، ص ٢٧٣ .

(١٦١) المقريزى : الخطط ، حـ ٣ ، ص ١٦٧ .

(١٦٢) انظر : Ahmed-Abd-Al-Raziq : Op. Cit., PP. 62 — 63.

(١٦٣) ابن الحاج : المدخل ، حـ ٣ ، ص ٢٨٤ ، عن الداية انظر ابن حجر : الدرر الكامنة ، حـ ٤ ، ص ١٤٤ ،
Abd Al-Raziq : Op. Cit., P. 62.

(١٦٤) ابن الحاج : المدخل ، حـ ٣ ، ص ٢٨٥ .

(١٦٥) ابن قيم الجوزيه : تحفة المودود بأحكام المولود ، الناشر المكتبة القيمة طبعة ١٩٧٦ ، ص ٢٥ ، ص ٢٦ .

(١٦٦) ابن الحاج : حـ ٣ ، ص ٢٨٧ ، ص ٢٩٠ ، احمد أمين : قاموس العادات ، ص ٢٢٩ .

(١٦٧) ابن الحاج : المدخل ، حـ ٣ ، ص ٢٩١ ، ص ٢٩٢ ، ص ٢٩٣ .

(١٦٨) الختان اسم لفعل الخاتن وهو مصدر كالنزال والقتال ، ويسمى به موضع الختن ايضا ، ويسمى فى حق الأنثى خفضا ، يقال ختنت الغلام ختنا وخفضت الجارية خفضا ، ويسمى فى الذكر اعذارا ايضا ، وغير المعذور : أعلف واقلف ، وقد يقال الاعذار لهما ايضا ، وهو من خصال الفطرة . ابن الجوزية : تحفة المودود ، ص ١١٩ ، ص ١٢٦ .

(١٦٩) انظر المقريزى : السلوك ، حـ ١ ، ق (٢) ، ص ٥١٩ ، رشاد عبد الله الشامى ، جولة فى الدين والتقاليد اليهودية ، القاهرة ١٩٧٧ ، ص ٣٠ .

(١٧٠) السبكى : معيد النعم ، ص ١٣٤ .

(١٧١) المقريزى : السلوك ، حـ ٤ ، ص ٤٦٦ ، سعيد عاشور : المجتمع المصرى ، ص ١٢٥ .

(١٧٢) ابن الحاج : المدخل ، حـ ٣ ، ص ٢٣٥ ، أحمد أمين : قاموس العادات ، ص ١٣٩ .

(١٧٣) السخام هو الفحم وسواد القدر ، وذلك اظهارا للحزن ، المقريزى : السلوك ، حـ ١ ق (٣) ص ٧٦٦ هامش (٤) .

(١٧٤) ابن الحاج : المدخل ، حـ ٣ ، ص ٢٣٣ .

(١٧٥) هذا وقد نصت الشريعة الاسلامية على أن يقوم بتغسيل المتوفى رجل مثله وبالعكس ، تقوم المرأة بتغسيل امرأة مثلها ، وهناك عدة شروط يجب توافرها فى الغاسلة منها أن تكون امرأة تقية تتصف بالعفة وعلى علم بالشعائر الجنائزية .
Abd Al-Raziq : Op. Cit., PP. 81 — 82.

(١٧٦) ابن الحاج : المدخل ، حـ ٣ ، ص ٢٤٦ ، احمد أمين ، قاموس العادات ، ص ٣٧٤ .

(١٧٧) ابن الصيرفى : نزهة النفوس ، حـ ٣ ، ص ٤١٤ ، محمد حسن : الأسرة المصرية ، رسالة ماجستير ، ص ١٠٣ .

(١٧٨) ابن الحاج : المدخل ، حـ ٣ ، ص ٢٤٨ .

(١٧٩) ابن الحاج : المدخل ، حـ ٣ ، ص ٢٤٦ .

(١٨٠) ابن تغرى بردى : منتخبات ، حـ ٤ ، ص ٣٣٤ ، العينى : عقد الجمان ، ص ٣٦١ .

(١٨١) ابن الحاج : المدخل ، حـ ٣ ، ص ٢٥٤ الى ص ٢٥٧ .

(١٨٢) المقريزى : السلوك ، حـ ١ ، ص ٣٧١ ، سعيد عاشور : المجتمع المصرى ، ص ١٠٨ ، وقد حرمت الشريعة الاسلامية النواح على الموتى وبالرغم من ذلك لم يراعى هذا فى العصر المملوكى بل استمرت النائحة فى اداء وظيفتها .
Abd-Al-Raziq : Op. Cit., P. 85.

(١٨٣)

قال عــــاودى وبخــــاطرك نروح	طـــــالع وأنــــا وراه أنــــوح
قال عــــاودى ورايحة ورايا فين ؟	طـــــالع وانا وراك بالعــــــين .

عبد الحليم حفنى : المراثى الشعبية (العديد) هيئة الكتاب ١٩٨٢ ، ص ٤٩ .

(١٨٤) ابن الحاج : المدخل ، ج ٣ ، ص ٢٧٧ .

(١٨٥) المصدر نفسه ، جـ ١ ، ص ٣١١ ، ص ٣١٢ .

(١٨٦) المصدر نفسه ، جـ ٣ ، ص ٢٧٦ ، ص ٢٧٧ ، ص ٢٨١ ، احمد أمين قاموس العادات ، ص ١٤٠ .

(١٨٧) ابن بطوطة : رحلة ابن بطوطة ، ص ١٩ ، نقولا زيادة : الرحالة العرب ، القاهرة ١٩٥٦ ، ص ١٣١ .

(١٨٨)

سلطاننا ركين ونائبنا دقيق بجيبنا الماء من أين

نجيبوا لنا الأعرج يجى الماء يتدحرج

ابن تغرى بردى : النجوم ، جـ ٨ ، ص ٢٤٣ ، ص ٢٤٤ هامش (١) ، المقريزى : السلوك ، جـ ٢ ق (١) ص ٥٥ .

(١٨٩) ارتفعت أسعار الغلال نتيجة قصور النيل عن حد الوفاء ، واشتد قلق الناس فأصدر السلطان جقمق أوامره بالخروج للاستسقاء والتضرع الى الله تعالى بزيادة النيل . ابن اياس : بدائع الزهور ، جـ ٢ ، من ص ٢٨١ الى ص ٢٨٤ .

(١٩٠) ابن تغرى بردى : منتخبات ، جـ ١ ، ص ٨٩ .

(١٩١) من مماليك المظفر بيبرس الجاشنكير ، ثم انتقل الى خدمة الملك الناصر محمد بن قلاوون خسارة ساقيا وعظمت أمواله ، وأطلقت عليه الطبقات الشعبية الدم الأسود ، وكان من الظلمة المسرفين على أنفسهم . ابن تغرى بردى : المنهل الصافى ، جـ ٣ ، ص ٣٩١ ، ص ٣٩٢ ، النجوم الزاهرة ، جـ ٩ ، ص ٢٢٨ .

(١٩٢) ناصر الدين تولى منصب حسبة القاهرة وقد لقبته الطبقات الشعبية باسم فار السقوف . المقريزى : السلوك ، جـ ٢ ، ص ٢٤٤ ، سعيد عاشور : المجتمع المصرى ، ص ١٠١ .

(١٩٣) طشتمر البدرى الساقى الناصرى لقب بحمص أخضر لأنه كان يحب أكله وقد اشتراه الناصر صغيرا وتولى تربيته ورعايته وقد قبض عليه مع آخرين اتهموا باثارة فتنة ثم أفرج عنه لما ثبتت براءته وأوسع عليه فى الخلع والملابس ، وكان قطلوبغا الفخرى يدعوه أخى فاتفق أن الناصر قبض عليهما فشفع فيهما نائب الشام وأقام طشتمر بالقاهرة فى النيابة والفخرى فى نيابة دمشق ثم قبض احمد

الناصر على طشتمر بعد شهر وتوجه الناصر الى الكرك وقبض على الفخرى أيضا وسجنهما فى الكرك لكنهما فرا من السجن ، وكان طشتمر شجاعا واسع الصدر وهو الذى عمر الجامع بالصحراء والربع بالحريريين وقد توفى فى ٧٤٣ هـ/١٣٤٢ م . ابن حجر : الدرر الكامنة ، حـ ٢ ، ص ٢١٩ ، ص ٢٢٠ .

(١٩٤) قطلوبغا الناصرى المعروف بالفخرى من مماليك الناصر المقربين وكان يتجاوز حدوده معه مما أثار غضبه فقبض عليه ، فأضرب المماليك عن الطعام مطالبين باطلاق سراحه ، فاستجاب لهم الناصر وافرج عنه واسترد مكانه مرة ثانية الى أن مات السلطان فمال الفخرى الى الأمير قوصون وقام بنصره فأعطاه عشرة آلاف دينار وأمره بحصار احمد الناصر بن الناصر محمد الى ان وصله كتاب أخيه طشتمر ينكر عليه ما فعل ويؤكد ولاءه لاحمد الناصر ، وقد تولى الفخرى بعد ذلك دمشق بعد أن أرسل اليه الناصر احمد بالنيابة ، وذلك عام ٧٤٢ هـ/١٣٤١ م ، ثم غدر الناصر به واراد القبض عليه فهرب ولكن اعتقل وأرسل الى القاهرة وقتل هو وطشتمر ، وقد كان الفخرى شجاعا مقداما داعية جوادا ، وكان يلقب بالمانون المنتشر ورفيقه طشتمر بالحمص الأخضر . ابن حجر : الدرر الكامنة ، حـ ٣ ، ص ٢٢١، ص ٢٢٢ .

(١٩٥) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، حـ ١٤ ، ص ٢٧ .

(١٩٦) وقد كان الوطن الأول لخيال الظل الهند ومنها الى الصين ، وتعتمد صنعة هذا الفن على انعكاس الصورة أو الخيال وذلك عن طريق الضوء والصورة معا ، ويحتاج تبعا لذلك الى مكان محكم يتركز فيه الضوء على التمثيل ، ومع ذلك فقد اتسم بنوع من المرونة فى الحركة يجعله صالحا لان يؤدى فى فناء دار أو داخل فسطاط . هذا وتعرف تمثيليات خيال الظل باسم بابات ومفردها بابة . أما طريقة عرض هذه التمثيليات فتتلخص فى عمل عرائس وصور من الجلد والورق المقوى ، وتوضع خلف ستارة بيضاء ومن خلفها مصابح حيث تنعكس ظلالها على الستارة ليراها النظارة من الجهة الاخرى ، وتحتوى العرائس والشخوص على ثقوب ومفصلات تجعلها سهلة الحركة ، ويحركها الذى يترجم البابة بعصا فى يده حسب الحوار الذى ينطق به صاحب البابة . ابراهيم حماده : خيال الظل ، ص ٣٣ ، هبة الله محمد فتحى حسين : الفنون الشعبية فى مصر الاسلامية ، رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآثار ، جامعة القاهرة ١٩٨٣ ، ص ٢٨ ، على ابراهيم أبو زيد تمثيليات خيال الظل ، ط (٢) ١٩٨٣ م ، ص ٤٤ : المنصفانى احمد المرسى: تأثير خيال الظل فى

القره كوز التركي ، حوليات كلية الآداب جامعة عين شمس ، م (١٦) ١٩٨٧ ، ص ٣٥ .

(١٩٧) Kahle-Poul : the Arabic Shadow play in Egypt. The Journal of the royal asiatic society por 1940 London, P. 21.

انظر احمد تيمور : خيال الظل واللعب والتماثيل المصورة عند العرب ، طبعة دار الكتاب العربي ، ط (١) ١٩٥٧ م ، ص ١٩ .

(١٩٨) ابراهيم حمادة : خيال الظل ، ص ٩ ، هبة الله : الفنون الشعبية رسالة ماجستير ، ص ٢٨ ، ص ٢٩ ، متز : الحضارة الاسلامية ، ص ٢٦٦ .
Lane-Poole : History of Egypt, P. 251.

(١٩٩) الملك الناصر أبو السعادات ناصر الدين محمد (٩٠١ هـ/١٤٩٥ م) صاحب اللقبين ، وقد تلقب أولا بالناصر ، ثم تلقب بالأشرف بن الملك الأشرف أبى النصر قايتباى المحمودى وهو الثانى والأربعون من ملوك الترك ، وقد كان حسن الشكل ، نحيف الجسد ، ويوصف بالكرم الزائد والشجاعة ، وقد تميز بتقربه من الأوباش ، واتصف عصره بانتشار الفتن ونشوب المنازعات والحروب . ابن اياس : بدائع الزهور ، حـ ٣ ، ص ٣٢٢ ، ص ٣٢٣ .

(٢٠٠) Kahle : Op. Cit., P. 21.

(٢٠١) هو الظاهر أبو سعيد الجركسى ، كان ساقيا فى الدولة الناصرية، ثم ترقى فصار أمير عشرة ثم قبض عليه الناصر لكنه أطلق سراحه بعد ذلك واستمر الى أن أعطاه المؤيد امرة عشرة ثم طبلخاناه ثم استقر فى وظيفة الحجوبية أيام الأشرف برسباى ، ونقل بعد ذلك الى منصب الأخورية وباشر انظر الخانقاه الصلاحية، ثم تولى أمرة سلاح ، وانتقل الى الاتابكية ، وقد مات الأشرف برسباى بعد أن أوصاه على ولده الذى تولى السلطنة من بعده ، الا أن جقمق لم يعمل بالوصية فخلعه واستولى على السلطنة ، وقد كان جقمق عادلا متدينا ، يحترم العلم والفقهاء ، وقد حارب بعض مظاهر الفساد السائدة فى عصره نحو ما كان يحدث فى سوق الرماحة الخاص بالمحل ، وما كان يحدث كذلك فى مولد السيد البدوى بطنطا ، كما حارب أصحاب الخيال ، لكنه عرف الى جانب ذلك بالاحسان الى الفقراء ، والأيتام ، ومن أهم ما قام به من اصلاحات ترميم وتعمير بعض القناطر نحو قنطرة بنى منجا وقنطرة باب البحر : السخاوى : الضوء اللامع ، حـ ٣ ، من ص ٧١ الى ص ٧٤ .

(٢٠٢) ابن تغرى بردى : منتخبات ، حـ ١ ، ص ١١٧ ، السخاوى : التبر المسبوك ، ص ٣٥٣ ، Kahle : Op. Cit., P.

(٢٠٣) ابراهيم حماده : خيال الظل ، ص ٩ هبة الله : الفنون الشعبية ، رسالة ماجستير ، ص ٢٨ ، ص ٢٩ ، احمد رمضان : المجتمع الاسلامى فى بلاد الشام : ص ٣٠٢ ، ص ٣٠٣ ، سعيد عاشور : أعلام العرب ، ص ١٦٦

(٢٠٤) زغلول سلام : الادب فى العصر المملوكى ، ص ٢٩١ ، ابراهيم حمادة، خيال الظل ، ص ٥٣ ، ص ٥٤ .

(٢٠٥) هبة الله : الفنون الشعبية ، رسالة ماجستير ، ص ٣٤ .

(٢٠٦) ابراهيم أبو زيد : خيال الظل ، ص ٤٦ ، ومما قيل فى تشبيه الحياة الدنيا بخيال الظل :

رأيت خيال الظل أعظم عبرة
لمن كان فى علم الحقائق راقى
شخوصا وأصواتا يخالف بعضها
لبعض وأشـــــكالا بغير وفاق
تجيء وتمضى بابة بعد بابة
وتفنى جميعا والمحـــرك باقى

الأبشيهى : المستطرف ، بيروت ١٩٨٣ ، ص ٥٩٩ ، فؤاد حسنين : قصصنا الشعبى ، القاهرة ١٩٤٧ ، ص ٨٠ .

(٢٠٧) انظر قاسم عبده : الشخصيات التأريخية فى سيرة الظاهر بيبرس ، مجلة الفنون الشعبية عدد ١٨ ، ١٩٨٧ ، من ص ٢١ الى ص ٣٥ ، فاروق خورشيد : فن كتابة السير الشعبية ، بيروت ١٩٨٠ ، ص ٣٣ ، نبيلة ابراهيم : أشكال التعبير فى الأدب الشعبى ، القاهرة ١٩٧٤ م ، ص ٩٢ وللمؤلفة نفسها الدراسات الشعبية بين النظرية والتطبيق ، الرياض ، ١٩٨٥ م ، ص ١١٥ .

(٢٠٨) قاسم عبده : بين الأدب والتاريخ ، القاهرة ١٩٨٦ ، ص ٧٢ .

(٢٠٩) Carl-brockel man : Carmichae History of the Islamtic Peaples, London, 1949, P. 23.

السخاوى : تحفة الأحباب ، ص ٨١ ، رشدى صالح : الادب الشعبى ، ص ٧٢ ، فاروق خورشيد . أضواء على السير الشعبية ، القاهرة ١٩٦٤ م ، ص ١٠٧، ص ١٢٦ عبد الحميد يونس : الحكاية الشعبية ، القاهرة ، ١٩٨٥ ، ص ٥٨ ، عبد اللطيف حمزه : الأدب المصرى من قيام الدولة الأيوبية الى مجيء الحملة الفرنسية، مكتبة النهضة بدون تأريخ ، ص ٢٥٦ الى ص ٢٧٨ .

(٢١٠) انظر المدخل ص ٢٢ .

(٢١١) المقريزى : الخطط ، حـ ٣ ، ص ٤٤ .

(٢١٢) ابن حجر : الدرر الكامنة ، حـ ١ ، ص ٢٧٩ ، سعيد عاشور : المجتمع المصرى : ص ١٠٧ ، عبد اللطيف حمزة : الأدب المصرى ، ص ١٩٤ الى ص ٢٠١ .

(٢١٣) انظر (ص ٢٧١) من هذا الفصل ، هامش (١) .

(٢١٤) وقد استعان الشاعر بأسماء بعض من سور القرآن الكريم ليعبر بها عن لهو هذا السلطان وما يريد من سخرية به وبسيرته ، وفى كلمة الواقعة تورية واضحة بمقتله . شوقى ضيف : الفكاهة فى مصر ، القاهرة ١٩٨٥ ، ص ٥٤ ، ص ٥٥ .

(٢١٥) ومن الأشعار التى يرددها المتيم اشادة بديكه :

ديكى صــــياح من الهنــود ــــحــذار من بأســـــه الشــديد
ان كان منقـــــاره قصـــــيرا فــــان كفيـــــه من حـــــديد

وقد كان اليتم يرد عليه بما يتناسب من الشعر فى الاشادة بديكه أيضا ابراهيم حماده : خيال الظل ، ص ٢٤١ .

(٢١٦) المرجع السابق نفسه والصفحة .

(٢١٧) ابراهيم حماده : خيال الظل ، ص ٢٤٢ ، فوزى أمين : المجتمــع المصرى ، ص ٣١٥ ، ص ٣٢٦ ، لطفى احمد : وسائل الترفيه ، رسالة ماجستير ص ٣٠٧ ، ص ٣١٨ .

(٢١٨) حاجى بن محمد بن قلاوون المعروف باسم الملك المظفر سيف الدين بن الناصر وقد استقرت ابان حكمه الأحوال الاقتصادية ، فانخفضت أسعار السلع وتوافرت فى الأسواق ، لكنه كان مولعا بالنساء مقبلا على اللهو ، كما كانت علاقته سيئة بالأمراء ، بالرغم من مشاركته للأوباش فى ألعابهم وخاصة ألعاب المصارعة ، وقد تآمر عليه الأمراء ، واتفقوا على قتله وتولى أخوه الناصر حسن السلطنة من بعده . ابن حجر الدرر الكامنة ، حـ ٢ ، ص ٣ ، ص ٤ ، ص ٥ .

(٢١٩) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، حـ ١٠ ، ص ١٦٨ ، والتبان سروال صغير مقدار شبر يكون للملاحين والمصارعين .: المصدر نفسه والجزء والصفحة هامش (٢) ، المقريزى : السلوك ، حـ ٢ ق (٢) ، ص ٧٤٠ .

(٢٢٠) المصدر نفسه والجزء ص ٦٤٢ ، سيرة الظاهربيبرس م (١) ، حـ ٩ ، ص ٥٠١ .

(٢٢١) انظر ص ١٩٧ من هذا الفصل ، هامش(٣) .

(٢٢٢) ابن اياس : بدائع الزهور ، حـ ٣ ، ص ٣٥٨ ، لطفى احمد : وسائل التسلية ، ص ٣١٠ .

(٢٢٣) ٨٢٥ هـ/١٤٢٢ م Lane-Poole : Op. Cit., P. 81.

هو الملك الأشرف برسباى بن عبد الله أبو النصر الدقماقى الظاهرى الجاركسى عمل مع الظاهر برقوق وأصبح ساقيا فى دولة الناصر فرج ، وقد تولى منصب أمير مائة بعد قتل الناصر فرج ، ثم ولى نيابة طرابلس وعاد بعد ذلك الى القاهرة فى صحبه الملك الظاهر ططر الى أن توفى ، فتولى برسباى شئون المملكة ، ثم دخل فى صراع مع الأمير طرباى فقبض برسباى عليه ، وقد كان ملكا عادلا مهابا حازما ، حازقا ، لكنه بالرغم من ذلك كان شغوفا بجمع المال ، ميالا لشراء المماليك ، ويؤثر الجراكسة على غيرهم من الطوائف الأخرى ، وكان يباشر أحوال المملكة غالبا بنفسه، كما كان خيرا ، تقيا ، واتصف عصره بالاستقرار والرفاهية الاقتصادية ، وأنشأ عددا من المنشآت كمدرسة الأشرفية التى تقع فيما بين القصرين . ابن تغرى بردى : المنهل الصافى ، حـ ٣ ، من ص ٢٥٤ الى ص ٢٧٦ . السخاوى الضوء اللامع ، حـ ٣ ص ٨ ، ابن العماد : شذرات ، حـ ٧ ، ص ٢٣٨ ، ابن تغرى بردى : منتخبات ، حـ ١ ، ص ١١٧ ، السخاوى : التبر المسبوك ، ص ٣٥٣ ، أحمد تيمور : خيال الظل ، ص ٢٣ ، سيرة الظاهر بيبرس ، م (١) ، حـ ٩ ، ص ٥٠١ .

Kahla : Op. Cit., P. 21.

(٢٢٤) المقريزى : السلوك ، حـ ٤ ق (٢) ، ص ٧١٣ ، ص ٧١٤ .

(٢٢٥) انظر الفصل الأول ص ٧٣ هامش (٢) .

(٢٢٦) اى أصحاب السير والقصص الشعبية .

(٢٢٧) المقريزى : الخطط ، حـ ٢ ، ص ٥١ ، على مبارك : الخطط التوفيقية ، حـ ٣ ، ص ٦٤ .

Lane-Poole : History of Egypt, P. 251.

(٢٢٨) انظر النويرى : نهاية الارب ، حـ ٣ ، ص ١٦٢ الى ص ١٦٩

(٢٢٩) فوزى أمين : المجتمع المصرى ، ص ٢٢٩ ، ص ٢٣٠ .

(٢٣٠) ومن امثلة هذه الألغاز ما قيل فى كوز فقاع :

ومحبـــــوس بلا ذنــب جنـــــاه ... له فى السجن ثوب من رصــــاص

اذا اطلقتـــه وثـب ارتفـــــاعا ... يقبــــل فـــاك من فـــرح الخلاص

الابشيهي : المستطرف ، طبعة بيروت ١٩٨٦ ، ص ٢٦٦ .

وقيل في شبكة الصياد :

وكثير الأحداق الا أنها هي ما لم تنغمس في ماء

واذا هي أنغمست أفادت ربها ما لا ينال بأعين البصراء

وقال آخر في الكرة :

ومضروبة تحيا اذا ما ضربتها وان تركت من شدة الضرب ماتت

النويري : نهاية الأرب ، حـ ٣ ، ص ١٦٥ ، ص ١٦٩ .

وفي الشطرنج :

يا ذا النهى ما اسم له حالة يحار فيها الذهن والفكر

له حروف خمسة انما ثلاث منها له شيطر

الابشيهي : المستطرف ، حـ ٢ ، ص ٢٦٩ .

(٢٣١) الأحجبة جمع حجاب وقد اشتهرت بين الطبقات الشعبية ، وأشهر من اشتهر بعملها المغاربة من أهالي تونس والجزائر والمغرب ، ويليهم السودانيون والعادة أن يكتبوها بحبر أحمر أو أخضر ثم تطبق الورقة ، ويعلقها في رقبة من أراد ، ويكون الحجاب تحت الثياب ، وقد الف بعض العلماء كتبا في الأحجبة على اختلاف أنواعها فحجاب لشفاء المريض ، وحجاب لقضاء الحاجات وحجات لتحبيب الزوج في الزوجة وغير ذلك أحمد أمين : قاموس العادات ، ص ٢٥ .

(٢٣٢) عبد الحميد يونس : الحكاية الشعبية ، ص ٦٥ ، ص ٦٦ .

(٢٣٣) شوقي عبد الحكيم : الحكايات الشعبية العربية دراسة نظرية ميدانية ، بيروت ١٩٨٠ ، ص ١٢١ .

(٢٣٤) لعبة النرد تسمى بالفارسية « نردشير » أي أكبر نرد وتنسب الى اردشيرين بابك الذي وضعها ، وهي عبارة عن رقعة مقسمة مثل الشطرنج وهي من العاب الفرس . ياقوت : معجم الأدباء ، حـ ٢ ص ١٢٩ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ، حـ ٣ ، ص ٤٧٧ ، لطفي أحمد : وسائل الترفيه ، ص ٣٤١ .

(٢٣٥) لعبة الشطرنج عرفها المسلمون منذ عهد الرشيد ، وكانت أدواتها تصنع بدقة بالغة ، وكانوا يلعبون بها على قطعة مربعة حمراء من الجلد . المسعودي : مروج الذهب ، حـ ٢ ، ص٥٢١ ، ص ٥٢٢ ، حورية عبد السلام : الخلافة العباسية ومظاهر الحضارة في بغداد ، ١٩٨١ ، ص ١٣٩ .

وللبنج فعل البنج فى اللعب ما بدا   وألهاك عن صوم الفريضة والفطر ،
تروقك من شـــــغع ووتر نقوشـــها   وتلهيك ما لاحت عن الشـــفع والوتر

فوزى أمين : المجتمع المصرى ، ص ٢٢٦ ، ص ٢٢٧ .

(٢٣٧) ابن الحاج : المدخل ، حـ ٤ ، ص ٥٥ .

(٢٣٨) انظر السخاوى : التبر المسبوك ، ص ٢٢٠ عن أحمد بن عثمان بن محمد شهاب الدين ، ابن حجر : ابناء الغمر ، حـ ١ ، ص ٣٢١ عن أحمد بن محمد بن حنا .

(٢٣٩) محمد قنديل البقلى : الطرب فى العصر المملوكى ، هيئة الكتاب ، ١٩٨٤ ، ص ٩ ، ص ١٠ .

(٢٤٠) ابن الحاج : المدخل ، حـ ١ ، ص ٢٤٦ .

(٢٤١) المقريزى : الخطط ، حـ ٢ ، ص ١٤٣ .

(٢٤٢) المصدر نفسه ، حـ ١ ، ص ٣٨٠ .

(٢٤٣) ابن اياس : بدائع الزهور ، حـ ١ ق (٢) ، ص ١٥٤ ، حوادث ٧٧٧ هـ/١٣٧٥ م .

(٢٤٤) ٨٧٣ هـ/١٤٦٨ م . Lane-Poole : Op. Cit., P. 81.

(٢٤٥) ومما كانوا يرددونه :

زويجى ذو المسخرة   يطعمنى خبز الذرة

ابن اياس : بدائع الزهور ، حـ ٣ ، ص ٢٣٨ .

(٢٤٦) ٩٠٤ هـ/١٤٩٨ م Lane-Poole : Op. Cit., P. 81.

الملك الظاهر أبو سعيد قانصوه بن قانصوه الأشرفى أصله جركسى الجنس ، اشتراه الأمير قانصوه الألفى وقدمه للسلطان قايتباى ، ثم منحه قايتباى خبلا وقماشا وصار من جملة المماليك الجمدارية ، واستمر على ذلك الى أن توفى قايتباى وتولى ابنه السلطنة ، فولى الغورى أمير طبلخاناة وشاد الشراب خاناه ، فعظم أمره وشاع ذكره بين الناس ، ثم تولى منصب الوزارة والاستادار ، ولما قتل الناصر ، سادت الاضطرابات والفتن ، تولى الغورى منصب السلطنة ولقب بالملك الظاهر أبو سعيد وكان ذلك فى عام ٩٠٤ هـ/١٤٩٨ م . ابن اياس : بدائع الزهور ، حـ ٢ ، طبعة بولاق ١٣١١ هـ ، ص ٣٤٩ ، ص ٣٥٠ .

(٢٤٧) ومن الأغاني التي كانوا يرددونها في أثناء دوران المحمل :

بيــــع اللحـــــاف والطـــــــراحة حتى أرى ذا الرمـــــــــاحة
بيـــع لي لحــــافي ذي المحمــــل حتى أرى شـــــكل المحمـــل

ابن اياس : بدائع الزهور ، حـ ٤ ، ص ٦١ .

(٢٤٨) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، حـ ١٤ ، ص ٢٢ .

(٢٤٩) ابن تغرى بردى : النجوم ، حـ ١٤ ، ص ٣٨ .

(٢٥٠) انظر ص ١٩٧ من هذا الفصل هامش(٥)

(٢٥١) السخاوى : التبر المسبوك ، ص ٢٢٠ .

(٢٥٢) من منتزهات القاهرة وعرفت بهذا الاســـم لأن الأمير أبى الحارث البساسيرى قام بقيادة أتباعه من الشيعة الاسماعيلية أو المتشيعين لها بالسيطرة على بغداد وقام بالدعاء للخليفة المستنصر الفاطمى من فوق منابر بغداد ، فلما وصل الخبر القاهرة فرح الخليفة المستنصر وزينت القاهرة فوقفت نسب طبالة المستنصر وكانت امرأة تقف تحت القصر فى المواسم والأعياد وحولها طائفتها وهى تضرب بالطبل ، فلما عرفت ذلك قالت :

يا بنى العبـــــاس هبــــوا « ردوا » ملـــك الأمـــــــير معـــــــد
مـــلككم مــــــلك معــــــــار والعــــــواري تســــــترد

فأعجب المستنصر بها وأعطاها الأرض المجاورة للمقس وأطلق عليها حينئذ أرض الطبالة . المقريزى : الخطط ، حـ ٣ ، ص ٢٠٣ وما بعدها .

(٢٥٣) المصدر السابق نفسه والجزء ، ص ٢٠٣ ، ص ٢٠٤ .

(٢٥٤) انظر الفصل (ص ٧٣) هامش (٤) .

(٢٥٥) الاخصاص والتى تقوم مقامها فى أيامنا الشاليهات والكبائن ، سعيد عاشور : المجتمع المصرى ، ص ١٠٣ .

(٢٥٦) المقريزى : الخطط ، حـ ٣ ، ص ٢١٢ .

(٢٥٧) عرفت بذلك لوقوعها بين الروضة وبولاق وبين القاهرة والجيزة ، المقريزى : الخطط ، حـ ٣ ص ٢٠٣ .

(٢٥٨) ابن دقماق : الانتصار ، حـ ٤ ، ص ١١٠ ، المقريزى : الخطط ، حـ ٣ ، ص ٢٨٩ ، وما بعدها .

(٢٥٩) يرجع سبب حفره الى أن الملك الناصر محمد بن قلاوون لما أنشأ القصور والخانقاه اختار أن يحفر خليجا من بحر النيل لمرور المراكب التى تحمل الغلال اليه ، فأمر نائب السلطنة بحفر الخليج وهدم ما كان هناك من الأملاك التى من جهة باب اللوق ، وانتهى العمل وجرى الماء فيه ، فسر السلطان بذلك وأخذ الناس فى العمارة على حافتى الخليج وكثرت وتنافس الناس فى السكن ، فكانت هناك الحمامات والمساجد والأسواق وصار هذا الخليج مواطن أفراح ومنازل لهو . المقريزى : الخطط ، حـ ٤ ، ص ٢٣٥ ، ص ٢٣٦ .

(٢٦٠) المصدر نفسه ، حـ ٣ ، ص ٢٣٦ ، ص ٢٣٧ ، زغلول سلام : الأدب فى العصر المملوكى ، ص ٨٠ ، ص ٨١ .

(٢٦١) انظر الفصل الأول ، ص ٦٨ ، هامش (٣) .

(٢٦٢) الأزبكية تنسب للأمير أزبك ، وكان من أجل الأمراء قدرا وأعظمهم ذكرا وكان شجاعا قوى الشكيمة ، ويرجع فى أصله الى معاتيق الظاهر جقمق اشتراه وأعتقه وتولى بعد ذلك عدة وظائف جليلة بالقاهرة ، ومرت به بعض الشدائد والمحن وتعرض للنفى عدة مرات ، وقد أنفق أموالا طائلة على انشاء الأزبكية فى عام ٨٨١ هـ/١٤٧٦ م وكانت قبل ذلك بستانا كبيرا غربى الخليج ثم تحولت الى بركة الى أن عمرها الأمير أزبك بعد ذلك . على مبارك : الخطط التوفيقية ، حـ ٣ ، ص ٦٦ .

(٢٦٣) تعتبر من جملة أرض الطبالة ، وكان فى شرق هذه البركة شخص يصنع الأرطال الحديد فأطلق عليها بركة الرطلى ، ثم بنى الناس الدور حول البركة وصارت المراكب تدور فى البركة تحمل الناس وقد تظاهروا بأنواع المنكرات من شرب الحشيش وتبرج النساء واختلاطهن بالرجال ، وقد تلاشى أمر هذه البركة فى عام عام ٨٠٠ هـ/١٣٩٧ م .

المقريزى : الخطط ، حـ ٣ ، ص ٢٦٣ ، ص ٢٦٤ .

(٢٦٤) سعيد عاشور : العصر المماليكى ، ص ٣٢٠ .

(٢٦٥) القزوينى : آثار البلاد ، ص ٢٤٠ ، محمد حمزه : قراءة القاهرة ، رسالة ماجستير ، ص ٢١٤ ، لطفى أحمد : وسائل الترفيه ، ص ٢٣٦ ، ص ٢٣٧ .

(٢٦٦) المقريزى : الخطط ، حـ ٤ ، ص ٣١٩ ، محمد حمزة : قراءة القاهرة ، رسالة ماجستير ، ص ٢١٤ .

(٢٦٧) السيوطى : حسن المحاضرة ، حـ ٢ ، ص ٢١٧ ، ابن الصيرفى : نزهة النفوس ، حـ ١ ، ص ٢٣٤ ، ابن قاضى شهبة : تاريخ ابن قاضى شهبة ، م (أ) ، حـ ٣ ، دمشق ١٩٧٧ ، ص ٣٨٣ ، ابن الحاج : المدخل ، حـ ٢ ، ص ١٧ .

(٢٦٨) سعيد عاشور : المجتمع المصرى ، ص ٢٣٥ ، محمد حسن : الأسرة المصرية ، رسالة ماجستير ، ص ٨٢ .

(٢٦٩) زكى مبارك : التصوف الاسلامى ، حـ ٢ ، ص ٢٨٣ .

(٢٧٠) هو الشيخ محمد وفا كان من أكابر العارفين وأطلق عليه اسم وفا لأن النيل لم يزد فى سنة من السنين فجاءت اليه الناس أفواجا فذهب الى النيل وقال « أطلع باذن الله فطلع ذلك اليوم سبعة عشر ذراعا وأوفى » فسموه وفا ، وله مؤلفات كثيرة منها كتاب العروس وكتاب الشعائر كما له ديوان عظيم ومؤلفات أخرى .

الشعرانى : الطبقات الكبرى ، حـ ٢ ، ص ١٩ ، ص ٢٠ ، ابن اياس : بدائع الزهور ، حـ ١ ق (٢) ، ص ٦ .

(٢٧١) ابن اياس : بدائع الزهور ، حـ ١ ، ق (٢) ، ص ٦ .

(٢٧٢) ابن حجر : أنباء الغمر ، حـ ١ ، ص ٢٣١ .

(٢٧٣) هو الشيخ نجم الدين أبى الغنائم ، محمد بن الشيخ الصالح زين الدين أبى بكر الشافعى المشهور بغنائم ، ولد بقرية من قرى فارسكور بالوجه البحرى، حفظ على حفظ القرآن ولازم الأشتغال بالعلم ثم بمعرفة الطريقة ، اشتهر بالاخلاص ، فأقبلت عليه مختلف الطبقات ، ورحل الى القاهرة ، وعاش فيها الى أن توفى فى عام ٦٨٣ هـ/١٢٨٤ م . السخاوى : تحفة الأحباب ، ص ٣١ ، ص ٣٢ .

(٢٧٤) المصدر نفسه ، ص ٣١ ، ص ٣٢ .

(٢٧٥) المصدر نفسه ، ص ٣٠٢ ، ص ٣٠٣ ، سعيد عاشور : المجتمع المصرى ص ٣٣٦ .

(٢٧٦) ابن جبير : الرحلة ، ص ١٩ .

(٢٧٧) المقريزى : الخطط ، حـ ٢ ، ص ٧١ .

(٢٧٨) ابن حجر : أنباء الغمر ، حـ ٢ ، ص ٢٨٥ .

(٢٧٩) ابن اياس : بدائع الزهور ، حـ ٤ ، ص ١٦٥ .

(٢٨٠) سعيد عاشور : المجتمع المصرى ، ص ٢٤٧ .

(٢٨١) المقريزى : السلوك ، حـ ٣ ق (٢) ، ص ٥٧٦ ، ابن حجر : انباء الغمر ، حـ ١ ، ص ٣٥٠ ، ص ٣٥١ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، حـ ١١ ، ص ٣١٥ .

(٢٨٢) زكى مبارك : التصوف الاسلامى ، حـ ١ ، ص ٣٦٤ ، سعيد عاشور : المجتمع المصرى ، ص ٣٢٨ .

(٢٨٣) المرجع السابق نفسه والجزء ، ص ٣٨٩ ، محمد قنديل البقلى ، الطرب فى العصر المملوكى ، ص ٣٨ ، محمد الجوهرى : علم الفلكلور ، حـ ٢ ، القاهرة دار المعارف ١٩٨٠ ، ص ٩٦ ، ص ٩٧ .

(٢٨٤) السبكى : معيد النعم ، ص ١١٠ ، ص ١١١ ، محمد حسن : الأسرة ، رسالة ماجستير ، ص ٨٩ .

(٢٨٥) سعيد عاشور : المجتمع المصرى ، ص ٢٣٩ .

(٢٨٦) المقريزى : السلوك ، حـ ٢ ق (٣) ، ص ٦٤٩ ، ص ٦٥٠ .

(٢٨٧) ابراهيم جزينى : شـــــرح ديوان بهاء الدين زهير ، طبعة بيروت ١٩٦٨ ، ص ٦ .

(٢٨٨) السخاوى : التبر المسبوك ، ص ٢٤٧ .

(٢٨٩) انظر ص ١٦٣ من هذا الفصل هامش (٣) .

(٢٩٠) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، حـ ١٢ ، ص ١٤٣ ، ص ١٤٤ ، السخاوى : تحفة الأحباب ، ص ٥٠ .

(٢٩١) السخاوى : تحفة الأحباب ، ص ٣٥ .

(٢٩٢) انظر الفصل الأول ص ٦٠ .

(٢٩٣) السخاوى : التبر المسبوك ، ص ٢٣٧ .

(٢٩٤) سعيد عاشور : المجتمع المصرى ، ص ٢٣٩ .

(٢٩٥) الطيرة والطورة ، وقد تطيرت به وأطيرت ، طائر الله لا طائرك ولا تقل لا طيرك ، وقال البعض زعموه على ارادة هذا طير الله فيه معنى الدعاء . والفأل جمعة فئول وقبل الفأل فى الخير والطيرة فى الشر . ابن سيدة : المخصص ، حـ ١٣ ، ص ٢٤ ، انظر أيضا النويرى : نهاية الأرب ، حـ ٣ ، ص ١٤٣ ، ص ١٤٩ ، سعد

الخادم : الفن الشعبى والمعتقدات السحرية ، بدون تاريخ ، ص ١٣٩ ، محمد الجوهرى : علم الفلكلور ، جـ ٢ ، ص ٢٧٩ ، أحمد أمين : قاموس العادات ، ص ١٢٤ .

(٢٩٦) فوزى أمين : المجتمع المصرى ، ص ٢٥٠ .

(٢٩٧) ابن الحاج : المدخل ، جـ ١ ، ص ٢٧٨ .

(٢٩٨) ابن تغرى بردى : منتخبات ، جـ ٣ ، ص ٥٣٤ .

(٢٩٩) السخاوى : التبر المسبوك ، ص ١٠١ ، ص ١٠٢ .

(٣٠٠) السخاوى : الضوء اللامع ، جـ ١ ، ص ١٧٢ ، ص ١٧٣ ، سعيد عاشور : المجتمع المصرى ، ص ٢٤٠ ، ص ٢٤١ .

(٣٠١) زغلول سلام : الادب فى العصر المملوكى ، ص ٨٧ .

(٣٠٢) انظر أحمد أمين : قاموس العادات والتقاليد ، ص ٣٨٠ ، ص ٣٨١ .

(٣٠٣) ابن الحاج : المدخل ، جـ ١ ، ص ٢٧٨ ، ابراهيم حماده : خيال الظل من ص ٢٠٨ الى ص ٢١٠ ، سعيد عاشور : المجتمع المصرى ، ص ٢٤١ ، وعن الطالع انظر أحمد أمين : قاموس العادات والتقاليد ، ص ٢٧٥ ، ص ٢٧٦ .

(٣٠٤) المصدر نفسه ، جـ ٢ ، ص ٢٢٢ ، فوزى أمين : المجتمع المصرى ص ٢٥١ ، سعد الخادم : الفن الشعبى ، ص ٢٤ ، ابراهيم حماده : خيال الظل ، ص ٢٠٨ الى ص ٢١٠ .

(٣٠٥) ابن الحاج : المدخل ، جـ ٢ ، ص ٥٥ .

(٣٠٦) حفيظة رمضان : كلمة تطلق على الأحجبة وغيرها للاحتراز من الجن والجسد . أحمد أمين : قاموس العادات ، ص ١٦٦ .

(٣٠٧) السخاوى التبر المسبوك ، ص ٢١٨ .

(٣٠٨) السخاوى : الضوء اللامع ، جـ ١ ، ص ١١٣ ، ص ١١٤ .

(٣٠٩) زكى مبارك : التصوف الاسلامى ، جـ ١ ، ص ٣٤٨ .

(٣١٠) المرجع السابق نفسه والجزء والصفحة .

(٣١١) ابن الحاج : المدخل ، جـ ١ ، ص ٢٧٨ ، ص ٢٧٩ .

(٣١٢) انظر ص ١٨٣ وما بعدها من هذا الفصل .

(٣١٣) ابن الحاج : المدخل ، جـ ٢ ، ص ٥٤ الى ص ٥٧ ، جـ ١ ، ص ٢٧٩ ، سعيد عاشور : المجتمع المصرى ، ص ٢٣٩ ، ص ٢٤٠ ، وعن البدع انظر الطرطوشى : كتاب الحوادث والبدع ، تحقيق محمد الطالبى ، تونس ، ١٩٥٩ م .

الخاتمـــة

وبعد ، فقد عرضت فى هذه الدراسة للطبقات الشعبية فى القاهرة فى عصر دولة المماليك فى الفترة المشار اليها (٦٤٨ هـ — ٩٢٣ — ١٢٥٠ م — ١٥١٧ م) متتبعة ظروف هذه الطبقات وأحوالها من كافة جوانبها المختلفة وعلاقتها بالحكام والسلاطين ، وانتهيت من هذه الدراسة الى أن مدينة الفسطاط كانت أكبر مركز لتجمع هذه الطبقات الفقيرة . وكان جامع عمرو بن العاص أحد الأماكن التى تواجدت بها تلك الطبقات ، وبقدوم بدر الجمالى أمير الجيوش سمح للطبقات الشعبية بسكنى القاهرة وبعد ذلك تغير الوضع ابان العصر الأيوبى فأصبحت القاهرة مركزا للطبقات الشعبية .

وفى العصر المملوكى لعبت الأسواق دورا كبيرا كأحد الأماكن التى تواجدت فيها الطبقات الشعبية ليس بهدف البيع والشراء فحسب ولكن من أجل العمل والتنزه كما كانت الأسواق بمثابة كيان جامع لمختلف مظاهر الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية آنذاك .

وقد ضمت الأسواق بعض الرباع التى كانت مخصصة لســـكنى الطبقات الشعبية كحى البندقانيين ، وحى السبع خوخ العتيق الذى ضم عدة مســـاكن للأبارين . ويعتبر حى الحسينية من الأحياء الشعبية التى كانت مكتظة بالطبقات الشعبية ويليه من حيث نسبة تواجد هذه الطبقات حى باب اللوق وحى بولاق ، وتعد القرافة من

الأحياء التى تواجدت فيها هذه الطبقات بصورة كبيرة ، كذلك ضمت القياسر عدة رباع كانت مخصصة لسكناها .

ومن الناحية الاقتصادية فقد كشفت الدراسة بجلاء عن الدور الاقتصادى الذى لعبته الطبقات الشعبية فى العصر المملوكى من خلال اشتغالها بمختلف الحرف الأساسية .

وكان من الأسباب التى دفعت الأثرياء الى اقامة الأسبلة فى القاهرة على عصر المماليك رغبتهم فى التكفير عن ذنوبهم وخطاياهم من خلال هذا المظهر من مظاهر البر والاحسان ، الى جانب رغبتهم فى اجتناب ايذاء الطبقات الشعبية لهم فى أثناء تمردهم فى مواجهة تدهور أحوالهم الاقتصادية .

وتجدر الاشارة الى ان الموقف الرسمى للدولة المملوكية من حرفة البغاء كان مرتبطا بالظروف الاقتصادية والاجتماعية وطبيعة من يتولى السلطنة ، فعندما ينقص منسوب مياه النيل يسود اعتقاد بأن ذلك مرجعه الى غضب من الله سبحانه وتعالى على الرعايا لانتشار الرذيلة والفساد ، وحينما يتولى سلطان جديد السلطنة تصدر بعض القرارات لاسترضاء الرعايا منها إلغاء الضـــــريبة المفروضة على مهنة البغاء .

وقد كشفت الدراسة أيضا أن البعض من الطبقات الشعبية زاولوا التجارة وان كانت فى اضيق الحدود كما لجأ بعضهم الى قرض الشعر كوســــيلة للتكســـــب ، الى جانب مزاولة حرفتهم الرئيســـية .

وفيما يتعلق بنظام طوائف الحرف فى العصر المملوكى فقد عاد هذا المشروع بفوائد متعددة على الطبقات الشعبية ، اذ قامت هذه

الطوائف بدور المؤسسات الاجتماعية التى ترعى الحرفيين وتنظم أحوالهم ، وتقدم العون لهم فى حالات العجز والافلاس ، كما كان لها دور رقابى تمثل فى وجود المحتسب ودوره فى الاشراف على الأسواق ، كما تولت الطوائف ايضا الدفاع عن الحرفيين أمام أصحاب الصناعات والحرف بغية تحسين أوضاعهم الاقتصادية والحفاظ على حقوقهم المهنية .

وقد استشرت فى دولة المماليك وبخاصة فى عصرها الثانى ظاهرة تولى بعض الوظائف عن طريق الرشوة أو ما كان يطلق عليه فى ذلك العصر « البذل والبرطلة » ، وقد اصبحت هذه الرشوة حقا مكتسبا بعد ذلك بحيث أصبح التأخر عن دفعها يعرض باذلها للسجن والعقاب وكان من يصيبه الثراء من الطبقات الشعبية بطريقة أو بأخرى يستطيع بفضل ما له ان ينتقل الى طبقة الحكام لفساد الادارة فى أواخر ذلك العصر . على أن هذه الحالات كانت فردية ولا يمكن تعميمها على الطبقات الشعبية فى تلك الآونة .

وفيما يتعلق بالتمردات المتعددة التى قامت بها الطبقـــات الشعبية فى العصر المملوكى — الشطار — العيارون — الحرافيش — الزعر — العياق — المناسر — فقد كان وضعهم الطبقى وبخاصة حالتهم الاقتصادية والتى تعتبر المحرك الأول والمهم فى انتفاضاتهم ضد السلاطين والأمراء ، لم يكن من القوة بحيث يؤثر فى تغيير الأوضاع . فقد نظر السلاطين الى هؤلاء نظرة احتقار وتعال ، وعلى أنها طبقة لا يهتم بها أو ينظر اليها ، فقد كان جل اهتمامهم بأنفسهم ومماليكهم ومتعتهم دون مراعاة هؤلاء ونسوا تماما أنهم جزء لا يتجزأ من الشعب المصرى .

والجدير بالذكر أن الحرافيش والزعر والعياق والمناســـر مترادفات لمسمى واحد اندرجوا تحته وذلك من خلال اشتراكهم فى

أشـــــياء لا يمكن أن تبعد عنهم أو تتجزأ منهم كتدهور أحـــوالهم الاقتصادية والاجتماعية وممارسة أعمال السلب والنهب .

وقد لاحظنا أن التصوف فى تلك الفترة قد حظى بقبول مختلف طبقات الشعب حيث وجدوه ملاذا الى الله جل وعلا يخففون به من آلامهم وخاصة ابان الأزمات التى تعتريهم وقد شجع الســـلاطين والأمراء على اقامة الخوانق والربط والزوايا فى كل مكان ، وذلك فى محاولة منهم لامتصاص تذمر الفقراء والمحتاجين الذين كانوا يشكلون خطرا كبيرا على سلطانهم واملاكهم .

وعلى الصعيد الاجتماعى فقد أوضحت الدراسة أن الاحتفالات والأعياد التى شاركت فيها الطبقات الشعبية كانت متنفسا لها من المعاناة والفقر والفاقة التى كانت تحياها الطبقات الشعبية فضلا عما كانت تحصل عليه هذه الطبقات الفقيرة من عطايا السلاطين .

وكما نعرف فقد كانت بعض هذه الأعياد تعكس موقف الطبقات الشعبية من سلاطين المماليك وطبقة الأغنياء التى كانت تتعرض للسلب والاعتداء ، وربما كان مرجع ذلك الى احساس الطبقات الشعبية بأن السلاطين والأغنياء هم السبب فى تدهور أوضاعهم الاقتصادية والاجتماعية . ولذلك فقد كان سلاطين المماليك يحرصون دائما على ارضاء الطبقات الشعبية والعطف عليهم والتودد لهم فى محاولة منهم لامتصاص سخطهم واظهار ما لدى ولى الأمر من تقوى وصلاح حتى تجب طاعته .

الفهـــرس

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة

الفصل الثانى

الفصل الثالث

صدر من هذه السلسلة

١ ـ مصطفى كامل فى محكمة التاريخ ،
د. عبد العظيم رمضان ، ط ١ ، ١٩٨٧ ، ط ٢ ، ١٩٩٤

٢ ـ علي ماهر ،
رشوان محمود جاب الله ، ١٩٨٧

٣ ـ ثورة يوليو والطبقة العاملة ،
عبد السلام عبد الحليم عامر ، ١٩٨٧

٤ ـ التيارات الفكرية فى مصر المعاصرة ،
د. محمد نعمان جلال ، ١٩٨٧

٥ ـ غارات أوروبا على الشواطيء المصرية فى العصور الوسطى
علية عبد السميع الجنزوري ، ١٩٨٧

٦ ـ هؤلاء الرجال من مصر ، ج ١ ،
لمعى المطيعى ، ١٩٨٧

٧ ـ صلاح الدين الأيوبى ،
د. عبد المنعم ماجد ، ١٩٨٧

٨ ـ رؤية الجبرتى لأزمة الحياة الفكرية ،
د. على بركات ، ١٩٨٧

٩ ـ صفحات مطوية من تاريخ الزعيم مصطفى كامل ،
د. محمد أنيس ، ١٩٨٧

١٠ ـ توفيق دياب ملحمة الصحافة الحزبية ،
محمود فوزى ، ١٩٨٧

١١ ـ مائة شخصية مصرية وشخصية ،
شكرى القاضى ، ١٩٨٧

١٢ ـ هدى شعراوى وعصر التنوير ،
د. نبيل راغب ، ١٩٨٨

١٣ ـ أكذوبة الاستعمار المصرى للسودان : رؤية تاريخية ،
د. عبد العظيم رمضان ، ط ١ ، ١٩٨٧ ، ط ٢ ، ١٩٩٤

١٤ ـ مصر فى عصر الولاة ، من الفتح العربى الى قيام الدولة الطولونيـة ،
د. سيدة اسماعيل كاشف ، ١٩٨٨

١٥ ـ المستشرقون والتاريخ الاسـلامى ،
د. على حسنى الخربوطلى ، ١٩٨٨

١٦ ـ فصـول من تاريخ حركة الاصـلاح الاجتماعى فى مصر : دراسة عن دور الجمعيـة الخيرية (١٨٩٢ ـ ١٩٥٢) ،
د. حلمى أحمد شلبى ، ١٩٨٨

١٧ ـ القضاء الشرعى فى مصر فى العصر العثمانى ،
د. محمد نور فرحات ، ١٩٨٨

١٨ ـ الجوارى فى مجتمع القـاهرة المملوكية ،
د. على السيد محمود ، ١٩٨٨

١٩ ـ مصر القديمـة وقصة توحيد القطرين ،
د. أحمد محمود صابون ، ١٩٨٨

٢٠ ـ دراسات فى وثائق ثورة ١٩١٩ : المراسـلات السرية بين سعد زغلول وعبد الرحمن فهمى ،
د. محمـد أنيس ، ط ٢ ، ١٩٨٨

٢١ ـ التصوف فى مصر ابان العصر العثمانى ، ج ١ ،
د. توفيـق الطويـل ، ١٩٨٨

٢٢ ـ نظـرات فى تاريخ مصـر ،
جمـال بدوى ، ١٩٨٨

٢٣ ـ التصـوف فى مصر ابان العصر العثمـانى ج ٢ ، امـام التصوف فى مص : الشعرانى ،
د. توفيـق الطويـل ، ١٩٨٨

٢٤ ـ الصحافة الوفدية والقضايا الوطنية (١٩١٩ ـ ١٩٣٦) ،
د. نجـوى كامـل ، ١٩٨٩

٢٥ ـ المجتمع الاسلامى والغرب ،
تأليف : هاملتون جب وهارولد بووين : ترجمة : د. أحمد عبد الرحيم مصطفى ، ١٩٨٩

٢٦ ـ تاريخ الفكر التربوى فى مصر الحديثة ،
د. سعيد اسماعيل على ، ١٩٨٩

٢٧ ـ فتح العـرب لمصـر ، ج ١ ،
تأليف : ألفريد ج . بتلر ، ترجمة : محمد فريد أبو حديد ١٩٨٩

٢٨ ـ فتـح العـرب لمصـر ، ج ٢ ،
تأليف : ألفريد ج . بتلر ، ترجمة : محمد فريد أبو حديد ١٩٨٩

٢٩ ـ مصر فى عصر الاخشـيديين ،
د. سيدة اسماعيل كاشف ، ١٩٨٩

٣٠ ـ الموظفون فى مصر فى عصر محمد على ،
د. حلمى أحمد شلبى ، ١٩٨٩

٣١ ـ خمسون شخصية مصرية وشخصية ،
شـكرى القـاضى ، ١٩٨٩

٣٢ ـ هؤلاء الرجـال من مصر ، ج ٢ ،
لمعى المطيعى ، ١٩٨٩

٣٣ ـ مصر وقضـايا الجنوب الافريقى : نظرة على الأوضـاع الراهنة ورؤية مستقبلية ،
د. خالد محمود الكومى ، ١٩٨٩

٣٤ ـ تاريخ العـلاقات المصرية المغربية ، منذ مطلع العصـور الحديثة حتى عام ١٩١٢ ،
د. يونان رزق ، محمد مزين ، ١٩٩٠

٣٥ ـ **أعلام الموسيقى المصرية عبر ١٥٠ سنة ،**
عبد الحميد توفيق زكى ، ١٩٩٠
٣٦ ـ **المجتمع الاسلامى والغرب ، ج ٢ ،**
تأليف : هاملتون بووين : ترجمة : د. أحمد عبد الرحيم مصطفى ، ١٩٩٠
٣٧ ـ **الشيخ على يوسف وجريدة المؤيد : تاريخ الحركة الوطنية فى ربع قرن ،**
د. سليمان صالح ، ١٩٩٠
٣٨ ـ **فصول من تاريخ مصر الاقتصادى والاجتماعى فى العصر العثمانى ،**
د. عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم ، ١٩٩٠
٣٩ ـ **قصة احتلال محمد على لليونان (١٨٢٤ ـ ١٨٢٧) ،**
د. جميل عبيد ، ١٩٩٠
٤٠ ـ **الأسلحة الفاسدة ودورها فى حرب فلسطين ١٩٤٨ ،**
د. عبد المنعم الدسوقى الجميعى ، ١٩٩٠
٤١ ـ **محمد فريد : الموقف والمأساة ، رؤية عصرية ،**
د. رفعت السعيد ، ١٩٩١
٤٢ ـ **تكوين مصر عبد العصور ،**
محمد شفيق غربال ، ط ٣ ، ١٩٩٠
٤٣ ـ **رحلة فى عقول مصرية ،**
ابراهيم عبد العزيز ، ١٩٩٠
٤٤ ـ **الأوقاف والحياة الاقتصادية فى مصر فى العصر العثمانى ،**
د. محمد عفيفى ، ١٩٩١
٤٥ ـ **الحروب الصليبية ، ج ١ ،**
تأليف : وليم الصورى ، ترجمة وتقديم د. حسن حبشى ، ١٩٩١

٤٦ ــ **تاريخ العلاقات المصرية الأفريكية (١٩٣٩ ــ ١٩٥٧) ،**
ترجمة : د. عبد الرؤوف أحمد عمرو ، ١٩٩١

٤٧ ــ **تاريخ القضـاء المصرى الحديث ،**
د. لطيفة محمد سالم ، ١٩٩١

٤٨ ــ **الفلاح المصرى بين العصر القبطى والعصر الاسلامى ،**
د. زبيدة عطـا ، ١٩٩١

٤٩ ــ **العلاقات المصرية الاسرائيلية (١٩٤٨ ــ ١٩٧٩) ،**
د. عبد العظيم رمضان ، ١٩٩٢

٥٠ ــ **الصحافة المصرية والقضايا الوطنية (١٩٤٦ ــ ١٩٥٤) ،**
د. سـهير اسـكندر ، ١٩٩٣

٥١ ــ **تاريخ المدارس فى مصر الاسلامية ،**
(أبحاث الندوة التى أقامتها لجنة التاريخ والآثار بالمجلس الأعلى للثقافـة ، فى ابريل ١٩٩١) أعدهـا للنشر : د. عبد العظيم رمضان ، ١٩٩٢

٥٣ ــ **مصر فى كتابات الرحالة والقناصل الفرنسيين ، فى القرن الثامن عشر :**
د. الهام محمد على ذهنى ، ١٩٩٢

٥٣ ــ **أربعة مؤرخين وأربعة مؤلفات من دولة المماليك الجراكسة،**
د. محمد كمال الدين عز الدين على ، ١٩٩٢

٥٤ ــ **الأقبـاط فى مصر فى العصر العثمانى ،**
د. محمـد عفيفى ، ١٩٩٢

٥٥ ــ **الحـروب الصليبيـة ج ٢ ،**
تأليف : وليم الصـورى : ترجمـة وتعليق : د. حسـن حبشى ، ١٩٩٢

٥٦ ــ **المجتمع الريفى فى عصر محمد على : دراسـة عن اقليم المنوفيـة ،**
د. حلمى أحمد شلبى ، ١٩٩٢

٥٧ ـ **مصر الاسلامية وأهل الذمة ،**
د. سيدة اسماعيل كاشف ، ١٩٩٢

٥٨ ـ **أحمد حلمي سجين الحرية والصحافة ،**
د. ابراهيم عبد الله المسلمي ، ١٩٩٣

٥٩ ـ **الرأسمالية الصناعية في مصر ، من التمصير الى التأميم (١٩٥٧ ـ ١٩٦١) ،**
د. عبد السلام عبد الحليم عامر ، ١٩٩٣

٦٠ ـ **المعاصرون من رواد الموسيقى العربية ،**
عبد الحميد توفيق زكي ، ١٩٩٣

٦١ ـ **تاريخ الاسكندرية في العصر الحديث ،**
د. عبد العظيم رمضان ، ١٩٩٣

٦٢ ـ **هؤلاء الرجال من مصر ، ج ٣ ،**
لمعي المطيعي ، ١٩٩٣

٦٣ ـ **موسوعة تاريخ مصر عبد العصور : تاريخ مصر الاسلامية،**
تأليف : د. سيدة اسماعيل كاشف ، جمال الدين سرور ، وسعيد عبد الفتاح عاشور ، أعدها للنشر : د. عبد العظيم رمضان ، ١٩٩٣

٦٤ ـ **مصر وحقوق الانسان ، بين الحقيقة والافتراء دراسة وثائقية ،**
د. محمد نعمان جلال ، ١٩٩٣

٦٥ ـ **موقف الصحافة المصرية من الصهيونية (١٨٩٧ ـ ١٩١٧)**
سهام نصار ، ١٩٩٣

٦٦ ـ **المرأة في مصر في العصر الفاطمي**
د. نريمان عبد الكريم أحمد ، ١٩٩٣

٦٧ ـ **مساعي السلام العربية الاسرائيلية : الأصول التاريخية ،**
(أبحاث الندوة التى أقامتها لجنة التاريخ والآثار بالمجلس

الأعلى للثقافة ، بالاشتراك مع قسم التاريخ بكلية البنات جامعة عين شمس ، فى ابريل ١٩٩٣) ، أعدها للنشر : د. عبد العظيم رمضان ، ١٩٩٣

٦٨ ـ **الحـروب الصليبية ، ج ٣ ،**
تأليف : وليم الصـورى ، ترجمة : وتعليق : د. حسن حبشى ، ١٩٩٣

٦٩ ـ **نبوية موسى ودورها فى الحياة المصرية (١٨٨٦ ـ ١٩٥١) ،**
د. محمد أبو الاسعاد ، ١٩٩٤

٧٠ ـ **أهـل الذمـة فى الاسـلام ،**
تأليف : آ.س ترتون ، ترجمة وتعليق : د. حسن حبشى ط ٢ ، ١٩٩٤

٧١ ـ **مذكرات اللورد كليرن (١٩٣٤ ـ ١٩٤٦) ،**
اعداد : تريفور ايفانز ، ترجمة : د. عبد الرؤوف أحمد عمرو ، ١٩٩٤

٧٢ ـ **رؤية الرحـالة المسلمين للأحوال المـالية والاقتصـادية لمصر فى العصر الفاطمى (٣٥٨ ـ ٥٦٧ هـ) ،**
أمينة أحمـد امام ، ١٩٩٤

٧٣ ـ **تاريخ جامعـة القـاهرة ،**
د. رؤوف عباس حامد ، ١٩٩٤

٧٤ ـ **تاريخ الطب والصيدلة المصرية ، ج ١ ، فى العصر الفرعونى**
د. سمير يحيى الجمال ، ١٩٩٤

٧٥ ـ **أهل الذمة فى مصر ، فى العصر الفاطمى الأول ،**
د. سلام شافعى محمود ، ١٩٩٥

٧٦ ـ **دور التعليم المصرى فى النضـال الوطنى (زمن الاحتلال البريطـانى) ،**
د. سعيد اسماعيل على ، ١٩٩٥

٧٧ ـ **الحروب الصليبية ، ج ٤ ،**
تاليف : وليم الصورى ، ترجمة وتعليق : د. حسن حبشى ، ١٩٩٤

٧٨ ـ **تاريخ الصحافة السكندرية (١٨٧٣ ـ ١٨٩٩) ،**
نعمات أحمد عثمان ، ١٩٩٥

٧٩ ـ **تاريخ الطرق الصوفية فى مصر ، فى القرن التاسع عشر ،**
تاليف : فريد دى يونج ، ترجمة : عبد الحميد فهمى الجمال ، ١٩٩٥

٨٠ ـ **قناة السويس والتنافس الاستعمارى الأوربى (١٨٨٢ ـ ١٩٠٤) ،**
د. السيد حسين جلال ، ١٩٩٥

٨١ ـ **تاريخ السياسة والصحافة المصرية ، من هزيمة يونيو الى نصر أكتوبر ،**
د. رمزى ميخائيل ، ١٩٩٥

٨٢ ـ **مصر فى فجر الاسلام ، من الفتح العربى الى قيام الدولة الطولونية ،**
د. سيدة اسماعيل كاشف ، ط ٢ ، ١٩٩٤

٨٣ ـ **مذكراتى فى نصف قرن ، ج ١ ،**
أحمد شفيق باشا ، ط ٢ ، ١٩٩٤

٨٤ ـ **مذكراتى فى نصف قرن ، ج ٢ ، القسم الأول ،**
أحمد شفيق باشا ، ط ٢ ، ١٩٩٥

٨٥ ـ **تاريخ الاذاعة المصرية : دراسة تاريخية (١٩٣٤ ـ ١٩٥٢)،**
د. حلمى أحمد شلبى ، ١٩٩٥

٨٦ ـ **تاريخ التجارة المصرية فى عصر الحرية الاقتصادية (١٨٤٠ ـ ١٩١٤) ،**
د. أحمد الشربينى ، ١٩٩٥

٨٧ ـ مذكرات اللورد كلرن ، ج ١ ، (١٩٣٤ ـ ١٩٤٦) ،
اعداد : تريفور ايفانز ، ترجمة وتحقيق : د٠ عبد الرؤوف أحمد عمرو ، ١٩٩٥

٨٨ ـ التذوق الموسيقى وتاريخ الموسيقى المصرية ،
عبد الحميد توفيق زكى ، ١٩٩٥

٨٩ ـ تاريخ الموانىء المصرية فى العصر العثمانى ،
د٠ عبد الحميد حامد سليمان ، ١٩٩٥

٩٠ ـ معاملة غير المسلمين فى الدولة الاسلامية ،
د٠ نريمان عبد الكريم أحمد ، ١٩٩٦

٩١ ـ تاريخ مصر الحديثة والشرق الأوسط ،
تاليف : بيتر مانسفيلد ، ترجمة : عبد الحميد فهمى الجمال ، ١٩٩٦

٩٢ ـ الصحافة الوفدية والقضايا الوطنية (١٩١٩ ـ ١٩٣٦) ج ٢ ،
نجوى كامل ، ١٩٩٦

٩٣ ـ قضايا عربية فى البرلمان المصرى (١٩٢٤ ـ ١٩٥٨) ،
د٠ نبيه بيومى عبد الله ، ١٩٩٦

٩٤ ـ الصحافة المصرية والقضايا الوطنية (١٩٤٦ ـ ١٩٥٤) ، ج ٢ ،
د٠ سهير اسكندر ، ١٩٩٦

٩٥ ـ مصر وافريقيا ٠٠ الجذور التاريخية الافريقية المعاصرة ،
(أبحاث الندوة التى اقامتها لجنة التاريخ والآثار بالمجلس الأعلى للثقافة بالاشتراك مع معهد البحوث والدراسات الافريقية بجامعة القاهرة) ، أعدها للنشر ، د٠ عبد العظيم رمضان

٩٦ - **عبد الناصر والحرب العربية الباردة (١٩٥٨ - ١٩٧٠)**،
تاليف : مالكولم كير ، ترجمة : د. عبد الرؤوف أحمد عمرو

٩٧ - **العربان ودورهم فى المجتمع المصرى فى النصف الأول من القرن التاسع عشر** ،
د. ايمان محمد عبد المنعم عامر

٩٨ - **هيكل والسياسة الأسبوعية** ،
د. محمد سيد محمد

٩٩ - **تاريخ الطب والصيدلة المصرية (العصر اليونانى - الرومانى) ج ٢** ،
د. سمير يحيى الجمال

١٠٠ - **موسوعة تاريخ مصر عبر العصور : تاريخ مصر القديمة** ،
أ. د. عبد العزيز صالح ، أ. د. جمال مختار ،
أ. د. محمد ابراهيم بكر ، أ. د. ابراهيم نصحى ،
أ. د. فاروق القاضى ، أعدها للنشر : أ. د. عبد العظيم رمضان .

١٠١ - **ثورة يوليو والحقيقة الغائبة** ،
اللواء/ مصطفى عبد المجيد نصير ، اللواء/ عبد الحميد كفافى ، اللواء/ سعد عبد الحفيظ ، السفير/ جمال منصور

١٠٢ - **المقطم جريدة الاحتلال البريطانى فى مصر ١٨٨٩ - ١٩٥٢** ،
د. تيسير أبو عرجة

١٠٣ - **رؤية الجبرتى لبعض قضايا عصره** ،
د. على بركات

١٠٤ - **تاريخ العمال الزراعيين فى مصر (١٩١٤ - ١٩٥٢)** ،
د. فاطمة علم الدين عبد الواحد

١٠٥ ـ **السلطة السياسية فى مصر وقضية الديمقراطية (١٨٠٥ ـ ١٩٨٧) ،**
د. أحمد فارس عبد المنعم

١٠٦ ـ **الشيخ على يوسف وجريدة المؤيد : تاريخ الحركة الوطنية فى ربع قرن ، ج ٢ ،**
د. سليمان صالح

١٠٧ ـ **الأصولية الاسلامية فى العصر الحديث ،**
تاليف : دليب هيرو ، ترجمة : عبد الحميد الجمال

١٠٨ ـ **مصر للمصريين ، ج ٤ ،**
سليم خليل النقاش

١٠٩ ـ **مصر للمصريين ، ج ٥ ،**
سليم خليل النقاش

١١٠ ـ **مصادرة الأملاك فى الدولة الاسلامية (عصر سلاطين المماليك) ، ج ١ ،**
د. البيومى اسماعيل الشربينى

١١١ ـ **مصادر الأملاك فى الدولة الاسلامية (عصر سلاطين المماليك ، ، ج ٢ ،**
د. البيومى اسماعيل الشربينى

١١٢ ـ **اسماعيل باشا صدقى ،**
د. محمد محمد الجوادى

١١٣ ـ **الزبير باشا ودوره فى السودان (فى عصر الحكم المصرى) ،**
د. اسماعيل عز الدين

١١٤ ـ **دراسات اجتماعية فى تاريخ مصر ،**
أحمد رشدى صالح

١١٥ ــ مذكراتى فى نصف قرن ، ج ٣ ،
أحمد شفيق باشا

١١٦ ــ اديب اسحق (عاشق الحرية) ،
علاء الدين وحيد

١١٧ ــ تاريخ القضاء فى مصر العثمانية (١٥١٧ ــ ١٧٩٨) ،
عبد الرازق ابراهيم عيسى

١١٨ ــ النظم المالية فى مصر والشام زمن سلاطين المماليك ،
د. البيومى اسماعيل الشربينى

١١٩ ــ النقابات فى مصر الرومانية ((دراسة وثائقية))
حسين محمد أحمد يوسف

١٢٠ ــ يوميات من التاريخ المصرى الحديث (١٧٧٥ ــ ١٩٥٢) ،
لويس جرجس

١٢١ ــ الجلاء ووحدة وادى النيل (١٩٤٥ ــ ١٩٥٤) ،
محمد عبد الحميد الحناوى

١٢٢ ــ مصر للمصريين ج ٦ ،
سليم خليل النقاش

١٢٣ ــ السيد أحمد البدوى ،
د. سعيد عبد الفتاح عاشور

١٢٤ ــ العلاقات المصرية الباكستانية فى نصف قرن ،
د. محمد نعمان جلال

١٢٥ ــ مصر للمصريين ج ٧ ،
سليم خليل النقاش

١٢٦ ــ مصر للمصريين ج ٨ ،
سليم خليل النقاش

١٢٧ ـ مقدمات الوحدة المصرية السورية (١٩٤٣ ـ ١٩٥٨) ،
ابراهيم محمد محمد ابراهيم

١٢٨ ـ معارك صحفية ،
جمال بدوى

١٢٩ ـ الدين العام (وأثره فى تطور الاقتصاد المصرى)
(١٨٧٦ ـ ١٩٤٣) ،
د٠ يحيى محمد محمود

١٣٠ ـ تاريخ نقابات الفنانين فى مصر (١٩٨٧ ـ ١٩٩٧) ،
سمير فريد

١٣١ ـ الولايات المتحدة وثورة يوليو ١٩٥٢ (١٩٥٢ ـ ١٩٥٨)،
تاليف : جايل ماير ، ترجمة : د٠ عبد الرءوف أحمد عمرو

١٣٢ ـ دار المندوب السامى فى مصر ج ١ ،
د٠ ماجدة محمد محمود

١٣٢ ـ دار المندوب السامى فى مصر ج ٢ ،
د٠ ماجدة محمد محمود

١٣٤ ـ الحملة الفرنسية على مصر فى ضوء مخطوط عثمانى للدارندلى ،
بقلم : عزت حسن أفندى الدارندلى ، ترجمة : جمال سعيد عبد الغنى

١٣٥ ـ اليهود فى مصر المملوكية (فى ضوء وثائق الجنيزة)
(٦٤٨ ـ ٩٢٣ هـ/ ١٢٥٠ ـ ١٥١٧ م)
د٠ محاسن محمد الوقاد

١٣٦ ـ اوراق يوسف صديق
تقديم : أ٠ د٠ عبد العظيم رمضان

١٣٧ ــ تجار التوابل فى مصر فى العصر المملوكى
د٠ محمد عبد الغنى الأشقر

١٣٨ ــ الاخوان المسـلمون وجذور التطرف الدينى والارهـاب فى مصـر ،
السـيد يوسـف

١٣٩ ــ موسوعة الغناء المصرى فى القرن العشرين ،
بقلم : محمـد قابيـل

١٤٠ ــ سياسة مصر فى البحر الأحمر فى النصف الأول من القرن التاسع عشر ١٢٢٦ ــ ١٢٦٥ هـ/١٨١١ ــ ١٨٤٨ م ،
طارق عبد العاطى غنيم بيومى

١٤١ ــ وسائل الترفيه فى عصر سلاطين المماليك فى مصر ،
لطفى أحمـد نصـار

١٤٢ ــ مذكراتى فى نصف قرن ، ج ٤ ،
أحمـد شفيق باشـا

١٤٣ ــ دبلوماسية البطالمـة فى القرنين الثانى والأول ق٠م٠ ،
د٠ منيـرة الهمشرى

١٤٤ ــ كشـوف مصر الافريقيـة فى عهد الخـديوى اسـماعيل (١٨٦٣ ــ ١٨٧٩)
عبد العـليم خـلاف

١٤٥ ــ النظام الادارى والاقتصـادى فى مصر فى عهد دقلديانوس (٢٨٤ ــ ٣٠٥ م)
د٠ منيرة الهمشرى

١٤٦ ــ المرأة فى مصر المملوكيـة ،
د٠ أحمد عبد الرازق

١٤٧ ـ حســـن البنـــا .
متى .. كيف .. لمـاذا ؟
د. رفعت السـعيد

١٤٨ ـ القديس مرقس وتأسيس كنيسة الاسكندرية ،
تأليف : د. سمير فوزى ، ترجمة : نسيم مجلى

١٤٩ ـ العلاقات المصرية الحجازية فى القرن الثامن عشر ،
حسام محمد عبد المعطى

١٥٠ ـ تاريخ الموسيقى المصرية (أصولها وتطورها)
د. سمير يحيى الجمال

١٥١ ـ جمال الدين الأفغانى والثورة الشاملة
السيد يوسـف

١٥٢ ـ الطبقات الشعبية فى القاهرة المملوكية
(٦٤٨ ـ ٩٢٣ هـ/١٢٥٠ ـ ١٥١٧ م)
د. محاسن محمد الوقـاد

رقم الايداع ١٩٩٩/٨٤٦٩

الترقيم الدولى I.S.B.N. 977 — 01 — 6147 — 0

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب
فرع الصحافة

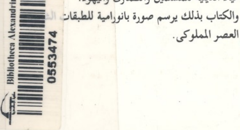
رفع
مكتبة تاريخ وآثار دولة المماليك

هذا الكتاب الذى بين أيدينا يتكون من ثلاثة فصول، وقد مهدت له المؤلفة بمدخل استعرضت فيه أوضاع الطبقات الشعبية فى القاهرة فى العصرين الفاطمى والأيوبى.

ففى الفصل الأول تناولت تجمعات الطبقات الشعبية بالقاهرة المملوكية، فتحدثت عن الأسواق والوكالات والمساجد والخانقاوات ومجالس الذكر وأحياء الطبقات الشعبية. أما الفصل الثانى فتناولت فيه الأوضاع الاقتصادية للطبقات الشعبية، وسياسة الدولة حيالهم، وأخيراً تناولت فى الفصل الثالث عادات وتقاليد الطبقات الشعبية فى مصر المملوكية، فتحدثت عن الاحتفالات والأعياد الدينية للمسلمين والنصارى واليهود.

والكتاب بذلك يرسم صورة بانورامية للطبقات

فى العصر المملوكى.



٤٠٠ قــرش

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب